الملك فاروق

آخر ملوك مصر

١٩٣٦ - ١٩٥٢



هشام خضر

مكتبة النافذة

الملك فاروق

١٩٣٦ - ١٩٥٢

هشام خضر

مكتبة النافذة

الملك فاروق

هشام خضر

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

رقم الإيداع ١٦٨٢٣ / ٢٠٠٧

الطباعة

دار طيبة للطباعة - الجيزة



الناشر: مكتبة النافذة

المدير المسئول: سعيد عثمان

◆

الجيزة ٢ شارع الشهيد أحمد حمدى

الثلاثينى (ميدان الساعة) - فيصل

Tel: 37241803 , Fax: 37827787
Mob: 012 3595973
Email: alnafezah@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

نافذة الكتاب

سيظل الملك فـاروق رمزاً للعربدة والفـوضى والعبث واللامـبالاة بين حكام العصـر الحديث الذين دانت لهم الأمور وركـعت بين أقدامهم، بيـد أنه أعرض عنها وجهل مكانتهـا وغفل عن أهميتها فأعرضت عنه وأهملتـه وانصرفت بعيداً لتتركه وحيداً شريراً طريداً فى غربة مالها من قرار.

ولو أن والدته الملكة نازلى كـانت بجواره أثناء مـحنتـه عقب اندلاع حـركة الضبـاط الأحرار لهـمست فى أذنه همس أم عـبد الله آخـر حكام الأندلس التى قالت له والألم يعتصرها: «أبكِ يا عـبد الله بكاء النساء على مُلك لا يضيع من أيدى الرجال!!

وها هو الملك والجاه والعز والسلطان قـد ضاع واندثر وتسرب من بين أنامل فاروق ملك مصر والسودان، لكنه لم يبكِ ولم يذرف الدمع ولم ينزف الدم على ما أضاعه وضيعـه، كأنه توقع ذلك وتنبأ به، ومن ثم لم يكن بالأمر المفاجىء له حيث كان ينتظره منذ أن انفجرت حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢. يومها أدرك فاروق أنه مجـرد دميـة فى أيادى الإنجليـز، عروس من الدانتـيل تحركـها أصـابع السفـير البريطانى، فتنبه فـاروق لمكانته وقيمته واستـوعب دوره كمحلل للزوج البريطانى الذى يملك ويحكم ويتـحكم، ورضى فاروق بدوره ووظيفـته طائعاً خـانعاً مع الأسف مستمتعاً.

لقد كان فاروق الأول والأخير أمل مصر ومستقبلها، ورمز مكانتها وهيبتها، وقد احتفـا به المصريون وهللوا لجلوسه على العرش خلفاً لوالده الطاغـية أحمد فؤاد ظناً مـنهم أن بشاشة فـاروق وسمـاحة وجهـه، وعذوبته ورقـته وبسـاطته

وتواضعه قد تحقق للشعب المسكين مآربه وأحلامه التى تبخرت على يد من سبقوه .ظن المصريون أن فاروق هو مصباح علاء الدين، وفانوسهم السحرى، وبساط الريح، فإذا به ينقلب عليهم ولا يبالى بشؤنهم ولا يكترث بآلامهم ولا يعبأ بمستقبلهم منصرفاً إلى حال سبيله حيث الملاهى والنوادى والمواخير والموائد الخضراء لممارسة هواياته الوحيدة والمحببة إلى نفسه وقلبه وعواطفه وهى لعب القمار!!

كان بوسع فاروق أن يتربع على العرش، وأن يحفظ للتاج هيبته ومكانته لو أنه منح للشعب ساعة فقط من وقته الذى أهدره وبدده فى رحلات وسهرات وعلاقات باعدت بينه وبين الشعب المسكين، ووسعت الفجوة بينهما حتى أن أحدهما لم يعد يرى الآخر.

ظل فاروق فى غيبوبته وسكرته فاقداً للوعى لا يدرى حقيقة ما يدور من حوله حتى بعد أن عثر على أحد منشورات الضباط الأحرار فى فراشه فى تحدٍ صارخ وعنيد لنظام حكمه الهش الذى أو شك على السقوط والانهيار.

فاروق هو الذى ظلم نفسه وحكم عليها بالإعدام نفياً بالفرار والهرب، وهو الذى أعد محاكمته فكان فيها القاضى والمتهم والجلاد، ومن ثم أصدر الحكم بنفسه على نفسه دون أن يتدخل أحد لتغليظه أو حتى تخفيفه.

كانت نهاية فاروق واقعية منطقية لرجل غرق فى ملذاته وأطلق العنان لغرائزه وشهواته، حيث عجز عن فهم طبيعة رجل الدولة ورمزها وعلمها، فأتت تصرفاته وسلوكياته كطالب مراهق يسعى جاهداً للتعبير المادى عن احتياجاته العاطفية والجسدية، لقد كان فاروق ملك مصر والسودان، ولو أنه أحسن اختيار حاشيته ورجاله ومستشاريه ومعاونيه كما كان أبوه . . لو أنه تدبر أمره وأدرك حقيقة دوره المنوط به لكان لمصر وفاروقها شأن آخر، لكنه كان أعجز من أن

يفهم أو يعى قيمة الدولة التى أحاطته برعايتها وأغدقت عليه بحنانها، لقد قضى فاروق سنوات حكمه وكأنــه رئيس ألمانيا أو رئيس إسرائيل لا يملك ولا يحكم، اللهم إلا أنه يتربع على منصب شرفى أو فخرى، ومن ثم جــاءت نهايته مؤسفة مخجلة تثير البهجة والشفــقة والألـم والأمل والفرح والجرح حتى تباينت المشاعر وتناقـضت الأحاسـيس فاخـتلطت دموع الفــرح على رحيله بدمــوع الألم على مستقبله ومصيره.

وبرحيل فاروق أسدل الستار على آخر حكام ســلالة محمد على باشا الكبير الذى كان له الفضل فى بناء مصر الحديثه رغم طغيانه وقسوته ووحشيته وجبروته وعنفوانه، لقد نجح محمد على الجد الأكــبر فى توطيد أواصر ملكه وعرشه على البلاد بدمه وعرقه وكـفاحه ونضاله وغربته وعذابه حتى ظل العــرش مستقراً بين أبنائه من الأسرة العلوية فـقط حتى جاء فاروق ليــدق مسمار إهمــاله فى عرش تهاوت أوتاده بضربة مطرقة ليتســاقط فى الحال سقوط أوراق الخريف بريح هادئة مستكينة أماطت اللثام عن هشاشة العرش .

هشام خضر

الجـد الأكبـر

«محمد على باشا الكبير»

«لو أن محمد على قد أوتى شيئاً من العدل لكان من ملوك التاريخ الكبار؛ بل من أكبرهم»

عميد المؤرخين

الشيخ/ عبد الرحمن الجبرتى

محمد على باشا الكبير
الجد والمؤسس

كانت مصر قبـل مجيء الحملة الفرنسية بقيادة نابليـون بونابرت؛ شأنها شأن جمـيع البلدان والأقاليم والولايات والمجتـمعات الخاضـعة لنفوذ وسـيادة، وظل السلطان العثمانى القابع فى برجه العاجى بمقر الخلافة العتيد بالأستانة.

كان نـظام الحكم حينئـذ؛ بيد السلطـان فقط بغض النظر عن نظام الـبيـعة الصورى الذى كان قائماً بوصفه أحـد أبرز مظاهر الخلافة الإسلامية الراشدة التى تمسك بها آل عـثمان حرصـاً على شرعيتـهم من سخط وغضب وتذمـر العلماء والأعيان.

وبما أن السلطان العثمانى كان يملك أرض الخـلافة، وما عليها إذن فلم يكن هناك بد من الخـضوع لظله، ولا مـرد لأمره ولا راد لقـراره ولا اعتـراض على ظلمه، ومن ثم مضى غير عابئ فى قهر وقطع وقمع وضرب وسلب ونهب ووأد وخرس تلـك الشعوب الـتى دانت له واستـسلمت لسلطانه وجبـروته، وبالطبع كـانت مصـر فى طليـعـة تلك البلدان المقـهورة والمنكـوبة، ولم تكن بمنأى من الدوران فى فلك آل عثمان الدموى الرهيب.

لقد عـانى أهل مصر من ويلات تلك السيـاسات الغاشمـة التى اتخذت من الكرباج أداة ترويع وإذلال، ومن الجـباية وسـيلة تجويع واسـتغلال حـتى ثارت النفوس الهادئة، وضاقت صدور المصريين الرحـبة، ونفد صبرهم وفاض كيلهم، فانطلقت حناجـرهم الوديعة تدعو بدعـائهم التاريخى المأثور تضرعـا إلى الخالق الرحيم خلاصاً من المخلوق الذى لا يرحم، وهـى تهتف بأعلى صوتها: يا رب يا متجلى. . أهلك العثمانلى.

ومضت الأمـور على هذا النحو حتى جـاء صاحب الوجه الكئيب، وكـافة أدوات التعذيب الوحشى الذى مارسـه بونابرت ضد أهالينا لبسط نفوذه، وتوطيد أواصر نظامه، والاستيلاء على مصر والشام لتـحقيق أهدافه وأطماعه التوسعية، بيد أن المقاومة الشعبية قد أرهقته وأذلته، فأمر بعودة حملته وهى تجر أذيال الخيبة والفشل المرير لتنتـهى حقبـة سوداء أخرى تدفقت خـلالها الدماء فى سـباق مع الدموع على الشهداء والجرحى والمعاقين وذوى الـعاهات الذين انتصروا لكرامتهم وحريتـهم وسيادتهم واستـقلالهم من وحش دموى تبـرأ منه التاريخ وركله رغم أمجاده لوطنه، ومن ثم فلا غرابة إذن فيما قاله الأديب الأمريكى وأستاذ التاريخ «ألان شوم» فى وصفه لمذابح نابليون: [مقارنة مع بونابرت تبيض صفحة جنكيز خان!!].

* * * *

وبعد خـروج الحملة الفـرنسية تعـرضت مصـر لحالة من الفـوضى والفراغ السياسى، حيث كـان المماليك قد لاذوا بالفرار والهرب خوفـاً على أنفسهم من نابليون وجنوده، كمـا فقد العثمانيـون قدراً كبيراً من نفـوذهم داخلها طيلة بقاء جنود الحـملة الفـرنسيـة؛ الأمـر الذى أدى إلى لجـوء الشـعب إلى الاحـتكام والاحتـماء والارتكان والارتكاز على العلمـاء والأعيان؛ خـاصة وأن على رأس هؤلاء العلماء السيد عـمر مكرم نقيب الأشراف؛ الذى كان يتمـتع بمكانة وقيمة وقامـة بين الأهالى لحسه الوطنى ونضـاله ضد بونابرت، وعطفه على الفـقراء، وإغداقـه العطايا على المساكين، ولبـصيرته وحكمـته ونبل أخلاقـه، وقد طالب البعض مـن أنصاره وعشـاقه أن يتـولى حكم مصر غـير أنه قـد رأى ببصـيرته وحكمته أن هناك من هو أصلح منه وأجدر بتولى دفة الحكم.

والواقع أن الرجل كان يرى أن محمـد على؛ ذاك الشاب الألبانى الذى علا نجمه بين أهالـى القاهرة لفراسته وفـروسيته وذكـائه وشجاعته؛ أثنـاء القتال مع الغزاة الفـرنسيين يستطيع أن يقود سـفينة الوطن إلى بر الأمان قـبل أن تغرق فى قاع الفوضى العارمة.

والسفاح الرهيب نابليـون بونابرت على رأس حملته الشرسة الداميـة العنيفة التى حصدت ثلاثمائة ألفٍ من الأجداد والآباء فى شتى ربوع مصر؛ ناهيك عن الجلد والسحل والحـرق والسلخ والخوزقة، وغـير ذلك من صور التـعذيب الذى مـارسـه بونابرت وجنوده مـع أبناء الشـعب المصـرى المسكين المبتـلى بالطغـاة ومصاصى الدماء ودراكولات البشر.

فى أعقـاب خروج الحملة الفـرنسيـة عام ١٨٠١، وعودتهـا إلى بلادها مرة أخرى سادت مصر حالة من الفوضى والفـراغ السياسى؛ حيث كان المماليك قد لاذوا بالفرار، وتبينت حقيقتـهم أمام المصريين، وتقلص نفوذ آل عثمان وتلاشى أمام بـطش بونابرت وعنفوانه، ومن ثم باتـت الأمور مهـيأة للعـلماء والأعـيان لتنصيب حاكم على البـلاد لإعادة الأمور إلى نصابها وإنهـاء حالة الفوضى التى حلت بالبلاد.

واتجه الجمـيع إلى بيت الزعيم الشعبـى عمر مكرم يناشدونه أن يتـولى قيادة البلاد بمعـاونة نخبة من العلمـاء وصفوة الأعيـان لإنقاذ الأمة، ولهذا أصـبحت بيوت العـلماء والأعيـان ملاذاً آمناً للاحـتماء والاحـتكام والارتكان والارتكاز؛ خاصة إذا كان على رأس هؤلاء جـميعاً عمر مكرم نقـيب الأشراف الذى يتمتع بمكانة وقيمة وقامة، لنضاله وكفاحه وعطائه وإغداقه وبصيرته وحكمته وشجاعته ونبل مقصده وحسن خلقه وعشقه لوطنه وإخلاصه لدينه وغيرته على أهل بلده.

وأمام إلحـاح الشعب المصرى اتجـه العلماء والإعيـان إلى السيد عـمر مكرم

لتولى الحكم على البلاد؛ بيد أن عمر مكرم الزعيم الشعبى قد أعلن عن عزمه تنصيب أحد الضباط الألبان لحكم البلاد لما له من ذكاء وشجاعة وأشارت إعجاب الجميع به. وكان هذا الشاب الألبانى هو محمد على الذى كان محط أنظار الأعيان نظرا لبسالته وشجاعته أثناء المقاومة ضد الغزاة الفرنسيين.

وعلى الفور اتجه الجميع نحو بيت محمد على لتنصيبه والياً على مصر، وهى الرغبة التى فوجئ بها محمد على، وأثارت دهشته فرفضها خوفاً من بطش السلطان، ومن ثم دعا العلماء والأمراء لتنصيب أحمد باشا خورشيد حاكم إقليم الإسكندرية بزعم أنه يملك الخبرة والقدرة على إدارة شؤون البلاد.

والواقع أن محمد على خشى أن يتسرب إجماع العلماء، وثورة الشعب لتنصيبه حاكماً إلى أسماع السلطان العثمانى، مما قد يعرضه للعقاب والمساءلة، ولهذا قرر ألا يستجيب لرغبات الشعب المصرى لعل هذا الموقف يترامى إلى مسامع الخليفة بالأستانة، فينعم عليه بما يحلم به.

وتولى خورشيد باشا حكم البلاد، وراح محمد على بدهائه ومكره يتصيد أخطاء الرجل وخطاياه، ويندد بها فى مجالسه مع العلماء والأعيان، لتأليب طوائف الأمة ضده الأمر الذى دعا الشعب المصرى للخروج إلى القلعة لمحاصرتها زهاء ٨٠ يوماً لطرد خورشيد باشا، وتولية محمد على حاكماً بدلاً منه.

ففى أثناء حصار الشعب للقلعة أقبل رسول السلطان العثمانى حاملاً معه فرمان يقضى بإعفاء أحمد باشا خورشيد وعزله من منصبه، وتعيين محمد على خلفاً له فى منصب تمهيدى سمى وقتذاك «قائمقام» لحين صدور فرمان جديد لتنصيبه والياً على البلاد، وذلك بعد أن تطمئن الأستانة من مدى ولاء محمد على، وانتمائه لدولة الخلافة وعظمة السلطان، ومنذ ذلك التاريخ أصبح محمد على باشا ملء السمع والأبصار حياً وميتاً فى مصر وما حولها حيث قد لعب

دوراً تاريخياً فى نهضتها، ومد أطرافهـا إلى جميع أنحاء المعمورة سلماً وحرباً، مما أدى إلى تحرك القـادة الأوربيين لعرقلة نموه وتجـميـد أنشطته الخطيـرة بعد أن استفحل خطره وتعاظم شأنه.

ولكن من هو محمـد على ذاك الضابط المجهول الذى أصبح مؤسـساً لأكبر إمبراطورية فى التاريخ الحديث؟

مـولده:

ولد محمد على فى مدينة قولة بألبـانيا عام ١٧٧٠ ميلادية، وهى عبارة عن ميناء صغـير وتطل على بحر إيجا لكنهـا تبتعد عن مدينـة سالونيك حوالى ٨٠ كيلو متر، وهى تعد من أشهر وأجمل ثغور اليونان.

ومحمـد على اسم مركب حيث يدعى والده إبراهيم أغـا تردد أنه يعمل فى تجارة التـبغ، وزعم البعض أنه كـان يعمل رئيـسا لحـرس المسؤول عن حـراسة الطرق، وهذا الرجل ينتمى إلى الفرع الأرناؤطى، وهو أحد الفروع الألبانية ذات الشأن المتواضع، وهو ما دعا محمد على للادعاء بأنه تركى الأصل، وذلك تهرباً من تحديد شجرة عائلته التى أكد المؤرخون أنها لا تتميز بأية عراقة بين الكثير من العائلات والقبائل فى تلك الأثناء.

والمثـير فى الأمـر أن والد محـمد على تزوج وأنجب نحـو ١٧ طفلاً مـاتوا جميـعاً باستثـناء محمد على الذى ظل على قـيد الحياة، ومن ثم أغـدقت عليه والدته الحب والدفء والحنان لتبديد وحدته حتى كاد أن يكون طفلاً مدللاً.

بعد بلوغه السابعة عشرة من العمر توفى والده، فاحتضنه عمه طوسون الذى علمه الـفروسيـة، ودقة تصـويب السهام والـنبال، ومصـارعة الشـباب، وأداء التـدريبات العـسكرية الشاقـة العنيفـة وحدث أن تسـابق ذات يوم مع أصدقـائه وجيـرانه على السباحة من حـافة الشاطئ إلى صـخور إحدى الجذر القـريبة من

حافة الشاطئ، وفى أثناء السباحة هبت عاصفة عاتية أرغمت زملاءه على العودة المبكرة إلى الشاطئ، بينما واصل هو بعناده وشجاعته وصلابته السباحة والتجديف بيده نحو الجزيرة وقد تشققت يداه بسبب ضربات الموج القوية، وقيل إن زملاءه الذين تعجبوا لبسالته خلعوا عليه، لقب الزعيم فى ذلك اليوم وما من شك أن هذا اللقب ظل ملازماً له حتى بعد أن مات ورحل عن الدنيا.

صفاته:

كان محمد على ذا قامة متوسطة له وجه طويل ولحية حمراء وعيون رمادية تحمل القوة أحيانا والرقة فى بعض الأحيان، وله جبهة عريضة وحواجب كثيفة كان بسيطاً هادئاً أنيقاً ويثيرا إعجاب واهتمام كل من يلتقى به، واشتهر بين زملائه وجيرانه وأهل بلدته بالشهامة والرجولة والنخوة وأداء الواجب وإبداء الرأى الحكيم وإسداء المعروف.

وكان مسكنه بميدان الأزبكية يتميز بالبساطة والرقة والإبداع والذوق الفنى فى تشييده وبنائه على الطراز الإسلامى الذى عشقه منذ أن كان فى مدينة قولة مسقط رأسه.

كان محمد على أميًا لا يقرأ ولا يستطيع الكتابة حتى سن السابعة والأربعين، وقد قال ذات مرة لبعض المقربين منه:

لقد أتيت إلى مصر فوجدت البلاد يسكنها جماعة من المتبربرين، ولم يكن بها أكثر من مائتى شخص يعرفون القراءة والكتابة باستثناء شخص واحد يصلح لأن يكون سكرتيراً لى، فبذلت كل ما فى وسعى لإدخال المدنية فى البلاد.

إن الحظ لم يسعدنى أن أتعلم فى صغرى؛ لقد بدأت فى تعلم القراءة

والكتابة وأنا فى السابعة والأربعين من عمرى، ولم يتح لى أن أرى بلاداً أرقى مدنية من بلادى.

إن ما يفتقده الأتراك هو ما يتوافر لدى الإنجليز، فليدهم الرجال الذين يصلحون للحكم، ولكن الأتراك متكبرون جهلاء، وسيودى بهم كبرهم، وأمنيتى أن يكون لدى مجلس شورى من الرجال الأمناء.

أصدقاؤه:

كان محمد على يميل بقلبه وعقله ومشاعره وعواطفه نحو صديق واحد فقط يدعى بوغوص بك الأرمينى وهو من بين أصدقاء محمد على الألبان لكنه كان الأوحد والأقرب إليه حيث ظل بجواره يعمل بكد وجد وإخلاص وتفانى مترجماً خاصاً له إلى جانب عمله مستشاراً ومساعداً وأمين أسراره وأعماله ومشروعاته الدقيقة والخاصة.

والشاهد أن هذا الرجل (بوغوص) قد ساهم بشكل متميز فى تشكيل، ودفع عجلة التجارة المصرية حتى نجح باقتدار فى أداء المهام الموكولة إليه من قبل محمد على؛ الأمر الذى أدى إلى ترقيته ليصبح وزيراً للخارجية حيث كان الرجل يتمتع بالذكاء والعبقرية ويملك وفرة هائلة من المعلومات والبيانات الدقيقة والهامة عن أحوال وظروف الأسواق الأوربية، فضلاً عن رؤيته الثاقبة لمجريات الأمور والأحداث السياسية.

وحين مات بوغوص بك حزن عليه محمد على حزناً شديداً، وأسف على فقدانه وخسارته الفادحة.

سكرتيره الخاص:

كان كامل بك ياور سكرتير محمد على الخاص، والذى كان يتولى تنظيم

شؤونه وتحديد مواعيده ومقابلاته، وقد أعـجب به محمد على باشا فزوجه ابنته زينب هانم صغرى بناته، وقد تلقى محـمد على باشا هدايا فى هذه الليلة قدرت أنذاك بنحو مائتى ألف جنيه فى عـام ١٨٤٥، وقد أفلس البعض من أجل تدبير هدية للباشا!!

أب مثالى:

كان محمد على باشا يستيقظ فى الرابعة صباحاً كل يوم، ويبدأ عمله اليومى باستقبـال نظاره لسماع التقارير الأخيـرة والاطلاع على أحوال البلاد، والوقوف على آخر التطـورات التى تتعرض لهـا البلاد، فضـلاً عن قيـامه بزيارة الدووابن والمواقع والعـودة بعد ذلك إلى المنزل حـيث كان يميل إلى الهـدوء، خاصـة عند مجالستـه لزوجته أمينة هانم، كما كـان حريصاً على ملاطفة أولاده ومـداعبتهم ومتابعـة دروسهم، خاصة ابنه حليم باشا الذى كـان بباريس، وزينب هانم التى كانت تتلـقى العلوم على يد معلمين تخـصصوا فى تـعليمهـا، ومتابـعة النظام الغذائى لابـنه سعيـد الذى كان يلتـهم الطعام بشـراهة حيث كان أكـولاً يتمـيز بضخامة الجسم وقـوة اليد؛ حتى قيل إنه يستطيع بها لطم الفيلة كمـا كان سعيد حليماً مـرحاً يميل إلى شراء أدوات السفرة والطهى بأغلى الأثمـان، وهو ما كان يثير دهشة والده محمد على.

الانفراد بالسلطة:

تأثر محـمد على باشـا كثيـراً بما ورد فى كتـاب (الأمير) للداهـية الإيطالى ميكافـيلى، وقد طلب محمـد على من الأب روفائيل ترجمـة هذا الكتاب، ثم أظهر مقـته وامتعاضه من الآراء التى سـاقها ميكافيلى، وهى الآراء التى طبـقها محمد على بـدقة وحرفية؛ مكنته من السـيطرة على الأمور، والانفراد بالسلطة،

واتخاذ القرار دون الرجوع لأحد، والتخلص من المقربين منه والذين مهدوا له الطريق وعلى رأسهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف.

وكان لافتاً للانتباه ومثيراً للأسى والأسف والدهشة أن السيد عمر مكرم كان صاحب اقتراح تعيين محمد على والياً على مصر، ويبدو أن محمد على باشا قد تأثر بشدة بمقولة ميكافيلى الشهيرة: «إن من يتسبب فى أن يصبح سواه قوياً فهو بذلك يقضى على نفسه بالدمار»، ومن ثم قرر الإطاحة بعمر مكرم حتى لا تقوى شوكته ويتعاظم دوره: فيهدد بقاءه، وقد كرم المشايخ والعلماء لاستمالتهم لصفه ضد عمر مكرم؛ حيث أعلن بعضهم مباركته وتأييده لخطواته وقراراته فسكنوا القصور وملكوا الضياع وادخروا الأموال، فاختنقت ضمائرهم حتى أن الشيخ عبد الرحمن الجبرتى أطلق عليهم حينئذ (مشايخ الوقت).

وحين اشتد النزاع بين محمد على وعمر مكرم طلب محمد على مقابلته لفض هذه الخصومة، وإنهاء المشاحنات التى دبت بينهما، بيد أن عمر مكرم رفض إتمام هذه المقابلة إلا بشروط، وقد قال آنذاك: «كما أصعدته إلى الحكم فإنى كفيل بإنزاله منه»، وحين ترامت تلك العبارة إلى مسامع محمد على أمر جنوده بالتوجه إلى بيت عمر مكرم، ونفيه إلى مدينة دمياط لمدة أربع سنوات، ثم انتقل بعدها إلى طنطا، وقضى بها حوالى سبع سنوات، ثم قرر محمد على عزله من نقابة الأشراف وخلعها على سلف الشيخ السادات.

ورغم ذلك حين أرسل عمر مكرم رسوله إلى محمد على للحصول على موافقته للذهاب إلى الأراضى الحجازية لأداء فريضة الحج، وافق محمد على فى التو ودون تردد قائلاً فى أسى: «أنا لم أتركه هذه المدة إلا خوفاً من الفتنة، والآن لم يبقِ شىء من ذلك فإنه أبى وبينى وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف».

وقد ذكر الجبرتى أن محمد على كـان عنيفاً حاداً لا يقبل أن يتدخل أحد فى شؤونه وقراراته، وحين فرض الضرائب الباهظـة على الشعب عارضه عمر مكرم وبعض العلماء الثقـاة الأجلاء الذين لا يخشون فى الله لومـة لائم، وذهبوا إليه جميعاً فى موكب احتجاجى، وقد رد عليهم بقوله: [أنا لا أرد شفاعتكم، ولكن نفسى لا تقبل التحكم وكأنكم تخوفوننى بهذا الاجتماع وتثيرون الرعية كما كنتم تفعلون أيام المماليك، فأنا لا أفزع من ذلك، ومن جعل من الرعـية أمراً فليس لهم عندى إلا السيف والانتقام].

ورغم تعاطف الشـعب مع عمر مكرم وأسفـه وحزنه على اضطهاد مـحمد على له، وسوء معاملته ومحاولة تشويه سـيرته وتلطيخ سمعته وتجريده من ألقابه ومحـاصرة داره وتأليب العلماء والمشايـخ عليه، رغم كل ذلك كان الشيخ عـبد الرحمن الجـبرتى يمقت عمـر مكرم ويكره سيرته مـحملاً عـمر مكرم مسـؤولية تنصيب محـمد على والياً، ومن ثم عليه أن يتـحمل مسؤولية تـعيينه على رأس البلاد، حيث يـقول الجبرتى بالحرف: [إن من أعـان ظالماً سُلِّط عليه، وأن الذى وقع له بعض ما يستحقه، ولا يظلم ربك أحد».

مـشروع نهضة مصر:

فى أعقـاب تولى محمـد على حكم مصـر قرر من فوره ضـرورة النهوض بالبلاد، وإعلاء شأنها مـهما كانت النفقات، ومهما بـلغت التضحيات، ومن ثم فكر فى تدبيـر مؤامـرة دقيقـة ضد المـماليك للتخلـص من شرورهم وفـسادهم وتدخلهم السـافر فى شؤون حكمـه، فكانت مذبحـة القلعة عـام ١٨١١ النهاية والخاتمة لعصر المماليك.

ثم حل الدور على الأشراف والأعـيان والمشايخ والعلمـاء، فقرر طرد عـمر مكرم كمـا أشرنا، وأغدق الهـدايا والعطايا على البعض، وهدد البـعض الآخر

بالويل والثبور وعظائم الأمور، فارتعدت الفرائص، وخرست الألسنة فطوى بيده صفحات النضال والكفاح.

وهكذا استطاع محمد على القضاء على كل من سولت له نفسه الاقتراب من أبواب قلعته، أو المساس بشخصه، أو فرض سياسته، أو إملاء إرادته، أو عرقلة مخططاته، فصار بعدها الحاكم والمالك الحاضر والمستقبل، وأصبح هو القائد والرمز والأب والإمام والفاتح وأيضاً المستبد.

والشاهد، وبعد هذه التطورات اتجه محمد على باشا إلى تدشين قواعد وأسس مشروعه النهضوى، ودفع عجلة الصناعة لبناء مصر الحديثة فأسس أول مصنع عام ١٨١٦ بمنطقة الخرنفش، وقد شيده رجل أعمال يدعى خميس عدس اشتهر بصناعة غزل الحرير، وذلك بالتعاون مع بعض العلماء الإيطاليين الذين استجابوا لدعوة محمد على لتنفيذ أهدافه وأحلامه، بعد ذلك أنشأ نحو خمسة عشر مصنعاً للقطن فى الوجه البحرى، خاصة شبين الكوم والمحلة الكبرى ودمياط ورشيد وشربين والمنصورة وزفتى وميت غمر ودمنهور، وقد تخصصت جميعاً فى صناعة الأقمشة باستثناء مصنع رشيد الذى اشتهر بصناعة قلوع المراكب.

وفى الوجه القبلى أسس نحو ثمانية مصانع فى بنى سويف وسوهاج وأسيوط وفرشوط والواحات وقنا وجرجا والمنيا، وكانت منتجات تلك المصانع تتجه إلى الجيش ثم يتم تصدير الفائض منها إلى أوربا والشام، ومضى محمد على فى تدشين المصانع حتى بلغت ٢٩ مصنعاً عام ١٨٣٧ .

فضلاً عن مصنع السكر الذى شيده فى مدينة المنيا.

واهتم محمـد على أيضاً ببناء السفن حتى تمكن من تـأسيس أسطول بحرى مهيب فى ترسانة الإسكندرية.

ومع الأسف فإن أغلب هذه الصناعـات قد تعرض للانهيار فى أواخـر عهد محمـد على، وقد أرجع الخبراء والمؤرخـون سبب ذلك إلى إصرار محـمد على باشا على تطبيق وتفعيل نظام الاحـتكار فى إدارة شؤون الدولة، ويحسب لمحمد على نجـاحه فى تنظيم أدوات ووسـائل التدوين داخل مكاتب البـريد والدواوين الحكومية، كما أسس أول نظام لمشروعات الصرف الصحى.

وللإنصاف فـقد تولى تطوير وتحـديث نظم التعليم المدنـى، فأرسل الطلاب إلى الخـارج لتحـصيل العلوم والنظـريات الحديثـة، فضـلاً عن دعوته للعلمـاء الأوربيين والخبراء المتخصصين فى كافة المجالات، سواء من النواحى العسكرية أو الاقتـصادية أو العلمـية أو البحـرية، وكما أدخل نظم وقـواعد وآليـات التعليم الفرنسى داخل مصر، وفى عام ١٨٣٢ شيـد مدرسة الفنون والصنايع، فتحولت لمعهـد تدريب كليات الضبـاط، ومضى فى تأسيس العـديد من الدور التعليمـية داخل المدن والأقاليم، كـما أنشأ مـحمد علـى مدينة الزقايق وأنار البـلاد وأعاد تخطيط المبانى، كمـا نجح محمد على فى بداية عهـده فى إدارة شؤون البلاد من خلال تقسيم مصر آنذاك إلى ٧ مديريات، وعلى رأس كل مديرية حاكم لإدراتها ولجباية الضرائب وبناء الجسور وحفـر الترع وبناء الطرق وإرشاد المزارعين ومتابعة مواسم الحصاد.

وهكذا بات عصـر محـمد على يتسم بالقـوة والنهوض والانطلاق والتـمرد والثورة، بـيد أن هذه المناقب التى تميـز بها عـهد محـمد على لم تشـفع له فى جبـروته وقسوته وعنفه وطغـيانه واستـبداده وظلمه وآثامه مع الشـعب المصرى؛ الذى اكـتوى بنار الجـبايات وكـرابيج النظار، ومن المآسى أن المزارعين قـد لاذوا

بالفرار إلى دمشق التماساً للراحة وبحثاً عن الأمان والاطمئنان، وتفادياً للسياط التى ألهبت جلودهم وأدمت نفوسهم وجرحت كبرياءهم، وقد كانت سوريا هى الملجأ والملاذ والقبلة التى اتجه الفارون إليها، وهو ما أثار حفيظة الوالى محمد على، ومن ثم أرسل رسوله على عجل إلى حاكم دمشق حاملاً رسالة شديدة اللهجة، وحذره من استقبال الهاربين من بطشه وقسوته وضرورة عودتهم إلى مصر مرة أخرى، وإلا أرسل إليه من يكبله ويقيده ويحمله إلى مصر، وهى الرسالة التى ألقت الرعب فى قلب والى دمشق، فرضخ واستجاب دون تفكر أو تدبر أو تردد خشية غضب محمد على باشا، فعادت فى التو جموع الفلاحين البؤساء للعمل فى السخرة الظالمة لشق الترع وحفر القنوات والانخراط فى صفوف الجيش الذى بلغ آنذاك نحو مائتى ألف جندى؛ استطاعوا غزو بلاد الشام والاستيلاء على منطقة الجزيرة العربية، وإلحاق الهزيمة بجيش السلطان العثمانى فى معركة نصبين ١٨٣٩، وبسط النفوذ المصرى فى بلدان الخليج واحتلال موانى إمارات الساحل العمانى؛ الأمر الذى دفع القادة الأوربيين لعرقلة نموه ونهوضه وانطلاقه خوفاً من استفحال جيشه وما يترتب على ذلك من أخطار تصيب مصالحهم فى مقتل إذا مضى على هذا النحو.

* * * *

زوجات محمد على ومستولداته

١ - **أمينة هانم:** وهى بنت على باشا الشهير «بمصر لى» وهو من سكان قرية نصرتلى التابعة لدراما، وقد جاءت إلى مصر فى عام ١٨٠٨ بعد أن دانت الأمور واستقرت فى يد زوجها.

بعد عدة أعوام وتحديداً فى رمضان ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية سافرت (أمينة هانم) إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج، وقد توجهت فى البداية إلى جدة ومنها انطلقت بموكبها ناحية مكة المكرمة، وفى ركابها نحو ٥٠٠ جمل تحمل خدمها وحشمها ومتاعها وطعامها، وفى (منى) التقى بها زوجها محمد على باشا، ونظراً لفخامة موكبها وهيبته وعظمته أطلق عليها أهالى الحجاز آنذاك «ملكة النيل» ويروى البعض أنه حين عقد ابنها إبراهيم باشا السفر إلى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين بهدف إخضاعهم لنفوذ البلاد المصرية. توجه إلى والدته لوداعها فعانقته ووضعت فى عنقه عقداً من الجواهر الثمينة، وقالت له: «لا تنزع هذا العقد من عنقك لا فى الليل ولا فى النهار حتى تبلغ الحجاز وتضعه بيدك على ضريح رسول الله ﷺ ورضخ إبراهيم باشا لرغبتها.

وتوفيت السيدة (أمينة هانم) الزوجة الأولى لمحمد على باشا فى عام ١٢٣٩هـ - ١٨٢٤ ميلادية، وورى جثمانها التراب بمدافن الإمام الخاصة بأسرة محمد على.

وفى خلال زواجها من مؤسس الأسرة العلوية أنجبت له:

١ - **الأمير إبراهيم باشا:** عام ١٢٠٤هـ - ١٧٨٩ ميلادية فى قرية «نصرتلى» إحدى قرى دراما، وقد تولى حكم مصر فى ٣ شوال عام

١٢٦٤هـ - ٢ سبتمبر ١٨٤٨، وتوفى فى ١٤ ذى الحجة ١٢٦٤هـ - ١٠ نوفمبر ١٨٤٨، ودفن بالقاهرة بمدافن الإمام.

٢ - **الأمير أحمد طوسون باشا:** المولود فى عام ١٢٠٨هـ - ١٧٩٣م فى قرية (نصرتلى) التابعة لدراما، وتوفى بمدينة رشيد فى ٧ ذى القعدة عام ١٢١٣ هجرية - ٢٩سبتمبر ١٨١٦ ميلادية ودفن بمدافن الأسرة بالقاهرة.

٣ - **الأمير إسماعيل كامل باشا:** ولد فى قرية نصرتلى أيضاً عام ١٢١٠هـ ١٧٩٥ ميلادية، وتوفى فى مدينة «شندى» بالسودان عام ١٢٣٨هـ - ١٨٢٢ ميلادية، وعاد جثمانه إلى القاهرة ليدفن بمدافن الإمام.

٤ - **الأميرة توحيدة هانم:** وهى زوجة محرم بك الذى عينه الوالى محمد على باشا حاكماً للجيزة، ثم حاكماً للإسكندرية، وقد أطلق اسمه على الحى الشهير بثغر الإسكندرية (حى محرم بك)، ثم عينه محمد على باشا بعد ذلك أميراً للأسطول المصرى. وقد ولدت بقرية نصرتلى عام ١٢١٢ هجرية - ١٧٩٧ ميلادية ولفظت أنفاسها الأخيرة بمدينة الإسكندرية عام ١٢٦٤ هجرية ١٨٤٧ ميلادية، ودفنت بالصالة الكبرى بالنبى دانيال بالإسكندرية.

٥ - **الأميرة نازلى هانم:** ولدت فى سنة ١٢١٤ هجرية - ١٧٩٩ ميلادية، وهى زوجة محمد بك الدفتردار الذى أرسله محمد على باشا إلى السودان لإخضاعه والسيطرة عليه، ثم بعث به إلى (شندى) لتأديب أمرائها والانتقام من أهلها الذين غرروا بابنه إسماعيل وقتلوه.

توفيت نازلى هانم فى عام ١٢٧٧ هجرية - ١٨٦٠ ميلادية، ودفنت أيضاً بجوار شقيقتها الأميرة توحيدة بالنبى دانيال. أما الزوجة الثانية التى تزوجها

محمد علـى باشا فهى السيدة (ماه دوران هانم) أوقـمش قادين، ولـم يرزق منها أولاداً، وقد توفيـت بالقاهرة فى ١٧ ذى الحجة ١٢٩٧ - ٢٠ نوفـمبر ١٨٨٠، ودفنت فى مقابر والدة الأمير محمد على باشا بشارع ابن الفارض بالقاهرة، وقد أوقفت نحو ١٣١٧ فدانا بمديريات البحيرة والقليوبية والمنيا والجيزة.

* * * *

مستولدات محمد على (ما ملكت يمينه):

١ - **السيدة أم نـعمان بك:** وقد أنجبت الأمير نعـمان بك، وتوفيت بالقاهرة فى عـام ١٢٣١ هجـرية - ١٨١٦ مـيلادية، ودفنت بـالمدفن العلوى بالإمام.

٢ - **عين حياة قادين:** أنجبت له الأمير محمد سعيد باشا (والى مصر) الذى ولد بالقـاهرة فى ٢٣ جـمـادى الآخـرة عـام ١٢٣٧هـ - ١٧ مـارس ١٨٣٢م، وتولى حكـم مـصـر فى ١٤ يوليـو ١٨٥٤م، وتوفى فى ١٨٦٣م، ودفن بالإسكندرية، ثم تـوفيت والدته بـعد رحـيله بعـامين ودفنت بجواره.

٣ - **ممتـاز قـادين:** أنجـبت له الأميـر حسين بك عـام ١٢٤١هـ - ١٨٢٥ ميلادية، وتوفـى فى فرنسا عام ١٢٦٣ هجريـة ١٨٤٧ ميلادية، ودفن بالنبى دانيـال بالإسكندرية، أما هى فـقد توفـيت عام١٨٦٨ مـيلادية، ودفنت بمدافن العفيفى بالقاهرة، وقبل أن ترحل عن الدنيا أوقفت ممتاز قادين وقف بلغت مساحته حوالى ٣٦٦٥ فدانا بنواحى المنشية الكبرى، ودرين بالغـربية، وهبت منهـا نحو ٢٤٩٠ فـدانا ريع على عـتقائـها، و٤٠٠ فدان أخرى ريع على مدفن ابنها المرحوم حسين بك.

٤ - «ما هوش قادين»: أنجبت له الأمير على صديق بك عام ١٢٤٣ هجرية - ١٨٢٨ ميلادية، وقد توفى فى عام ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م. أما هى فقد توفيت عام ١٢٨٢ هجرية - ١٨٥٦ ميلادية، وورى جثمانها التراب بمدافن الأمير محمد عبد الحليم باشا بمدافن الإمام.

٥ - (نام شاز قادين): توفيت بالقاهرسنة ١٢٨٦ هجرية - ١٨٩٦ ميلادية، ودفنت بمدافن الأسرة بالإمام، وقد أنجبت الأمير محمد عبد الحليم باشا عام ١٢٤٧ هجرية - ١٨٣١ ميلادية.

٦ - زيبة خديجة قادين: أنجبت الأمير محمد على باشا الصغير عام ١٢٤٨ هجرية - ١٨٣٣ ميلادية، وتوفى بالأستانة فى ١٨ ذى الحجة ١٢٧٧ - ٢٧ يونية سنة ١٨٦١ ميلادية، ودفن بجامع أبى أيوب الأنصارى، أما والدته فقد توفيت فى القاهرة عام ١٢٩٥ هجرية - ١٨٧٨ ميلادية، وقد ورى جثمانها التراب بمقبرتها الخاصة بشارع ابن الفارض بالقاهرة.

٧ - شمس صفا قادين: وقد رزق منها ببنتين الأولى هى الأميرة فاطمة هانم، وتوفيت بمدينة الإسكندرية فى ١٢٣٧هـ ١٨٢٢م، والثانية هى الأميرة رقية هانم، وتوفيت فى ١٢٢٩ هجرية - ١٨١٤ ميلادية، ودفنت بمدافن الأسرة بالإمام، وتوفيت والدتها فى ١٢٦٢هـ - ١٨٤٦م، ودفنت بمقابر الأسرة بالإمام.

٨ - شمع نور قادين: وهى صاحبة وقف «تفتيش صبيح» المشهور، وقد بلغت مساحته حوالى ٤٧٠٠ فدان، وأنجبت الأميرة زينب هانم عام ١٢٤١هـ - ١٢ أكتوبر ١٨٢٥م، وتزوجت من يوسف باشا كامل الصدر الأعظم، وهى صاحبة وقف شاوه المشهور ومساحته ١٠٢٠٠

فدان وفندق شبرد بالـقاهرة وما حوله، كما كانت تملك تـفتيش دنشال ٣٦٠٠ فدان، وقد ورثه شقيـقها الأمير محمد عـبد الحليم باشا عنها، ثم وقفه بعد ذلك وقفاً أهلياً وخـيرياً، وتوفيت والدتها شمع نور قادين مستولدة محمد على باشا الكبير فى ١٢٨٠ هجرية - ١٨٦٣ ميلادية.

٩ - **نايلة قادين**: لم تنجب أولاداً لمحمد على.

١٠ - **كلفدان قادين**: لم يرزق منها أولاداً، وقد توفيت بالقاهرة فى ١٢٨٨ هجرية - ١٨١٣ ميلادية، ودفنت بملحق المدفن الكبير بالإمام.

١١ - **قـمـر قـادين**: لم يرزق منها أولاداً، وقـد توفيت بالقـاهرة فى عام ١٢٨٥ هجرية - ١٨٦٨ مـيـلادية، ودفنت بمدفن الأمير محمـد عبد الحليم باشا.

وهكذا كان لمحـمد على زوجتان فقط، ونـحو ٢٧ مستولدة ذكـرنا بعض ما ورد منهن فى الوثائق والسجلات الرسمية، وقـد تعذر المؤرخون فى معرفة باقى المستولدات، بيد أنـهم قد استطاعوا الحصول على أسمـاء بعض الأبناء من أمثال الأميرة رقيـة هانم، والأميرة عائشة هانم، والأميرة زليـخة هانم، وثلاث أميرات باسم زينب هانم، والأمير محمود بك، وأمـيرين باسم عبد الحليم بك، والأمير حليم بك، والأمير جعفر بك، وأميرين باسم إسكندر بك.

وخلاصة تلك الموسوعة الأسرية العجيبة أن محمد على باشا الكبير قد أنجب ٣٠ ولداً ١٧ ذكراً و١٣ أنثى.

* * * *

وفاة محمد على

تعرض محمد على باشا لمحاولات اغتيال عديدة نظرا لكثرة خصومه وأعدائه، والذين اكتووا بنيران ظلمه واستبداده. الأمر الذى أرغمه على فرض حراسة شديدة حول قصوره، وقد اعتمد على ذلك ببعض رجال المماليك الفرنسيين بقيادة عبد الله التولوزى الذى اتصف بالولاء والإخلاص للباشا محمد على، وقد ورد أن أثناء تجوال محمد على باشا فى شوارع القاهرة تلقى دعوة من أحد قادة الجيش لاحتساء القهوة التى كان يعشقها، واستجاب محمد على للدعوة ودلف إلى بيت القائد العسكرى، ولكن نهض الحارس عبد الله التولوزى فى فزع، وهو يصيح فى وجه الباشا على غير عادته قائلاً: «لا قهوة اليوم إلا فى القلعة» وهى العبارة التى فهمها محمد على وأدرك مغزاها، وبالفعل اكتشف أن القهوة كانت تحتوى على سم قاتل كاد يقضى عليه لولا يقظة حارسه، ولكن الغريب أن إبراهيم باشا كان مسكوناً بهواجس من خلالها كان يعتقد أن والده محمد على يسعى سراً للتخلص منه، إما بالسم أو الاغتيال، وقد حاول إبراهيم مرات عدة تدبير مؤامرة لقتل أبيه، ولكن حال داء السل بينه وبين تلك المؤامرة حيث أجهز عليه هذا الداء وهو فى حياة أبيه، وقد كان محمد على قد فقد قدراته العقلية حيث إن الرواة أكدوا فى شهادتهم وأوراقهم أن الأطباء الأجانب حقنوه بجرعات من نترات الفضة بغرض معالجته من الدوسنتاريا، وقد تكون هذه الجرعات قد قضت بالفعل على الدوسنتاريا، لكنها أدت إلى إتلاف خلايا المخ تماماً، وقد أصبح محمد على بسبب هذا التدهور المفاجئ مختلاً عقلياً

يتعرض بين الحين والآخر لنوبات من الجنون، وقد اعتـقد البعض أن محمد على قد أرهقه عشقه للنساء، واعتقد البعض الآخر أن الشيخوخة أصابته بالهوس.

وفى ٢ أغسطس ١٨٤٩ لفـظ محمـد على أنفاسه الأخـيرة عن عـمر يناهز الثمانين عاماً.

* * * *

القائد إبراهيم باشا

«فاقت عبقرية القائد إبراهيم باشا العسكرية أشهر القادة وأبرزهم فى العالم ومع الأسف راحت المعاهد العسكرية تدرس خطط نابليون ومونتجمرى دون الوقوف على خطط وأوراق هذا القائد الفذ الذى لم ينهزم فى معركة عسكرية قط»

القائد إبراهيم

بعد أن ساءت ظروف محمد على الصحية، وتدهورت حالته إلى حد مخيف أسند وهو على فراش الموت إدارة حكومة القاهرة إلى حفيده عباس باشا.

ونظراً لأهمية وثقل مكانة إقليم الإسكندرية وموقعها الاستراتيجى أسند شؤون إدارته لنجله سعيد باشا، وذلك بتعيينه حاكماً عليها.

أما إبراهيم القائد الأسطورة والعبقرى الذى أبهر كافة المؤسسات العسكرية التى عاصرته والمعاهد العسكرية التى درست خططه ومعاركه فى مناهجها، فقد تولى بفرمان من أبيه زعامة ورئاسة وقيادة البلاد وذلك فى يونيه ١٨٤٨.

كان إبراهيم باشا بن محمد على قد ولد فى مدينة قولة عام ١٧٨٩ - ١٨٤٨. واشتهر بين زملائه بالشجاعة والبأس والإقدام حتى نال لقب (الجندى الشجاع) لذكائه وإجادته فنون القتال، فضلاً عن إجادته لعدة لغات حية منها اللغة العربية، والفارسية، والتركية، والفرنسية، وذلك إلى جانب شغفه بتحصيل العلوم والثقافات الحديثة والمتطورة.

هيئته: كان إبراهيم باشا قصيراً بديناً، وذا أنف مستقيم وعينين رماديتين ووجه ممتد، وممتلئ البدن، وقد تميز بالقوة الجسدية.

ومن الطريف أن إبراهيم قد تعرض فى صدر شبابه لواقعة غريبة أكدت شجاعته ورباطة جأشه ودوره الخطير فى إسناد الولاية لوالده حيث سلمه أبوه محمد على إلى السلطان العثمانى كرهينة لحين سداد مبلغ نقدى بلغ ٤٠٠٠

كيس من النقود مقابل موافقة السلطان العثمانى لإصدار فرمان يقضى بتعيين محمد على والياً رسمياً على مصر، وذلك عام ١٨٠٦ وقد علق محمد على باشا على تلك الواقعة المثيرة: [إنى أعرف الأتراك وأعرف الطريقة التى تنجح معهم فالرشوة وسيلة فعالة مع هؤلاء الناس]، وبالفعل أوفى محمد على بما تعهد به حتى أصدر السلطان فرمانه التاريخى لتعيين محمد على حاكماً على مصر، وأصدر أوامره بإطلاق سراح نجله إبراهيم بعد سداد الرشوة المتفق عليها.

ومع عودة إبراهيم باشا وإصدار الفرمان التاريخى تزينت مدينة القاهرة ثلاثة أيام فى احتفال شعبى ورسمى بالقلعة لتتويج محمد على حاكماً على البلاد بقرار رسمى.

بعد أن سيطر محمد على باشا على الأوضاع، واستقرت الأمور فى يده نصّب ابنه إبراهيم قائداً على الجيش المصرى لبراعته وإجادته فنون القتال والمعارك الحربية، فضلاً عن عبقريته العسكرية التى تميز بها، وقد تجلى دوره حين تمكن من وأد الحركة الوهابية، وبسط سيطرته على مكة والمدينة والدخول بقواته إلى الدرعية عام ١٨١٨، وقد أصبحت منطقة الأحساء تحت نفوذه إلى جانب القطيف وسواحل الخليج العربى وفلسطين.

لقد حقق إبراهيم باشا انتصارات غير مسبوقة حتى أنه قد اشتهر بالقائد الذى لم يهزم قط، وهو ما أثار دهشة وإعجاب قادة أوربا بعبقريته، وعزز مكانته بينهم، ومن ثم لم يكن مستغرباً، أو لافتاً للانتباه الاستقبالات الحافلة بأقواس النصر المنصوبة فى شتى الشوارع والميادين الباريسية، وهى تحمل أسماء

معاركه التى انتصــر فيها طوال فترة قيادته للجيش المصــرى، وقد استقبله الملك الفرنسى لويس فيــليب استقبالاً حــافلاً رائعاً تقديراً لمكانته العــسكرية فى أنحاء العالم ،وقد كــان شامبليون العالم الفــرنسى الشهير أحد أصــدقاء إبراهيم باشا وكثيراً ما التقيا معاً حتى أن إبراهيم باشا أرسل بعثة علمية لاكتشاف منابع النيل بإيعاز من صديقه شامبليون.

سيظل التاريخ يذكر إبراهيم باشا بوصــفه أبرز وأشهر القادة العسكريين فى التاريخ الحديث.

* * * *

زوجات إبراهيم باشا ومستولداته

١ - **خديجة إبرلجى قادين**: وقد توفيت بالقاهرة فى ١٢٨٧ هجرية ١٨٧٠ ميلادية، ودفنت بمقابر الأسرة بالعفيفى، وقد رزق منها الأمير محمد بك فى عام ١٢٢٩ هجرية ١٨١٤ ميلادية، وقد توفى فى ٧ ربيع الأول عام ١٢٥٣هـ الذى وافق ٢٤ ديسمبر ١٨١٩ ميلادية.

٢ - **(شيوه كار قادين)**: وقد رزق منها الأمير أحمد رفعت باشا فى ٢٦ ربيع الثانى ١٢٤١ - ٨ ديسمبر ١٨٣٥، وتوفى فى ١ شوال عام ١٢٧٤ - ١٥ مايو ١٨٥٨ فى حادثة سقوط قطار سكة حديد بقرية كفر الزيات التابعة لمديرية الغربية وقتذاك، وقد دفن بالإمام، أما والدته فقد توفت فى ١٢٨١ هجرية ١٨٦٤ ميلادية، ودفنت بمدافن الإمام.

٣ - **خوشيار قادين**: وقد رزق منها الخديو إسماعيل المولود فى سراى المسافر خانه ليلة ١٧ رجب ١٢٤٥ - ١٢ يناير ١٨٣٠، وتقلد العرش ٢٨ رجب ١٢٧٩ - ١٩ يناير ١٨٦٣، ودفن بمسجد الرفاعى بالقلعة بعد وفاته فى سراى أمرجيان بإستانبول فى ٦ رمضان ١٣١٢ - ٢ مارس ١٨٩٥، أما والدته فقد أوقفت أماكن عديدة لصرف ريعها على مسجد الرفاعى بالقلعة، وقد توفيت عام ١٨٨٦، ودفنت بنفس المسجد.

٤ - **(ألفت قادين)**: رزق منها الأمير مصطفى بهجت فاضل المولود فى القاهرة فى ٢٩ شعبان ١٢٤٥ - ٢٢ فبراير ١٨٣٠، وتوفى فى إستانبول فى ١٢ شوال ١٢٨٥، - ١١ نوفمبر ١٨٧٥ ونقلت رفاته

إلى مصـر فى عام ١٣٤٥ هجـرية - ١٩٢٦ ميلادية، ودفـن بالجامع الذى أطلق اسمه عليه قبل وفاته بشارع درب الجماميز بالقاهرة.

٥ - **كلزار قـادين:** توفيت فى مصـر فى ١٨ جمادى الأولى ١٢٨٣ - ٩ أكتوبر عام ١٨٦٥، ودفنت بالعفيفى دون أن يرزق منها بأولاد.

٦ - **سارة قـادين:** توفيت فى مصـر فى ١٤ شوال عام ١٢٨٦ - ١٧ يناير ١٨٧٠، ودفنت أيضاً بالعفيفى، ولم يرزق منها بأولاد.

وكان للقائد إبراهيم باشا بنتان هما الأميرة أمينة التى توفيت فى ١٢٤٥هـ- ١٨٢٩ ميلادية، والأميـرة فاطمة التى ولدت فى ٢ ربيع الأول ١٢٣٩ هجرية/ ٦ نوفمبر ١٨٣٣، وتوفيت فى ١٢٤٨هـ - ١٨٤٢ ميلادية، وقد تم دفنها بمقابر الإمام فى محيط الصالة الكبرى، وربما أنجبتهما كلزار قادين وحدها أو من سارة قادين فقط أو منهما معاً.

وهكذا كـان إبراهيم شـأنه شأن والـده يعشق الزواج، ويرغـب فى كثـرة الإنجاب لبناء أسرة كبيرة كان يحلم بها محمد على الذى عاش وحيداً فى مصر قبل اعتلائه على العرش، ومن ثم كـان لافتاً للانظار تلك المراسلات التى كان يبعث بها محمد على إلى ابنه إبراهيم أثناء قيـادته للجيش فى معاركه وفتوحاته خارج مصر حيث كـان محمد على يردد خلالها عبارة مـأثورة يقول فيها: «إنه يريد الأمان لأسرته».

* * * *

على أية حـال مـضى إبراهـيم على درب والده فى إدارة شـؤون الدولة والانتصارات والفتوحات العسكرية بذكاء وشـجاعة واقتدار حتى وافته المنية فى حيـاة محـمد على عـام ١٨٤٨ بعد أن داهمـه السل الرئوى الذى نهش رئتـيه

كالوحش ليسدل الستار على قائد عبقرى ظلمه التاريخ وأسقطه المؤرخون من صفحاتهم، بينما فاقت عبقريته العسكرية أشهر القادة وأبرزهم على مستوى العالم، ومع الأسف راحت المعاهد العسكرية تدرس خطط نابليون ومونتجمرى دون الوقوف على خطط وأوراق القائد إبراهيم باشا ذاك الذى أبهر قادة أوربا وملوكها فى عصره، وراح كل منهم يتودد إليه ويشيد بذكائه ومهارته ونبوغه.

إن هذا الرجل يستحق الكثير تقديراً لدوره، وامتنانا لرسالته واحتراما لانتصاراته التى نتفاخر بها أمام الأمم، ونرددها دون خجل نحن غزونا العالم فقد كنا وكنا دون أن نرد الجميل لأهله، ونسدى المعروف لصانعه، والإنصاف لمستحقيه والحق للمظلومين.

* * * *

الخديو إسماعيل

«ستظل بصمات الخديو إسماعيل رغم خطاياه، ناصعة جلية واضحة وضوح الشمس تتراءى أمامنا فى كل بقعة من بقاع هذا الوطن الغالى»

الخديو إسماعيل

ولد الخديو إسـماعـيل فى ١٢ يناير ١٨٣٠، وهو ابن القائد إبراهـيم باشا وأكبـر أبنائه، وحفيد مـحمد على الكبـير، وأول أحفاده، ووالد الملك أحـمد فؤاد، وجد الملك فـاروق الأول والأخير، وقد أردنا أن نسـرد على عجل نبذة مختصرة وخاطفة حول تلك الأسـرة خاصة أجداد الملك فاروق حتى يتسنى لنا قراءة كف حقبته قراءة دقيقة متأنية واعية على ماضيه، وذلك من خلال الإبحار فى هذا التـاريخ وتلك الأسرة التى حـكمت مصـر زهاء قرنين من الزمـان فى ظلهما تغير وجه التاريخ ومعالم الحياة، فتبدلت أحوال وحدثت أهوال فاكتظت بالعبر والدروس لمن أراد أن يتعظ ويعتبر.

فى صباه شكا إسـماعيل من ألم شديد فى عينيه فـأرسله والده إلى النمسا للعلاج، وحين طاب لـه العيش فى فيـينا قرر البقـاء بها بجـوار أخيه الأمـير حليم، واستكمـال الدراسة بها خاصـة أنه يكبر أخاه بنحو أربعين يومـا فقط، وربما لهـذا السبب فـقط كـانت الخلافـات والمشاجـرات بينهـما لا تنتـهى ولا تتوقف، وقد أرجع المؤرخون سبب ذلك إلى خشية إسماعيل من مزاحمة أخيه الأمير حليم فى الوصول للعرش.

والواقع أن توريث الحكم بين أبناء أسرة محمـد على كان يرتكز على تولية الأكبر سناً حيث تولى إبراهيم باشا مقاليد حكم البلاد بوصفه أكبر أولاد محمد على سناً، وقد ظل حـاكماً حوالى سـتة شهـور فقط، ثم مات فى حيـاة أبيه محـمد على، فأسند الحكم إلى حـفيده عـباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤)، ثم أعقـبه محـمد سعـيد بن محـمد على (١٨٥٤ - ١٨٦٣)، ثم شهـدت البلاد

فجيعــة حادث كفر الزيات الشهيرة، والتى وقع فـيها قطار الإسكندرية فى نهر النيل المتجه إلى رشيد، وكان على متنه الأمـير أحمد رفعت باشا الذى كان ولياً للعــهد آنذاك، ويتـرقب حكم البلاد، وقـد لقى مصـرعه غـرقاً فى نهـر النيل لتتحول دفة الحكم إلى إسماعيل بن إبراهيم على أثر تلك الحادثة، فيتولى ولاية العهد بوصفه الأكبر سناً بين أفراد أسرة محمد على، وقد حاول إسماعيل وهو على رأس الحكم تعديل قـواعد وآليات توريث العرش حتى يتـسنى له تنصيب ابنه توفـيق خلفاً له بدلاً من الارتكاز على قـاعدة الأكـبر سناً التى من شـأنها استبعاد توفيق، وهو ما يثير غيظه وخـوفه ،خاصة أن الأمير محمد عبد الحليم بن محـمد على (حليم باشا) كان يتـولى فى ظل حكمه ولاية العهـد ويترقب لحظة وثوبه على أريكة العـرش، ومن ثم بذل إسـماعـيل قصـارى جهــده فى تعديل نظام الحكم بواسطة تقديم الرشا والهدايا وشراء الضمائر؛ حتى تمكن من استصدار فرمان من السلطان العثمـانى يقضى بتولية نجله توفيق حكم البلاد بعد رحيله، ورغم مخططات إسمـاعيل ومؤامراته لتنصيبـه ولده توفيق حال وفاته، فقد تغـيرت الأمور وتولى توفيق مصـائر البلاد فى حياة إسمـاعيل عام ١٨٧٩ بعد أن صدر فرمان من السـلطان العثمـانى بعزله وتعيين توفيق خلفاً له وترحيله قسراً إلى الأستانة.

على أية حال سيظل الخـديو إسماعيل من بين أبناء أسرة محـمد على مثاراً للجدل والخلاف والاختلاف والتباين بين أساتذة التاريخ والمؤرخين، خاصة وأن الخديو إسماعـيل بذل الجهود بغية تطوير وتحديث مـصر والنهوض بها، وذلك باتباع وسائل وتـفعيل سياسـة ومنهجية جـده محمد على الكبيـر والتى دفعت عجلة التقدم والنهوض والتنمية داخل البـلاد للأمام فى مشروع قومى جبار أراد من خلاله بناء أمـة على أسس وقواعد متطورة وحـديثة تتواكب مع المتـغيرات الدولية والثورة الصناعية الفاعلة والمتفجرة فى أوربا.

ولعل بصمات الخديو إسماعيل ستبقى علامة مضيئة فى تاريخ أسرة محمد على رغم النقد الحاد الذى شنه عليه مؤرخو الأمة؛ حتى وصفوه بالسفيه والمبذر والمخرب والمدمر، وقد يكون ذلك صحيحاً، وإن كان لا ينفى دوره فى نهضة مصر فى كافة المجالات بغض النظر عن الديون التى تراكمت على مصر فى عهده؛ الأمر الذى أدى إلى تغلغل النفوذ الأجنبى فى إدارة شؤون البلاد، وبسط السيطرة على مواردها بحجة تدبير الديون وجدولتها.

والشاهد أن إسماعيل قد أضفى على مصر الكثير من السمات والخصائص التى ميزتها عن سائر بلدان الخلافة العثمانية، بل كانت لها الريادة فى شتى المجالات على سبيل المثال أنشأ مجلساً للأعيان لأول مرة فى تاريخ البلاد كما كان له الفضل فى تشييد ثانى خط سكك حديدية مصرى فى العالم، وتمكن من إعادة إحياء صناعة النقل البحرى، فضلاً عن تطوير وتحديث مصانع النسيج، وبناء مصانع أخرى للمساهمة فى زيادة الإنتاج، وشهدت مصر فى عهده طفرة هائلة فى صناعات الأسلحة والتعدين واستخراج العطور، وقد شيد مصانع السكر وتكرير العسل وتقطير الكحول، واتجه أيضاً إلى تصدير السكر المصرى إلى اليونان وسوريا وتركيا فى مجالات مختلفة ومتعددة، خاصة فى الزراعة حتى قال عنه الباحث البريطانى «مولهول» فى مقال نشرته مجلة كونتمبوررى: «إن الترع النيلية التى أقامها إسماعيل، وبلغت ١١٢ ترعة ستظل أبداً من أعظم الأعمال التى شيدها، وبفضل هذه الترع تمكن الأهالى من استصلاح ١,٣٧,٣٠٠ فدان يبلغ مجموع دخلها السنوى ١١ مليون جنيه؛ أضف إلى ذلك العديد من الكبارى التى أنشأها، وقد بلغت نحو ٤٣٠ على وجه الدقة».

ما أروع الشهادة إذا نطق بها من لا يحمل هوى أو غرض فى قلبه، وظنى أن مثل هذا الباحث لا هم له سوى كشف النقاب عن وجه الحقيقة فقط.

وهو ما يكشف زيف الذين روجوا الأباطيل فى كتب التاريخ إرضاءً للثوار، وطمعاً فى لعب أدوار، فتاهت الحقيقة، وتجلى الباطل فى أكبر عملية تزييف للتاريخ.

إننى لا أدافع عن عصر محمد على بمجمله، لكننى أريد فقط إجلاء وجه الحقيقة، وإنصاف من يستحق من أبناء تلك الأسرة، وكشف من فعل ببلادنا وأهلنا سوءاً لوجه الله والوطن، أما أن نصف تلك الحقبة بالسوداء رغم ما شهدته مصر من تطور ورقى، فإننا كمن يضع البيض كله فى سلة واحدة.

إننى لا أستطيع أن أخفى دهشتى من هؤلاء الذين وصفوا عهد الخديو إسماعيل بعصر الذهب الأول، وقد كان الأستاذ محمد حسنين هيكل يقف على رأس هؤلاء الذين شوهوا تاريخ تلك الأسرة فى محاولة ساذجة لتلميع جمال عبد الناصر ورفاقه، وكأن تاريخ مصر الحديث قد بدأ منذ اندلاع ثورة يوليو وهو التدليس والتزييف الذى مارسه هيكل دون خجل من الحقائق والتاريخ.

إن بصمات الخديو إسماعيل رغم خطاياه ستظل ناصعةلامعة جلية مشرقة تتراءى أمامنا فى كل بقعة من بقاع هذا الوطن العزيز.

إن ترعة الإسماعيلية التى بلغت نحو ٩٨ كيلو متر، وترعة الإبراهمية التى وصل طولها حوالى ١٥٠ كيلو متر، قد تم حفرهما فى عهد إسماعيل، وأن مساحات الترع التى حفرت فى ظل حكمه بلغت ٩ آلاف ميل بل إن خطوط السكك الحديدية بلغ ألف ميل وخطوط التلغراف جاوزت نحو خمسة آلاف ميل، وهى أرقام لا يستطيع أحد إنكارها، أو الالتفاف حولها، أو التشكيك فى صحتها.

والخديو إسماعيل هو أيضاً الذى أسس الجمعية الجغرافية، كما أنه هو الذى نهض بتحديث فنون الطباعة، وتولى استكشاف منابع النيل، والقضاء على تجارة الرقيق.

وفى ظل عهد إسماعيل أقيم نحو ٤٨١٧ مدرسة، وجعل اللغة العربية هى اللغة القومية الأولى ولغة الكتابة الرسمية للبلاد، أضف إلى ذلك دوره البارز فى بناء وإنشاء دار الكتب المصرية ودار العلوم والمتحف المصرى الذى بات قبلة للوفود السياحية فى مصر حالياً، والخديو إسماعيل هو الذى قام بتفعيل فكرة تأسيس البنوك القروية لإقراض الفلاحين ومساعدتهم.

إنه هو الذى أقام حديقة الحيوان فى الجيزة والأسماك بالزمالك والأزبكية والروضة والمنشية والظاهر واليابانية والعديد من الحدائق المنتشرة فى ربوع مصر.

هذه نماذج من أعمال الخديو إسماعيل، وإن كنا لا نغفل عن خطاياه، وعلى رأسها تراكم الديون فى عهده، وتبذيره وإسرافه خلال إقامة حفلات وسهرات لأصدقائه من الأجانب، والحرص على دفع أموال باهظة كرشوة للسلطان ضماناً لبقائه وتوريث ابنه فى تولى مقاليد الحكم، فضلاً عن مصاريفه الباهظة حتى أنه قد دعا ألف مدعو من بلاد أوربا فى حفل افتتاح قناة السويس، وهو ما أدى إلى تضخم الديون حتى أن بريطانيا لجأت لشراء جزء من سندات قناة السويس عام ١٨٧٠؛ حتى باتت تتحكم فى إدارة شؤون البلاد تمهيداً للتدخل العسكرى فى عهد ابنه توفيق.

وأمام الأزمة الخانقة التى تعرضت لها البلاد اضطر إسماعيل للتنازل قسراً عن العرش والرحيل إلى الأستانة، وذلك عام ١٨٧٩ لتنتهى حقبة تاريخية مثيرة للإعجاب والدهشة أيضاً.

* * * *

زوجات الخديو إسماعيل ومستولداته

١ - **فريال هانم**: وقد رزق منها فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ - ٢٦ مارس سنة ١٨٦٨ الملك فـؤاد الأول والد الملك فاروق فى ٢٣ من شهر ذى الحـجة سنة ١٣٠٥، وقفت فريال هانم نـحو ٨٢٦ فداناً بمديرية الشرقية (مركز منيا القمـح) على نفسها طوال مدة حياتها، ثم على ذريتها عقب وفاتها.

٢ -**شفق نور هانم**: ورزق منها فى ١٠ رجب ١٢٦٨ - ٣٠ أبريل ١٨٥٢ الخديـو توفيق، ولهـا وقف على الحرمين الشـريفين حرم مكة المكـرمة وحرم المدينة المنورة.

٣ - **نـور قلـك هـانم**: وقد رزق منـها فى ١٩ صفـر سنة ١٢٧٠ - ٢١ نوفمـبر سنة ١٨٥٣ السلطان حسين كـامل الذى تولى السلطة فى ١٩ ديسـمبـر سنة ١٩١٤ (٢ صفـر ١٣٣٣)، وتوفى فى ٢٢ ذى الحجـة ١٣٣٥ - ٩أكتوبر ١٩١٧.

٤ - **مثل ملك هانم**: ورزق منها فى ٢١ ذى الحجة ١٢٧١ - ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٥٤ الأمير حسن باشا.

٥ - **جنانيــار هانم**: رزق منها الأمـير إبراهيم حلمى عـام ١٢٧٧ هجرية ١٨٦٠ ميلادية، والأميرة زينب هانم عام ١٨٥٩.

٦ - **جهان شاه قادين**: وقد أنجبت له الأمير محمود حمدى فى عام ١٢٨٠ هجرية ١٨٦٣ ميلادية.

٧ - **شـهرت فـزا هانم**: وقد رزق منها الأميرة تـوحيدة أو (تفيدة) فى ٢٣

رمضان عام ١٢٦٦ - ٢أغسطس سنة ١٨٥٠، والأميرة فاطمة فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٦٩ - ٣يونية ١٨٥٣.

٨ - **مثل جهان قادين**: أنجبت له الأميرة جميلة فاضلة فى عام ١٨٦٩، وتوفيت فى دار السعادة.

٩ - **نشئة دل قادين**: رزق منها الأميرة أمينة فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٠، والأميرة نعمت (مختار) فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٧٦، وللأميرة نشئة دل وقف مشهور يحمل اسمها فى مديرية الشرقية مساحته ٢٠٣٨ فداناً، وتوفيت فى مصر ٢٥ جمادى الآخر ١٣٤٢ - ٣٠ يناير ١٩٢٤.

١٠ - **بزم عالم**: (عجز المؤرخون عن الحصول على أية معلومات بشأنها.

١١ - **جشم آفت هانم**: (نفس الأمر).

١٢ - **حور جنان قادين**: أنجبت له الأميرة أمينة فى عام ١٢٨١ - ١٨٦٤، ووقفت ١٠٥٠ فداناً، وآخر ٢٤٩ فدانا، وثالثا ٤١٣ فداناً بمدينة الغربية.

١٣ - **فلك ناز قادين**: رزق منها الأمير رشيد بك فى عام ١٨٦٩.

١٤ - **جمال نور قادين**: أنجبت له الأمير على جمال باشا فى ١٨٧٥.

* * * *

الملك فؤاد

«عاش فؤاد بسبب الديون وقبل اعتلائه للعرش رافضاً ومرفوضاً كارهاً ومكروهاً ثائراً ومكبوتاً ينشد الخلاص من أوحاله ويتطلع للارتقاء بأحواله ويحلم بفك أغلاله ولذلك راح يفكر ويتأمل لعله يتمكن من النهوض والانطلاق والثورة والتمرد على مارد الفقر وشبح الإفلاس الذى سكنه وطارده واعتاد إذلاله»

الملك فؤاد

ولد الملك فؤاد نجل الخديو إسماعيل ووالد الملك فاروق فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة ١٢٨٤هـ - ٢٦ مارس ١٨٦٨ ميلادية، وقد جاءت لحظة ميلاده شبيهة بلحظات الولادة المتعسرة حيث انتقلت دفة الحكم من والده الخديو إسماعيل. عقب تنازله عن العرش قسراً وجبراً بأوامر أصدرها الباب العالى بالأستانة لتراكم الديون التى أمست خطراً جسيماً يهدد مصر بتدخل أجنبى حدث بالفعل فى عهد ابنه الخديو توفيق، وذلك عملاً بنظام توريث الحكم الذى استحدثه إسماعيل وطبق عملياً فى عهد توفيق، ومن بعده ابنه الخديو عباس حلمى الثانى (١٨٩١ - ١٩١٤).

وعقب انفجار شرارة الحرب العالمية الأولى التى تناثرت شظاياها، وتوهجت فى كل اتجاه، تغيرت منها ومعها أحوال العالم، وبالتالى لم تكن مصر بمنأى عن هذا التغير؛ إذ قررت الدولة العثمانية آنذاك ضرورة الانضمام إلى ألمانيا وحلفائها ضد بريطانيا ومن يدور فى فلكها.

على أثر ذلك قررت إنجلترا تأديب تركيا، وذلك بإعلان فورى عن فرض حمايتها على مصر على أن تركيا من جانبها قد تمسكت بموقفها وتفعيل قرارها، وهو ما أدى بوزير الخارجية البريطانى لتصعيد حالة الغضب الرسمى، وراح يصدر قرارات اتسمت بالعصبية فكانت صارمة وصادمة، ومنها على سبيل المثال ما أدى إلى عزل الخديو عباس حلمى الثانى[١] وانتقال العرش إلى عمه حسين كامل بن إسماعيل.

---

(١) بعد إعلانه الانضمام إلى المحور الألمانى.

الشاهد أن حسين كامل قد امتعض هذا السلوك البريطانى السافر والمتعجرف والمهين، وراح يعلن عن رغبته وأمنيته فى الحصول على بيعه جلية نقية من أبناء أسرة محمد على ومن كبار الأعيان والعمد ومشايخ المدن والقرى المصرية دون ضغط أو إكراه حتى يطمئن قلبه بأن اعتلاءه للعرش جاء نزولاً على رغبة آل محمد على، وتعبيراً عن إرادة الأمة، وتجسيداً لسيادة قرارهم بدلاً من المجىء على أسنة رماح بريطانيا، وخوفاً من سيوفها وهو ما اعتبره الإنجليز تجاوزاً وخروجاً على الخطوط الحمراء وعلى ما هو مألوف من أسرة محمد على.

واقع الحال أن هذا التصرف كان بالفعل غريباً على أفراد الأسرة العلوية الذين يتكالبون على العرش دون خجل أو ملل، وهو ما جعل وزير خارجية بريطانيا يتميز غيظاً ويستشيط غضباً حتى أنه قد بعث بخطاب شديد اللهجة إلى حسين كامل هدده من خلاله بإلغاء الحكم نهائياً من أسرة محمد على إذا مضى على هذا النحو الشاذ، ولأن حسين كامل قد استخف بتهديد الخارجية البريطانية، وأصر على إتمام رغبته فقد كلفت الخارجية البريطانية بواسطة القنصل الإنجليزى أحد أثرياء الصعيد ووجهائه ويدعى محمود باشا سليمان بتوليته سلطاناً على البلاد بدلاً من حسين كامل، بيد أن محمود باشا سليمان قد رفض قبول هذا العرض خوفاً من اتهامه بمحاباة الإنجليز، وهو ما دفع ابنه محمد محمود رئيس الوزراء فى عهد فؤاد وفاروق أن يقول أمام الملك فؤاد فى ثقة وثبات رداً على هجوم عنيف شنه عليه وعلى والده:

[أنا ابن من عرض عليه الملك فأبى] وهى العبارة التى أخرست فؤاد وألجمته بعد أن سأل محمد محمود أنت ابن من ومن هو أبوك؟!

على أية حال.. تراجع حسين كامل ورضخ لمطالب الإنجليز بعد أن تبين له صدق تهديداتهم، ومن ثم استجاب للتوجيهات والتعليمات حرصاً على عرش

أسرتـه، وخوفـاً من زواله وتولى عرش السلطنة فـى عام ١٩١٤، وقـد أصدر فرماناً بتعيين نجله الأمير كمال الدين حسين ولياً للعهد فى حال عودته من لندن بعد انتهاء دراسته العلمية، وكان مـثيراً للدهشة آنذاك رفض الأمير كمال الدين حسين العودة إلى مصـر احتجاجاً على تعيينه ولياً للعـهد حيث كان يرى أنه لا يميل إلى الجاه والنفوذ والسلطان رافضاً قـيود العرش وبروتوكولاته قانعاً بما بين يديه حتى بدا لـلجميع أسطورة قلّمـا يجود الزمان بمثـلها خاصـة حين قال فى بساطة وثقة: [إننى متزوج من أجـمل امرأة، ولدى أجمل جواد فماذا أريد من الدنيا بعـد ذلك؟] لقد كانت كلماته طلقـات لكمات لدغات صفـعات لطمات رصاصات على وجه كل من سولت له نفـسه القفز والوثوب والانقضاض على العـرش بالدسائس والمكائد والوشـايات والمؤمرات دون أن يعـبأ أحـدهم بصلة رحم أو وشائج قربى أو رابطة دم أو بما بين يديه من نعم وخيرات.

لقد رفض هذا الشـاب جاه السلطة ونفوذها وبريق العرش ووجـاهته، وقد بعث بخطاب لوالده السلطان حسين كامل أو قل وثيقة تاريخـية أو سبيكة ذهبية مخطوطة بماء الزهد وبحـروف لامعة متـوهجة روحانية يقول فـى رسالته: [يا صاحب العظمة السلطانية:

ذكرتمونى عظمتكم بما اتفقتم عليه مع الحكومة البريطانية الحامية وقت ارتقاء عظمتكم السلطة المـصرية من تأجيل وضع نظام وراثة العـرش السلطانى إلى ما بعد بحثه، وقد تفضلتم عظمتكم فأعربتم عن رغبتكم فى أن تكون وراثة عرش السلطنة منحصرة فى الأكبـر من الأبناء، ثم بعده لأكبر أبنائه، وهكذا على هذا الترتيب، وإنى لأذكر لعظمتكم هذه المنة الكبرى لما فى هذه الرغبة من التشريف لى. أعلن أننى مع إخلاصى التام لشخصكم الكريم وحكمكم الجليل مقتنع كل

الاقتناع بأن بقائى على حالتى الآن يمكننى من خدمة بلادى بأكثر مما يمكن أن أخدمها به فى حالة أخرى، لذلك أرجو من حسن تعاطفكم أن تأذنوا لى أن أتنازل عن كل حق أو صفة أو دعوى كان من الممكن لى أن أتمسك به فى إرث عرش السلطنة المصرية بصفتى ابنكم الوحيد، وإنى بهذه الصفة أقر الآن بتنازلى عن جميع ذلك، وأننى لا أزال لعظمتكم السلطانية النجل المخلص والعبد الكثير الاحترام.

القاهرة فى ٨أكتوبر ١٩١٧

ابنك :

كمال الدين حسين

«انتهت الوثيقة»

كان لافتا للانتباه أن هذه الرسالة التاريخية قد وردت إلى قصر عابدين قبل وفاة السلطان حسين كامل[1] بساعات قليلة الأمر الذى أدى إلى ارتباك شديد داخل القصر الملكى حيث كان الأمير الزاهد كمال الدين حسين هو الابن الوحيد لوالده (ذكراً) فقد توفى شقيقه أحمد كاظم فى ١٥ أبريل ١٨٨٤ عن عمر يناهز أربع سنوات فقط، بينما ظلت شقيقاته على قيد الحياة وكانت الأميرة (كاملة) كبرى شقيقاته، وقد توفيت عام ١٨٩٥، وبعدها الأميرة (كاظمة) التى توفيت فى ١٩٣١ عن عمر يناهز أربعة وأربعون عاماً ثم الأميرة (قدرية) التى ولدت فى ١ يناير ١٨٨٨، وبعدها الأميرة (سميحة) المولودة فى ٧ يوليو ١٨٨٩، ثم الأميرة (بديعة) المتوفية ١٩١٣، ولأن نظام التوريث كان ينتقل إلى الذكور، فقد اندثر من بيت حسين كامل، وانتقل إلى شقيقه الأمير

(١) توفى نتيجة إفراطه فى تناول الطعام فى إحدى الحفلات الرسمية.

أحـمد فـؤاد الذى لم يكن يأمل، أو حـتى يتطلع إلى هذا العـرش ظناً منه أن الأمير كمال سيعود لتوه من لندن لتولى السلطنة خلفاً لوالده، وهكذا شهد فؤاد ليلة القـدر، وهو فى التاسـعة والأربعين من عـمره حين تلقى خـطاباً رسمـياً بخلافـة شقيقـه السلطان حسين كامل ليـحمل لقب السلطان فؤاد بعـد أن كان الأمير أحمد فؤاد.

أول ملوك مصر:

بعد أن تولى السلطان فؤاد مـقاليد الحكم ومفاتيح العـرش للسلطنة المصرية شهدت البـلاد فى عهده تطورات عالمية خـطيرة، ومتغيـرات ما من شك كانت مؤثرة ومثـيرة لعل كان أبرزها نفى سعد زغلول زعـيم الأمة على يد الإنجليز، وما أعقب ذلك من اندلاع ثورة ١٩١٩، وتعـاقب الحكومات وحل البرلمانات، ثم صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أكد اعتـراف بريطانيا باستقلال مصر شريطة إجراء مفاوضات ثنائيـة بين الطرف المصرى من جانب ونظيره البريطانى من جـانب آخر بـهدف الوصـول إلى حل دائم يرضى الجـمـيع، وهى حجـة تذرعت بها إنجلترا للمماطلة والتباطؤ فى الخروج النهائى من البلاد.

كما شـهدت مصر أيضاً فـى تلك المرحلة الفؤادية مسألة تأسـيس الدستور حيث صـدر فى عهده دسـتور ١٩٢٣ خاصـة وأن مصر قـد تحولت إلى مملكة دستورية مستـقلة بعد إعلان الاستقلال ورفع الحماية البـريطانية ليتوج فؤاد أول ملك فى تاريخ البلاد.

لقد حـرص الملك فؤاد أثناء فترة حكمـه للبلاد على ترسيخ قـواعد ونظم وآليات توريث العـرش الملكى فى البلاد إلى ابنه فاروق، وذلك إيثاراً لـلسلامة وتفاديا لأية نزاعات أو صدامات قد تقع حال وفـاته، خاصة وأن الأمير محمد

على بن الخديو توفيق يتطلع إلى الوثوب على العرش حيث كان يرى أن أسرته جديرة به بدلاً من أسرة فؤاد.

من أجل هذا وذاك جعل فؤاد وراثة العرش مستمرة لابن ملك البلاد، وفى حالة عـدم إنجاب الملك (ولد ذكر) ينتقـل العرش إلى أبناء أسرة محـمد على، وبذلك تأكد لكل ذى عينين أن فاروق هو الملك القادم خلفـاً لأبيه طبقاً لدستور معـدل وآليات مـستحـدثة ومواد طارئة، وهو مـا يتناقض بالطبع مع مـا سبق الإشارة إليه من نموذج الأمـير الزاهد كمال الدين حسـين الذى أدار ظهره لفتنة العرش ومبـاهجه وصولجانه، فعـاش رمزاً للكرامة وخالداً فى صفـحة التاريخ الإنسانى كقدوة ونبراس للزاهدين القانعين.

* * * *

حياة فؤاد:

[كان الملك فؤاد قبل اعتلائه العرش مجـرد أمير صعلوك يشكو عسرة الحال ويهجـو سوء الأحوال التى يعيـشها حيـث كان أقل أبناء الخديو إسمـاعيل ثراءً ونفوذاً، وإن كان أكـثرهم وأبرزهم بذخاً وإسرافـاً وتبذيراً فتبـدد ما آلَ إليه من أسـرته، وهو قليل رغم أن والدته الأمـيرة فـريال قد وقـفت نحو ٨٢٦ فـداناً بمديرية الشرقيـة (مركز منيا القمح) على نفسـها مدة حياتها وعلى ذريـتها حال وفاتها].

[واقع الأمر أن الأمير أحمد فؤاد الذى نال علومـه السياسية والعسكرية فى العاصـمة الإيطالية روما تحت عناية ورعـاية آل سافوى ملوك إيطاليـا وأصدقاء والده الخديو إسماعيل، قد اكتسب عادات وتقاليد غـربية أرهقته كثيراً فيما بعد حيث عاد مبكراً إلى مـصر للبحث عن دور أو وظيفة تليق بأمـير عائد لتوه من قصور آل سافوى، وابن الخديو إسماعيل وشقيق سلطان البلاد، لكنه عجز عن

تدبير وظيفة تليق به حيث كان يتصف بالغرور والصلافة، وراح شأنه فى ذلك شأن بعض أفراد الأسرة العلوية فى إدمان الخمر وعشق النساء وممارسة القمار، وكان فى ذلك يقتفى أثر والده الخديو إسماعيل وآل سافوى].

[ولأن الأمير أحمد فؤاد لم يكن من الأثرياء الصالحين، فقد مضى فى عربدته ورعونته وتبذيره حتى غاص فى أوحال الديون التى كبلته وحاصرته بأغلالها، فعاش أسيراً لها، ومن ثم لم يكن مستغرباً أن يقترض من سائقه وخادمه وحارسه وبارمان فندق شبرد وبائع الملابس النسائية المثيرة التى كان يهوى اقتناءها وإهداءها لعشيقاته!!

* * * *

عاش فؤاد بسبب تلك الديون الباهظة بين الناس رافضاً ومرفوضاً كارهاً ومكروهاً ثائراً ومكبوتاً ينشد الخلاص من أوحاله، ويتطلع للارتقاء بأحواله ويحلم بفك أغلاله، لذلك راح يفكر ويتأمل لعله يتمكن من النهوض والانطلاق والثورة والتمرد على مارد الفقر وشبح الإفلاس الذى طارده وسكنه واعتاد إذلاله.

خطرت فى بال وعقل فؤاد فكرة الزواج من منطلق الإيقاع بفريسة تتمتع بثراء شديد تسدد له ديونه المتراكمة، وتخرس ألسنه الذين تطاولوا عليه، وليس من باب سد الفتن أو استكمال نصف الدين، فلم يكن فؤاد بطبعه يميل إلى الالتزام أو الانضباط السلوكى، بل كان بطبعه يعشق السمر ويهوى السهر ولا يمل من الانحناء أمام موائد القمار أو النساء أو كليهما معاً.

وربما صاح فؤاد كما صاح من قبله أرشميدس قائلاً: «وجدتها وجدتها» وبالفعل كانت تلك العروس أو قل طوق النجاة أو الفانوس السحرى أو بساط

الريح على بعـد خطوات من منزله علاوة على أنهـا واحدة من أشـهر أمـيرات الأسرة العلوية من حـيث الثراء والعـزوبية، فالأمـيرة شويكار هى ابنة الأمـير أحمد رفعت نجل إبراهيم باشا، وشقـيق الخديو إسماعيل أى أنه عم الملك فؤاد أيضاً، وقد لقى مصرعه فى حادث سقوط قطار بمدينة كفر الزيات فى ١٥ مايو ١٨٥٨ تاركاً وراءه ثروة طائلة لأبنائه كانت بينـهم الأميرة شويكار، وشقيـقتها الأميرة عين الحياة أحمد زوجـة السلطان حسين كامل شقيق فؤاد، وقد تزوجت فى ١٥ يناير ١٨٧٣، وطلقت فى عام ١٨٨٥، ثم توفيت فى ١٢ أغسطس عام ١٩١٠، وأنجبت منه الأمـير كمال الدين عـام ١٨٧٤، ثم الأميرة كاظمـة عام ١٨٧٦، والأميرة كاملة عام ١٨٧٧، ثم الأمير أحمد كاظم عام ١٨٧٩.

كما كان للأميرة شويكار شـقيق آخر يدعى الأمير سيف الدين، وقد ادعى البعض أنه كان يعـشقها إلى حد الجنون حـتى أنه أودع فى مصحة نفسـية بعد محاولته الفاشلة فى اغـتيال فؤاد زوج شقيقته، وسـوف نستعرض الدوافع التى أدت إلى ارتكاب هذا الحادث.

على أية حال تم عـقد القرآن بين الأميـر فؤاد، وابنة عمه الأميـرة شويكار وذلك عام ١٨٩٥، وطبقاً لما هو مرسوم ومـخطط فى أجندة فؤاد التآمرية، فقد أغدقت عليه زوجـته بأموالها وهداياها وعطاياها وحنانها وعطفـها حيث كانت تكبره بسنوات، فضـلاً عن فشلها المتكرر وحظها التعس فى زيجاتـها السابقة، وهو ما دفعها للحرص والحفاظ على زيجة فؤاد تجنباً وتفادياً للقيل والقال الذى اشتهرت به صالونات قصور وبيوتات أسرة محمد على باشا.

مضت العلاقـة بين فؤاد وشويكار على وتيرة هادئة طوال عـامين كان فؤاد خلالها لا يتخلـى عن ممارسة لعب القمار ومعاودة السـهر، وما ترتب عليه من

آثام، وكـانت شويكار على استعـداد قبـول وتحمل إنفـاقه وإسـرافه وتبـديده لأموالها، أو شرابه للكحوليات، كما كان بوسعها أن تغفر له بذاءة لسانه وسوء بيانه، وبالـفعل صبـرت وثابرت وسكتت وتحملت حـتى بلغها بـأنه مع غوانى فندق شبرد وعـلاقته الشهـيرة مع مدام سوراز اليهـودية التى تطلع للزواج منها لولا زواجهـا وديانتها حـتى نفد صبـرها وضاق صدرها فـانفجرت الخـلافات وتفاقـمت المشاجرات إلى أن منعـها من مغادرة غـرفتهـا، وقد أوسعهـا ضرباً بالكرباج مصحوباً بلعنات وشتائم وبذاءات، وقـد روى أحد حراسه أنه جذبها من شعرها على درجات سلم قصر الزعفران أمام خدمها وحراسها دون أن يعبأ بمكانتها وقيمتها..

مثل أى امرأة ضاقت شويكار ذرعاً بهذا الزوج السفيه العربيد الخائن، وهى التى انتشلته من وحل ديونه بعد أن ضاقت به الدنيا، وبدلا من رد جميلها راح يخونها ويرتمى فى أحضان غيرها، فلماذا تتحمل ولمصلحة من إذن؟ خوفها من أقاويل صالونات محمد على فلتذهب إلى الجحيم كل هذه الأقاويل حتى تنتصر لكرامتـها وعزتها، ثم إن بذاءة فـؤاد وسفالتـه واعتداءه عليهـا بالكرباج أمر لا يمكن تحمله أو السكوت عليه، ولعل هذا كان السبب المباشـر فى اعتداء شقيقها الأميـر سيف الدين على فؤاد، وذلك بإطلاق ثلاث رصـاصات عليه استـقرت الأولى فى قدمه والثانية فى صدره والثـالثة فى حنجرته، وقد تمكن الأطباء من استـخراج الرصـاصتين الأولى والثـانية لكنهم عـجزوا وفـشلوا فى استـخراج الرصاصة الثالثـة التى كانت قد استقرت فى حنجرته حتى أصـبحت مثار تهكم وسخرية واستـهزاء من الآخرين فمن ادعى أن صوته بدا لسامعيـه كفحيح ومن زعم أنه كالنباح!!

فؤاد ونازلى:

بعــد وقوع الطلاق بين فــواد وشويكار وإخــفاق جــميع محــاولات الأهل والأصدقاء، وفشلهــا فى الجمع بينهما مرة أخرى تزوجــت شويكار عدة مرات بينما ظل فؤاد عازباً عازفاً فى ملذاته ونزواته وشــهواته وسهراته خاصة وأنه قد استطاع توفير مبلغ هائل من المال أثناء زواجه من شويكار تحسباً لسنوات ما بعد الانفصال حــيث كان يرى أنه لن يتحمل مــستقبلاً قــيود الزواج وأغلاله، وأنه سرعان مــا سوف يعود مرة أخــرى كعصفــور يغرد على جميــع الأشجار دون محاسبة أو مساءلة أو مداخلة من أحد.

فى تلك الفتــرة الانتقــالية فى حيــاة فؤاد قام الخــديو عباس حــلمى الثانى بتعيينه كبيراً للياوران، وذلك نظيــر راتب بلغ نحو ثمانين جنيهاً شهرياً، وذلك حتى يتسنى له أن يعيش عيشة كريمة ورغدة تليق بأحد أبناء الأسرة العلوية، بيد أن فؤاداً كعادته كان مسرفاً شديد الإسراف مبذراً إلى أقصى حدود التبذير.

* * * *

وفى أعقاب وفــاة شقيقــه السلطان حسين كامل المفاجــئة إثر التهامــه وجبة طعام دسمة، وبعد إعلان ابنه كمال الدين حسين رفضه التاريخى لتولى العرش تلقى فؤاد خطاباً رسمياً من القنصل البريطانى بتوليه العرش خلفاً لشقيقه.

ومنذ طلاق فؤاد وشــويكار عام ١٨٩٨، وحــتى توليه العــرش عام ١٩١٧ كان فــؤاد عازباً مــضرباً عن الزواج طوال تلك الفــترة حتى بعــد أن وثب على أريكة العرش فى عام ١٩١٧.

وفى عام ١٩١٩ أشــار عليه خلصــاؤه ومعاونيــه بضرورة الارتبــاط بزوجة تنجب له ولداً يرثه ويرث عرشه من بعده حتى لا ينتقل إلى غريمه الأمير محمد

على ابن الخديو توفيق الذى يتربص وينتظر اللحظة المناسبة للوثوب على العرش.

وربما لهذا السبب أو لأسباب أخرى من بينها الاستقرار أو الوجاهة الاجتماعية استجاب فؤاد لنصيحة معاونيه، وأمرهم بالبحث عن عروس من أبناء الشعب تتمتع بذكاء وجمال وأنوثة، ولم يسبق لها الزواج فضلاً عن انتمائها لأسرة عريقة لا يشترط أن تكون من أسرة محمد على، وعلى أن تليق بعظمة السلطان وبعرش البلاد بوصفها السلطانة الجديدة.

وعلى قدم وساق تم البحث والتحرى والاستكشاف حتى وقعت واستقرت عيون رجاله على الآنسة الفاتنة والجميلة نازلى ابنة عبد الرحيم باشا صبرى المدير السابق لمديرية المنوفية.

كانت نازلى قد فرغت من دراستها وأتمت تعليمها فى إحدى المدارس الفرنسية، وقد توفت والدتها مبكراً فعانت الوحدة واكتوت من العزلة، وتاقت إلى الزواج عوضاً عن فراغها ومللها.

وحين بلغ نبأها لعظمة السلطان فؤاد أرسل رسوله إلى والدها ليخبره بعزمه على الزواج منها، وقد فوجئ والدها بما قصه عليه رسول السلطان حتى كاد الرجل أن يسقط مغشياً عليه، فبدا كمن أصيب بالتولة لا يدرى أيحزن أم يفرح؟

لقد كان عبد الرحيم باشا صبرى يعرف أن فؤاد زير نساء عربيد اشتهر بصولاته وجولاته ورحلاته مع عشيقاته، وأن رائحته قد فاحت، ثم إنه يكبر ابنته بسنوات عديدة، وقد سبق له الزواج من ابنة عمه شويكار، وروى عن تلك الزيجة ما يدفع أى عاقل للرفض دون تردد، ولكن هل يجرؤ عبد الرحيم

باشا على رفض هذه الرغبة السلطانيــة، ولما لا تتزوجه ربما يكون قد توقف عن نزواته خاصة وأنه قد جاوز الخمسين من الـعمر، وعلى أية حال فسوف تصبح نازلى سلطانة البلاد وسـيدة القصور والضيـاع والأملاك التى بدأ فؤاد يضع يده عليها منذ اعتلائه العرش.

* * * *

الواقع أن الأقاويل الـتى تناثرت حول هذا الزواج قـد راجت وشاعت بين الناس فيمـا بعد فمن زعم أن نازلى رفضت الزواج من السلـطان لارتباطها مع شاب يدعى شريف شـاهين بقصة حب عنيفـة وتنوى الزواج منه، وأنها هربت بصحبتـه قبل إتمام زفافها على السلطان بساعات، وأنها عـادت مرة أخرى بعد مطاردة رجال حاشيـة السلطان لها وإلقاء القبض على حبيـبها، ومن ادعى أنها وافقت على الفـور حيث كانت طامحـة متطلعة حالمة بالجـاه والسلطة والنفوذ، فهى حفيـدة (سيف وانلى) أو سليمان باشا الفرنسـاوى الضابط الفرنسى الذى استدعاه محمد على لتولى مهام تدريب الجيش المصرى.

والحـقيـقة أننـى أميل إلى ذلك الرأى، لأننى لا أتـصور أن السلطان فـؤاد سيقبل أن يتزوج من فتاة هربت قبل زفافها بســاعات مع عشيقها أو حبيبها، ثم يتمسك بالزواج منها فى فضيحة لا تتواءم مع العقل والمنطق.

أغلب الظن أن نازلى كانت تربطهــا علاقة حب مع شاب أو آخـر وانتهت حال بلوغها نـبأ زواج السطان منها طمعاً فى العرش وحـباً فى النفوذ والسلطة مثل أى فتاة فى هذا السن المبكرة.

* * * *

على أية حـال تم الزواج بين فـؤاد ونازلى وعاشـا مـعـاً والحب والغيـرة تجمعهما، خاصة وأن فؤاداً زير النساء الشهير لا يثق فى امرأة قط بعد أن التقى

سراً بالعديد منهن، ومن ثم أخفق فى التمييز بين هذه وتلك وصارت كلهن بغايا وغانيات وخائنات، ولأن نازلى كانت جميلة وفاتنة فقد ألزمها غرفة نومها وأصدر أوامره بعدم خروجها منها حتى لا يراها حراسها، وإن كانوا من الطواشى[1].

من جانبها أحست نازلى هى الأخرى بالغيرة على زوجها الذى كانت رائحة الخيانة تفوح منه وتظهر علامتها كلما وقعت عيناها على فتاة متنفخة البطن من خادمات وعبيدات القصر الملكى.. هكذا زعموا وادعوا وإن كنت بدورى لا أبرئ السلطان فؤاد من ذلك إطلاقاً.

وبغض النظر عن سوء أو حسن العلاقة بين فؤاد ونازلى وما تناثر حول كراهية نازلى لزوجها الذى عجز عن إشباع رغباتها، أو غير ذلك من تلك الأقاويل التى كان يتعذر على أحد معرفتها مهما كان موقعه فى داخل القصور الملكية أقول رغم كل هذه الادعاءات أن العلاقة بينهما أثمرت عن إنجاب العديد من الأبناء الذين بدأت أسماؤهم بحرف الفاء تيمناً باسم والدة السلطان فؤاد الأميرة فريال زوجة الخديو إسماعيل.

وقد أنجبت نازلى خمسة من الأبناء ظنى إن دل ذلك على شىء فقد دل وبرهن على أن العلاقة بين فواد ونازلى كانت على عكس ما شاع البعض عنها، خاصة وأن سنوات الولادة بين الأبناء كانت متقاربة إلى حد كبير بما يؤكد إلى أن ما قيل كان من قبيل الأكاذيب والافتراءات.

ففى ١١ فبراير ١٩٢٠ ولد الملك فاروق، ثم فى ٥ فبراير ١٩٢١ ولدت الأميرة فوزية، وفى ٨ نوفمبر ١٩٢٣ ولدت الأميرة فائزة، وفى ٨يونية ١٩٢٦

(١) العبيد الخصيان.

ولدت الأميـر فائقـة، وبعد ذلك ولدت آخـر عنقود الأسـرة الفؤادية الأمـيرة فتحية، وذلك فى ١٧ ديسمبر عام ١٩٣٠ .

تجدر الإشـارة هنا إلى أن فؤاداً كان قد أنجـب من زوجته الأميـرة شويكار ولداً يدعى إسمـاعيل ولد بعد عـام من زواجه ومات بعـد عام من ولادته، ثم أنجب أيضاً الأميرة فوقية عام ١٨٩٧ .

* * * *

فى أحضان تلك الأسرة الدافئة مـضت سفينة زواج فؤاد ونازلى حتى لفظ الملك فؤاد أنفاسه الأخيرة فـى عام ١٩٣٦، وبين عام ١٩١٩ عام زواجه وحتى رحيلة كانت الـعلاقة شأن أى زوجين تدور بين المناوشات والمـداعبات، واللين والشدة، والشوق والملل، والأمل والألم، واليـأس والرجاء، والحب والكراهية والغيرة والشك، ودفء الأولاد قبل وبعد كل هذه الظواهر .

* * * *

الملك فاروق

«كن رجلاً كالرجال.. عبارة ظلت تدق رأس فاروق بعد أن ترددت على لسان والده فؤاد الذى كان معروفاً بقسوته وغلظته وجبروته وطغيانه واستبداده»

مـولده ونشـأته

ولد فاروق فى ١١ فـبراير ١٩٢٠ بسراى عـابدين كأولى ثمـار زواج فؤاد ونازلى، وبقدومـه السعيـد نام الملك فؤاد ليلتـه قرير العين هادئ البال مـسرور الحال سعيد النفس بعد أن اطمئن قلبه ببـقاء العرش وامتداده فى محيط أسرته، وإفشـال مخطط ابن عمه الأمـير محمـد على ابن الخديو توفيق ليـصبح بذلك فاروق الأول ابن فؤاد الأول ملك مصر القادم.

وكما هو شـائع ومعروف فإن نشأة أطفـال القصور الملكية تختلف اخـتلافاً كلياً عن نشأة أقرانهم من أطفال الأسر الوطنية بسائر طبقاتها وثقافتها.

ففـى داخل القصـور الملكية لا ينبـغى - وذلك طبقـاً للأعراف والـعادات والتقاليد والبروتوكلات والوجاهة الاجتـماعية - أن تتولى الملكة الأم مهام تربية طفلها وتدبيـر شؤونه، كما لا يجوز لـها أن تدلله أو تداعبه أو تلاطفـه كسائر الأمهات، وإنمـا تتولى تلك المهام الإنسانيـة الدافئة والرقيـقة مربيات أجنـبيات سويسريات وإنجليزيات وإيطاليات!!!

وكـأى طفل ملكى تربى فـاروق بعيـداً عن أحـضان والدته، فـفقـد دفء مشاعرها وحنانهـا وعذوبتها ورقتها، ومن ثم عاش فى كنف مـربيات أجنبيات حنانهن مصطنع ورقتهن لا تخلو من شبهة نفاق أو مجاملة.

ورغم أن غـرفة نوم فـاروق لم تكن تبـعد بأكـثـر من خطوات من غرفـة والدته، لكنها بدت فى عـينيه، وكأنها على بعـد آلاف الأميال فقضـى طفولته وفقـاً لقواعد جامـدة، ونظم باردة، وتعليمات مشـددة، ولهجات متـضاربة، ولغات متعددة، ولكنات متناقضة، وعيون مختلفة، وألوان متداخلة ووجوه من

أنحـاء شتى إيطاليـات سـويسريات مـصريات إنجليـزيات فـرنسيـات تركيـات سودانيات نوبيات.

* * * *

ويسبب تلك التناقضات والتضاربات والقواعد الصارمة والتوجيهات الحازمة لم يكن فاروق طفلاً سعيداً حيث كان يتطلع إلى حياة الآخرين وحرياتهم، كما كان يأمل أن يتحرر من قيود مربياته وأغلال معلميه كان تواقاً للسفر فى صحبة جمـاعيـة دون قيد أو شـرط، ويتمنى الذهاب إلى المدرسـة بدلاً من تأتى هى إليه.

كان الطفل متلـهفاً أيضاً على الانغمـاس فى ممارسة الرياضة الجمـاعية مع زملاء المدرسة، ومتشوقاً للتردد على بيوتهم دون خوف أو حرج.

وربما تجمـعت فيمـا بعد كل هذه الأمانى والتـطلعات معـاً فى عقل وقلب فاروق كأنها مظاهرة حاشدة ضد سـجنه الملكى الذى ترعرع فى زنزانته الفخمة وقيـوده المصنوعـة من الذهب وسلاسله المحـلاة بالماس وأغلاله المغـموسـة فى الياقوت.

وربما أيضاً كـان ذلك دافعاً وسـبباً جـوهرياً لاندفاع فـاروق لممارسة كـافة النزوات والشهـوات والهفوات والملذات، والقـفز فوق أسوار القـيم والأخلاق انتقاماً من طفولتـه التعيسة التى كانت حافلة ومتـميزة بالمحظورات والممنوعات والمحرمات.

طفولة عاشها كافة الملوك والأمـراء الذين حالت نشأتهم من ممارسة حياتهم كما ينبغى لها أن تكون، ومن ثم لم يكن مستـغرباً أو لافتاً للانتباه أن تبدو لنا وجوه أبناء القصور الملكية وكأنها مصنوعة من نحاس أو قصدير أو من رخام أو

بورسلين فهى باردة جامدة كـجليد سيبريا، كما تخلو من الحيـاة وتفتقد للروح تماماً مثل إنسان آلى.

* * * *

«كن رجلاً كـالرجال» عبارة ظلـت تدق رأس فاروق بعد أن ترددت كثـيراً على لسان والده فـؤاد الذى كان مـعروفاً بقـسوته وغلظته وجـبروته وطغـيانه واستبداده، بينما كانت أمه نازلى تتمـيز بالحنان والعذوبة، لكنها لا تستطيع كما سبق وأن أشرنا أن تتـرجم هذه المشاعر حتى لا يتعـارض ذلك مع تربية ونشأة ملك البلاد القادم طبقاً لمناهج القصور الملكية!!

وفى الوقت الذى يستطيع فيه الملك فؤاد تأنيب وتأديب وتهذيب ابنه فاروق بالشدة والقسوة والعنف لم يكن أحد يسمح لنازلى أن تحنو على ولدها أو حتى تطبع قبلة حـانية على خده بحـجة أن هذه السلوكيـات الإنسانية من شـأنها أن تفسد الطفل، ومن ثم قد يتأثر فيمـا بعد وقد لا يستطيع أن يمسك بزمام الأمور على من حوله أو ترهيبهم وإثارة الخوف فـى نفوسهم كملك للبلاد، وذلك فى منضدة عريقة مزركشة بالورود والفضيات النادرة ومن خلفه يقف خادمان نوبيان يرتدى كلا منهما ثياباً خضراء اللون وقـفازات بيضاء، وغالباً ما يكون الدجاج المشوى والفاصوليا الخضراء وكـعكة الشيكولاتة وعنقود العنب هى الوجبة التى اعتاد فاروق على تناولها.

بعد أن ينتهى من تناول وجبة طعام الغذاء ترافقه مسز جيروا إلى غرفة نومه لمعاونته فى خلع ملابسه، ثم يستسلم للفـراش لمدة ساعتين ليستيقظ بعد ذلك، ثم تأتى مســز جيروا مرة أخرى لمسـاعدته فى ارتداء ثيابه الرسمـية والمكونة من بدلة حريـرية خضراء اللون مـحلاة بيـاقات وأساور بـيضاء لينضم بـعدها إلى شقـيقاته الأميـرات لممارسة اللعب داخل الحـديقة، بعد تلك الـفسحة يتـوجه

بصحبة مسز جيروا إلى غرفة والدته الملكة نازلى للجلوس معها لمدة نصف ساعة فقط ينتقل بعدها إلى غرفة نومه، ثم يبدأ الخادم النوبى فى مساعدته فى خلع ثيابه لتناول حمام المساء، ثم تنتظره مسز جيروا على فراشه لكى تقص على مسامعه حدوتة ما قبل النوم حتى يستسلم بعدها لسبات عميق، ليبدأ يوما جديداً فى هذا القالب المتجمد الذى يبعث على الملل والكآبة كأنه عصفور كنارى يغرد في قفصه الذهبى يتطلع لكل العصافير التى تحلق من حوله على الأشجار فى حرية وانطلاق.

* * * *

لم تكن مسز جيروا هى المربية الوحيدة التى تولت رعاية وعناية وتربية الأمير فاروق، بل كان هناك الكثير غيرها من أمثال مدام أنا نايلور وقد كانت أرملة أحد الأطباء الإنجليز فى مقاطعة يوركشير، وقد اتصفت تلك المربية بالحزم والشدة والانضباط، ولعل ذلك كان سبباً كافياً فى كراهية فاروق لها وشكوته منها لخادمه النوبى، بينما كان يحب مسز لوسى سيرجنت الإيرلندية الأصل حيث أغدقت عليه كثيراً برقتها وعطفها وأدبها وتواضعها وطيبة قلبها، فأحبها كثيراً عن سائر المربيات الأخريات.

كان هناك أيضاً الفريق عزيز المصرى الذى كان من أبرز القادة العسكريين ومن دعاة القومية العربية حيث أسند إليه الملك فؤاد مهمة تربية الأمير فاروق تربية عسكرية تتصف بالرجولة والشجاعة والإقدام والصلابة، كما تولاه الرائد طيار أحمد حسنين الذى تولى فيما بعد رئاسة الديوان.

يوم فى حياة فاروق:

كان الطفل الصغير فاروق يستقبل يومه كل صباح بمغادرة فراشه فى تمام

الساعة الثامنة صباحاً بعد أن تبـدأ فرقة الموسيقى الملكية عزف السلام الملكى فى حديقة القصر بالقرب من نافذة غرفته.

قبل ذلك بدقـائق يكون خادمـه النوبى الأسمر قـد فرغ من تجـهيز الحـمام وإعداد ثيابه وترتيبها بدقة متناهيـة. وبعد أن يتناول الأمير فاروق حمام الصباح تأتى مربيته الإنجليزية الجنسية والسـويدية الأصل، وتدعى مسز جيروا سجوبرج كمـا أوردت في مذكراتهـا الخاصة تأتى لمعـاونة فاروق فى ارتداء مـلابسه، ثم تلازمه إلى أن ينتهى من تناول فنـجان الشاى مصحوباً بكسـرة من الخبز وقليل من الزبد والمربى.

بعد أن يتناول الأمير الصـغير وجبة إفطاره يدخل غرفـته رئيس فريق الخدم الخاص بعنايته ورعايتـه فى زيه الأحمر المزركش، وهو يقبل الأرض التى يخطو عليها فاروق، ثم سـرعان ما ينهض فى رشاقة وخفة ليقـبل يد الأمير، وبعدها يصحـبه فى هدوء بالغ إلى حديقـة القصر وهو يـرفع بيده مظلة لوقاية الأمـير الصغير من لفحة الشمس أو حمايته من حبات المطر إذا كان خفيفاً.

وطبقاً للتعليمات والأوامر يظل الأمير فاروق جالساً فى حديقة القصر حتى يتحلى من خلالها بشيمة التريث والصـبر وعدم الاندفاع والتهور والتعجل، ثم تجالسـه مسز جيـروا سجوبرج لتروى علـى مسامعـه حكاية أو رواية تحمل من المعانى ما يساعـدها على تنمية مهارات الطفل مبكراً، ثـم بعد ذلك تقف فرقة الموسيقى الملكية لعزف قطعة موسيقية تتواءم مع حداثة سنه.

وحين يقف عقرب الدقائق معلناً أن الساعـة أصبحت الحادية عشر إلا ربعاً تنهض مسـز جيـروا سجوبرج من مـقعدها المجـاور لفاروق للبـدء فى ممارسة التمرينات الرياضية حتى تبلغ الساعة الحادية عشر تماماً.

فى تلك اللحظة بالذات وبشكل يومى لا يتسرب إليها الملل تتولى مسز جيروا يد الأمير الصغير، ثم تبدأ فى تمشيط شعره، وبعدها تصحبه إلى غرفة والدته الملكة نازلى لمصافحتها والتحدث إليها لمدة ساعة، ثم يغادر غرفتها بصحبة مسز جيروا إلى قاعة الطعام الملكية لكى يتناول طعام الغذاء بمفرده الديوان الملكى لفؤاد ومن بعده فاروق - تولى مهمة تربيته ورعايته فى أثناء دراسته بلندن.

ولعل كل هذه الشخصيات المختلفة والمتناقضة قد أدت إلى انشطار وانقسام فى شخصية فاروق حيث كانت إحدى المربيات تتصف بالحزم والشدة، وأخرى باللطف واللين والرقة، وأخرى بين هذا وذاك، فضلاً عن رباطة جأش وخشونة الفريق عزيز المصرى، وفوضوية وميوعة الرائد أحمد حسنين واستخفافه بمستقبل فاروق بوصفه ملك البلاد القادم.

وهكذا تلقى فاروق تعليمه وتربيته ونشأته على يد أجناس مختلفة وجنسيات شتى وثقافات متعددة على أثرها حدثت تأثيرات خطيرة على سلوك وشخصية وتصرفات فاروق فيما بعد.

* * * *

تعليمه:

كان فاروق يمقت التعليم بشدة، ويكره تحصيل الدروس كراهية لا نظير لها، وكثيراً ما تلقى فاروق توبيخاً وتقريعاً من معلميه وفى خزائن سراى عابدين عثر رجال ثورة يوليو فيما بعد على كراسات الواجب الخاصة بفاروق أثناء تلقيه دروسه فى سن الطفولة، وقد بدت على أغلبها ملاحظات عديدة سجلها معلموه كان من بينها على سبيل المثال تلك العبارات:

١ - [من المؤسف والعار ألا تعرف تاريخ أجدادك].

٢ - حسن خطك الردئ.

٣ - اهتم بنظافة دفترك.

ومن خلال تلك الملاحظات يبدو أن فاروق كان طالباً مـهملاً إلى حد بعيد يكره مادة التاريخ ولا يميل إلى الاطلاع عليـها، أو حتى سماع دروسـها، كما كان خطه يثير أعصاب معلمه، وكم أحـاطه علماً بضرورة تحسينه حتى يتجنب العـقاب من والده الملك فـؤاد الذى كان يـتابع باهتـمام شـديد أحوال فـاروق التعليمية، ولا يتـوانى فى الوقوف على حقيقة مستواه التـعليمى، ومدى قبوله واستـعداده للتحصـيل والرغبة فى التـعلم واكتساب المعلومـات والحرص على متابعة دروسه وانكبابه على حفظها وفهمها.

كان فـاروق بارعاً فى الحـفظ والفهم حـيث تميز بذاكـرة قوية اسـتطاع من خلالها أن يستـوعب ما يقرأه بسهولة دون العودة إلى ما قرأه مـرة أخرى، كما كان كثـير الاطلاع والقراءة فى سن الصبا شـأنه فى ذلك شأن والده فؤاد الذى كان يهـوى القراءة والاطلاع وحب الفنون والإبداع ومتـابعة التطورات الثقافـية العالمية دون تردد.

والشاهد أن الملك فـؤاد بذل قصارى جـهده فى تثقـيف وتعليم فاروق من خلال الضغط المسـتمر وإرغامه على الانصـياع لأوامر معلمـيه الذين عانوا من فاروق التلميذ المشاكس كـثيراً، وأجهدهم بشقاوته ومشـاغبته التى لم تتوقف، وهو على يقين من أن أحداً لن يجرؤ على معاقبته أو تأنيبه تحاشياً لغضبة ملكية يحرص الجميع على تجنبها وتفاديها.

وحين جاوز فاروق الخامـسة عشر من العمر أرسله والده إلى الجـامعة لنيل الشهادة العليا، بيـد أن إدارة الجامعة رفضت التحاق فاروق بهـا بعد إخفاقه فى

اختبار القدرات والمهارات التى تبين من خــلالها أنه لا يميل إلى اكتساب العلوم والمعارف، فضلاً عن كراهيته لتحصيل المناهج الدراسية الإلزامية.

ورغم هذا الرفض القــاطع والصريح أبى فـؤاد أن يعود فـاروق إلى مـصر وأرسل إلى معلمــه الرائد أحمــد محمــد حسنين أمراً مــباشــراً بإلحاق نجله فى الأكاديمية الملكية البريطانية.

وكان لافـتاً للانتباه أن إدارة الأكــاديمية رفضت بدورها إلحاق فـاروق طالباً ضمن طلابها، وأمام إلحاح الملك فؤاد وضغـوطه المستمرة على الساسة الإنجليز اضطرت إدارة الأكاديمية قـبول فاروق طالباً بها شريطة ألا يكون طالبــاً نظامياً، بل زائراً فقط لمساعدته فى الدراسة.

* * * *

واقع الحال أن القيود الملكية التى أحــاطت بالطفل فاروق كان لها أبلغ الأثر على كراهيته للتعليم، ولعل تميز فاروق بذاكرة قوية هى التى أعانته على تحصيل العلوم، وأفـادته كـثـيراً فى مـحـادثاته ومـفاوضــاته وجلســاته مع مـخـتلف الشخصيات، وحين قرر الملك فؤاد إيـفاده إلى بريطانيا لنيل الشهادة العليا فطن رجال الديوان الملكى أن فاروق الذى جاوز الخامســة عشر من العمر لم يكن قد سبق له القـيام برحلات سـياحية داخليـة خاصة للأهرامـات والآثار والمتاحف والمعابد الفرعونية فى صعيد مصر حيث لم يكن مستساغاً أن يذهب فاروق إلى لندن دون القيام ولو بـزيارة واحدة إلى تلك الأماكن الأثرية التى يتوافـد عليها الأجانب من كل فج، ثم مـاذا يكون موقف الأمـير الصغـير إذا ما ســأله أحد المعلمين أو الطلاب الأجــانب عن تلك الآثار؟ وهى تـساؤلات ومـخاوف رغم وجاهتـها فقـد برهنت على الانغلاق والعزلـة والتقوقع الذى عــانى منه فاروق بأوامر فؤادية ظناً من الملك أن الخـشونة والقسوة ستنشئ رجلاً يعـتمد عليه فى

إدارة شؤون البلاد، وهو قول مغلوط ومفهوم ساذج أدى إلى إحداث تناقضات خطيرة داخل شخصية الملك فاروق.

* * * *

لقد تلقى فاروق تعليمه داخل أسوار قصر عابدين، ولم يحدث أن ذهب إلى المدرسة مثل باقى أقرانه، ومن ثم تلقى تعليمه على يد معلمين مصريين وأجانب فقد أتقن اللغات الإنجليزية والفرنسية حتى أنه أجاد التحدث باللغة الإنجليزية العامية، وكان مثار إعجاب من الساسة الإنجليز، وربما اكتسب ذلك من خلال مربياته الإنجليزيات إلى جانب الدروس الخاصة التى تلقاها يومياً، وأما اللغة الفرنسية فقد أتقن التحدث بها دون أن يجيد كتابتها، رغم أنها اللغة الشائعة فى محيط أسرته، بينما اكتسب اللغة الإيطالية من خلال رجال القصر الملكى الذين ينتمون لأصول إيطالية، وكان الملك فؤاد قد اصطحبهم عند عودته لمصر بعد انتهاء دراسته فى إيطاليا، وقد كان لهؤلاء وأمثالهم أدوار مؤثرة فى حياة الشاب فاروق بعد أن اعتلى عرش البلاد، وأما اللغة التركية فقد رفض والده أن يتعلمها بعد أن أدرك فؤاد أن مستقبل البلاد لم يعد فى حاجة إلى الاستزادة منها، خاصة وأن أواصر العلاقة المصرية التركية قد تمزقت وانتهت بزوال وانتهاء عصر الخلافة الإسلامية على يد العلمانى مصطفى كمال أتاتورك.

أما اللغة العربية فقد تملكت فاروق وتمكنت منه، بل إنه أجاد التحدث باللغة العامية الدارجة فى الشوارع والأزقة الشعبية، وكان حديثه بالفصحى قليلاً لا يدور إلا مع الضيوف العرب والساسة المصريين، بينما كان يرفع التكلف مع أصحابه وندمائه وخدمه، ويتحدث معهم باللغة العامية الشعبية حتى كان يثير دهشتهم من العبارات والأمثال العامية التى كان يرددها وكأنه قد نشأ وتربى فى أحد الأحياء الشعبية.

ورغم أن فاروق كان يستطيع التحدث باللغة العربية إلا أن حديثه كان لا يخلو من الأخطاء النحوية، وذلك على عكس والده الملك فؤاد الذى حاول اكتساب اللغة العربية دون جدوى، وذلك اعتماداً على براعته فى إجادة اللغة التركية والإيطالية، وما من شك أن فؤاد الذى كان يتصف بالتحدى والعناد أخفق فى اكتساب اللغة العربية سواء الفصحى أو العامية، وكان يشعر بغصة فى حلقه حين يعجز فى أن يعبر عن نفسه باللغة العربية، ولعل رفضه التحدث أمام مجلس النواب بمناسبة اعتلائه للعرش وتكليف رئيس وزرائه أن يتولى هو تلك المهمة، وذلك خشية أن يرتكب أخطاء عربية فادحة من الممكن أن تثير الرأى العام والصحافة ضده.

* * * *

حاول فاروق كثيراً اكتساب المعارف وخلال مطالعته وشغفه لسماع الدروس الخاصة على يد الخبراء، وذلك تفادياً لحرج قد يتعرض له وهو على رأس الحكم، ومن ثم حرص على زيارة الدكتورة «دريتون» خبير الآثار الفرعونية ومدير المتحف المصرى آنذاك وذلك لتلقى محاضرات خاصة فى تاريخ مصر وآثارها الفرعونية حتى تمكن من الوقوف على معلومات تزود بها مكنته كثيراً من الحديث مع الساسة الأجانب والعرب وكأنه ملم إلماماً تاماً بها.

* * * *

بعد ذلك أحب فاروق الطيران، وترددت أنباء كثيرة أن الفريق عزيز المصرى قد أشرف على تدريبه على إحدى الطائرات تحت رعاية ضباط الطيران الملكى، وقد اشترى فاروق طائرة خاصة لمزوالة هوايته، ولكن سرعان ما ابتعد عنها لمزوالة هواية أخرى.

كان أيضاً يجيد الرماية ببراعة فائقة كثيراً ما أثارت دهشة وذهول الحاضرين وفى أثناء موسم صيد البط اعتاد فاروق من خلاله اصطياد أكبر كمية من البط حيث كان دقيق التصويب بمهارة كانت مثار حسد سواء كان تصويبه بمسدس أو بندقية، وروى البعض العديد من الحكايات حول قدرته الفذة فى التصويب حيث زعم البعض قدرته على التصويب على علامات متناهية الصغر يتعذر رؤيتها على أغصان الشجر، ورغم ذلك كان يصيبها بدقة غريبة!

* * * *

وكعادته استغنى فاروق عن هواية صيد البط مفضلاً عليها هواية أخرى حيث اتجه إلى القيام برحلات استكشافية فى الصحراء الغربية كانت تستمر أسابيع كاملة دون جدوى طبعاً.

ثم بدأ فى هواية صيد السمك فى منطقة صخرية مجاورة لقصر رأس التين، كما كان يهوى الغوص من أجل اصطياد السمك أيضاً، وهى عادة لازمته سنوات طويلة أحبها على السباحة التى كان بارعاً فيها فى زمن ما، وقد ارتبط فاروق كثيراً بالبحر حتى أنه كان يميل إلى الإقامة فى غرفة صغيرة بعيدة عن القصر تطل على البحر لبساطته وقربها الشديد من البحر، وقد كان يقيم بها طوال إقامته فى شهور الصيف لا يرتدى سوى شورت البحر فقط حتى أنه كان يمشى عارياً حافياً منها إلى القصر إذا دعت الحاجة إلى مغادرتها والذهاب إلى استقبال أحد أو الرد على الهاتف أو التوقيع على تأشيرة.

لم يكن ارتباط فاروق بالبحر بواسطة هواية صيد السمك أو السباحة فحسب، بل بلغ به الأمر لشراء عدة يخوت للتنزه فى عرض البحر الأبيض والأحمر، وقد استهوته نزهة البحار حيث امتلك يخت (فخر البحار) الذى سافر به إلى (رضوى) لمقابلة الملك سعود ثم اشترى اليخت الملكى الشراعى.

«استهوت فاروق هواية جمع الطوابع من شتى أنحاء العالم.. كان أيضاً يهوى جمع العملات النادرة، ويهوى صيد البط بالصحراء الغربية، ولعبة الشيش والسباحة وقيادة السيارات ورسم اللوحات وسماع الموسيقى وقراءة التاريخ والعزف على البيانو»

فاروق الفنان.. والرياضي

سبق أن أشرنا من قبل أن الملك فؤاد - رحمه الله -كان معروفاً قبل اعتلائه على العرش بفوضويتـه وعبثيته واستـهتاره واستخفافه وعـربدته وسوءاته وفقره وإفلاسه وديونـه المتراكمة وعاداته القـبيحة، ولكن - غـفر الله له - حين تولى العرش السلطانى ركل العـديد من تلك العادات السيـئة بقدمه، وأعـرض عنها حرصاً منه على بقـاء العرش واستقراره حتى ينتقل الـعرش بسلاسة وهدوء إلى ابنه فاروق وذلك طبقاً لمواد الدستور.

أصبح فـؤاد أيضاً بفضل تحـوله الأخلاقى أو السلوكى وبعـد ذكائه ودهائه ومكره وممارستـه للسلب والنهب أن يصبح أغنى أغنياء العـالم، وقد آلت تلك الثروات والممتلكات إلى فاروق وأخوته.

أما فـاروق الذى عانى كـثيـراً فى طفولتـه من قسوة والده وشـدته وغلظة مربيـته، ولهذا كان تواقـاً إلى الخلاص من سطوة أبيه وسلطـة مربيته للتـحرر والانطلاق، ولأن طفولته قد ألقت بظلالها الكئيبة عليه فى زمن الصبا فى حياة والده، فقد استهـوت فاروق عادات كثيرة ومتعـددة حتى أصبحت بمرور الزمن هوايات لا يسـتطيع الاستـغناء عنها إلا إذا عـثر على مـا هو أعز منهـا وأغلى وأحلى.

وفى أعقـاب بلوغه السابعـة تمكن من تعلم قيادة السـيارات فى هذه السـن حتى أصـبح يقود سيارته بـسرعة جنونية تثـير الرعب فى قلوب حراسـه، وقد تعرض بسبب ذلك إلى حادث القصاصين الشهير حيث انحرفت سيارة بريطانية وأطاحت بسيـارته، وكاد يلقى مصـرعه بها لولا العـناية الإلهية التى كـتبت له النجاة، وقد خرجت الجماهير للاطمـئنان على ملك البلاد فى مسيرات حاشدة

طافت طول البلاد وعـرضهـا، وهو ما اعتـبره فاروق مـبايعة جـديدة من أبناء الشعب إلى ملكهم، وقد شعر إزاء تلك الحشود الغفيرة بالسعادة والفرحة نكاية فى الزعيم الوفدى مصطفى النحاس، والسفير البريطانى مايلز لامبسون.

على أية حال ظل فـاروق يقود سيـارته بنفسه خـاصة فى الأسفـار الليلية داخل البلاد، فضلاً عن اصطحابه لبعض الملوك العرب فى سيارته الخاصة معبراً بذلك عن مدى حفاوته وامتنانه بالضيف العربى.

كان فاروق يكره قيادة السيارات ببطء، ويعشق السرعة رغم احترامه لقواعد المرور، وقد كان لا يفـارق نادى السيارات وخوض جميع مـراحل السباق التى كان يحرص النادى عليها.

وقد احتفظ فاروق بسيارته الأولى حتى رحيله عن مصر، كما كان محتفظاً باليخت الشهير فخر البحار واليخت الملكى الشهير المحروسة، والذى حمله إلى رحلة النهاية علـى شواطئ إحدى المدن الإيطاليـة للبقاء فـيها حـتى رحيله عن الدنيا.

استهوت فاروق أيضاً هواية جـمع الطوابع من شتى أنحاء العالم حيث كان والده قد اشتهـر من قبل فى جمع الطوابع واستطاع خلال مـدة زمنية الحصول على مجموعة نادرة من الطوابع التى أثارت الإعجاب وقتذاك. كان يهوى أيضاً جمع العملات النقدية العالمية المختلفة وربما كان ذلك الدافع الرئيسى فى إصرار فاروق على أن تطبع صورته على أوراق البنكنوت النقدية، وهو ما حدث للمرة الأولى فى تاريخ البلاد حـيث صدرت بالفعل أول مـجموعـة من فئة الخمـسة جنيـهـات تحمل صـورة الملك فـاروق، وذلك فى الأول من شـهـر مايو عـام ١٩٤٦، ثم صدرت مجموعة أخرى فـئة المائة جنيه تحمل صورته أيضاً، وذلك فى الأول من شـهر يوليو ١٩٤٨، وفى صباح الأول من شـهر نوفـمبـر عام

١٩٤٩ صدرت مجموعة من فئة الخمسين جنيهاً تتصدرها صورته أيضاً، ثم فى أول يوليو ١٩٥٠ صدرت مجموعة جديدة من فئة الجنيه زينت بصورته وطلعته البهية، ومع حلول ثورة يوليو استبدل رجال الثورة صورته بصورة لتمثال الملك توت عنخ أمون.

وفى هذا الصدد تحضرنى رواية طريفة تبرهن على أن فاروق هو أول حاكم فقط طبعت صورته على أوراق البنكنوت، لكنه لم يكن أول رجل فى تاريخنا العامر بل سبقه إلى ذلك رجل من المجاذيب الذين ذاعت شهرتهم فى الآفاق ويدعى الشيخ إدريس، وقد زعم البعض أنه كان خادماً للأمير فؤاد فى سنوات شبابه، بينما ادعى البعض أنه كان مجذوباً شهيراً يردد عبارات لاذعة ومثيرة للتأمل لمن يسمعها، وفؤاد فى صدر شبابه طابت له عبارات هذا المجذوب وكلماته الروحانية الجادة أحياناً والضاحكة فى أحياناً أخرى، وقيل إن الشيخ إدريس قد أكد للأمير فؤاد وهو فى صدر شبابه أنه رأى له مناماً يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الأمير فؤاد هو ملك البلاد القادم، وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد ولعل ذلك هو السبب فى إصرار الملك فؤاد على طبع صورة الشيخ إدريس على مجموعة أوراق بنكنوت فئة جنيه مصرى، وذلك فى أول يوليو عام ١٩٢٦.

* * * *

نعود إلى هواية الملك فاروق الذى كان لا يمل من تغيير هواياته من حين لآخر، وقد يكون ذلك فى تقديرى مجرد محاولات عبثية أحياناً وجادة فى أغلب الأحيان انتقاماً من طفولته التى عاشها كما سبق وأن أسلفنا داخل قفص ذهبى يتعذر خروجه منه، ومن الصعوبة بمكان أن يتقبل أحد أن الأمير فاروق ابن ملك البلاد لم يشاهد آثار مصر الفرعونية والإسلامية فى القاهرة وعواصم

الصعيد، بل إنه لم يذهب إطلاقاً إلى حديقة الحيوان بالجيزة إلا قبيل سفره إلى لندن للدراسة، ومن ثم لم يكن غريباً أن يقتحم فاروق ويخوض كل ما حالت طفولته بينه وبينه، وكل ما لذ له وطاب وكانت من المحرمات والممنوعات.

على أية حال كان فاروق من حيث الفنون يزعم أنه يجيد العزف على آلة البيانو، وقد أكد بعض المقربين منه أنها نزوة راودت الملك فاروق فترة من الزمان كان خلالها يحرص على عزف لحن وحيد، وبعدها انتقل إلى آلة الكورديون التى كان يحرص على اقتنائها وارتدائها والعزف عليها أمام زملائه وشقيقاته، وسرعان ما اندثرت هذه الهوايات الفنية خاصة هواية الرسم التى زعم لأصدقائه أنه يجيدها، وأن إحدى لوحاته قد أهداها للسلطانة ملك زوجة عمه السلطان حسين كامل بعد أن أبدت إعجابها بإبداعه الفنى وتصويره الرائع فى تلك اللوحة المزعومة، والتى لم يتسنَ لأحد معرفة جدية هذه الادعاءات وصدقيتها وحقيقتها.

كان فاروق أيضاً يهوى منذ صغره سماع الموسيقى الغربية الخفيفة إلى جانب عشقه لمزيكا الملاهى والمراقص الصاخبة الزاعقة المثيرة، وكثيراً ما لفت أنظار قادة الفرق الموسيقية لاستبدال ألحانهم وموسيقاهم الهادئة إلى أخرى مثيرة للجلبة والضوضاء معللاً ذلك بأن الموسيقى الهادئة قد تؤدى إلى استسلامه وغيره للنوم!!

كان أيضاً لا يهوى الموسيقى الشرقية وكافة أغانيها باستثناء قليل من الطقاطيق التى جاء بها اسمه من باب المدح والإطراء، وهذه لم يكن بحال من الأحوال يشعر نحوها بالملل أو الضجر.

أما الهواية التى مارسها فاروق وأرغم الآخرين لتشجيعه عليها ومدحه والإشادة به، فقد كانت تتعلق بالغناء حيث كان يتصدر السهرة فى أوبرج

الأهرام أو فى أى مرقص من المراقص التى كـان يتردد عليها ويبـدأ خلالها فى الغناء بصوته النشاز، ولم يكن خافيـاً على أحد من أصدقائه وندمائه أن فاروق سوف يتخلى عن تلك الهـواية قريباً حال تعلقه بـهواية أخرى بغض النظر عن عبارته الشهـيرة التى قالها لنديمه ومستشـاره الصحفى كريم ثابت: [لو لم أكن ملكاً لكنت مطرباً!!] والغريب أنه قـد قال من قبل لنفس الرجل: «لو لم أكن ملكاً لتمنيت أن أكون ميكانيكياً!!» وهكذا كان فاروق يريد أن يفعل كل شىء ويمارس أى هواية حتى لو لم تتواءم أو تتوافق مع مكانته ومنصبه.

* * * *

من أقبح الهوايات وأبشعـها هواية فاروق فى قتل القطط والكلاب إذا أدت الظروف والأحوال للانفـراد بهما حـيث كان يتظاهر أمام شلة الأصـدقاء أنه لا يمل من ملاطفة ومداعبة الكلاب أو القطط حتى كان قد اعتاد على تمشيط شعر تلك الحيـوانات بيده ويغدق عليـهما بعطـفه وحنانه إلى أن يغادر رفـاقه وشلة أصدقائه، ويتأكد من أنه بمفرده فقط ليبدأ فى القيام بأبشع جريمة قتل للحيوانات يرتكبهـا رجل فى قيمة وقامـة الملك فاروق حيث كان ينظـر حوله، وإذا كانت حديقـة القصر أو النادى أو أى اسـتراحة تخـلو من الرفاق يتودد إلى الحـيوان الضحية ويلاطفه ثم يقبض عليه فجأة بيده ليشل حركة يده وقدمه، ثم يدفع به بكل ما أوتى من قـوة وجبروت فى جذوع الشجـر المجاور له ليلقى الكلب أو القطة مصرعه فى الحال، وإذا ظل على قيد الحياة يعيش عاجزاً عن الحركة يائساً من حياته، بـينما فاروق يمضى فى ممارسة تلك الهـواية دون توقف حتى تاريخ مغادرته من مصر.

لقد أشار كريم ثابت إلى تلك الهواية مؤكـداً أنه قد عجز عن تفسير علمى ومنطقى ونفـسى لتلك الهواية الغـريبة التى سيطرت على فاروق، خـاصة إذا

انطلق بسيارته المسرعة قاصداً الاصطـدام بأحد كلاب الطريق الضالة ليرده غارقاً في دمائه، وهو ينفجر ضاحكاً بأعلى صوته.

كان فاروق أيضاً مـفتوناً بممارسة لعبة كـرة التنس، ثم هجرها إلى السيف والشيش، وكعادته عزف بعد ذلك عن ممارسـتها والتحول إلى هواية التجديف، ثم ركوب الخيل التى توقف عنها بعد حلفـه لليمين الدستورية رغم إلحاح الذين يحيطون به خاصة وأنه كان عاشقاً لتلك الرياضة.

* * * *

القمــــار

لا أدرى هل الانكباب على موائد القمار تعـد هواية يحرص عليها البعض؟ هى بالطبع ليست هوايـة، وإن كانت كذلك فهى هواية قـبيحـة محرمة كـريهة ذميمة، بل هى آفة ومرض ووباء وابتلاء ومصـيبة يتعرض لها البعض من ذوى النفوس الضعيفة بغض النظر عن ماهية مرتكبيها ومكانتهم فى المجتمع حيث إن القمار لعبة لا تقتصر على الأثرياء وبعض رموز المجتمع، بل هى تمتد أيضا إلى بعض أبناء الأحـياء والمناطق الشـعبـية، وإن كـانت بأدوات ووسائل مـختلـفة وابتكارات متعددة نسأل الله لنا ولمن يمارسها العفو والمغفرة والإقلاع عنها حرصاً على قصـور وعروش تحطمت وتبددت وتـهدمت وبيوت اقـتلعتهـا تلك العادة السرية القبيحة.

كان الملك فاروق شاباً جميل الطلعة أنيق المظهر حسن المنظر أحبه المصريون وبنوا آمـالهم عليـه عشـقـوه وحمـلوا صورته فى قلـوبهم قبل أن تـتزين بهـا جدرانهم.. رأى المصـريون فى فاروق الرمـز والقيمـة والقامة والمـكانة والطهر والعفة والأمـانة، ومن ثم تناثرت من حوله الأساطيـر والخرافات بين من ادعى أن جذوره تعـود إلى أهل البيت، ومن ادعى أنه رجل صـالح، وبالتالى أطلق البـعض عليـه لقب (الملك الصالـح)، وكان هناك أيضـاً من ادعى أنه يتـصف بالمروءة - والشهامـة والقوة الجسدية التى تعادل عـشرة رجال، ومنهم من زعم أنه من خيـرة سلالة آل محـمد على باشا الكبـير، وهكذا ظلت سيـرة فاروق تتأرجح بين الواقع والخيال والحقيقة والأسطورة، لكن إذا كانت هناك تضاربات وتناقضات وحقـائق وأباطيل فى قصة فاروق بن فؤاد، فمـا لا شك فيه أن آفة القمار التى ابتلى بها فـاروق أجمع عليها الجميع، وبرهنوا على صحـة وقوعها

على عكس ما تناثر بين النفى والإثبات فى مسألة عشقه للنساء وتعاطيه للخمور، وغير ذلك من النقاط التى ثارت من حولها اجتهادات البعض بين مكذب ومصدق بها بين نافٍ لها ومن أقسم على ارتكابها.

لقد كان وباء القمار فى ظنى هو المسمار الأخير الذى دقه فاروق بيده فى نعش عرش مملكته ونفوذه وثرواته وسلطانه وسلطاته غير عابئ بآمال الأمة وتطلعات أبنائها وأمانيهم التى علقوها عليه حال وصوله للعرش خلفاً لوالده، ودون اكتراث لأحوال العباد ومصالح البلاد، فلم يكن بمقدوره أن يتدبر ما آلت إليه رغباته التى أخفق فى كبحها، بل أطلق لغرائزه وأهوائه العنان لتفعل ما تريد وتصنع ما تشاء.

ردد البعض أن فاروقا كان ضحية لمؤامرة نسجت خيوطها الأميرة شويكار طليقة والده فؤاد، وذلك انتقاماً من الملكة نازلى التى أصبحت صاحبة اليد الحديدية داخل البلاد، وما داخل شويكار من هواجس تشير إلى أنها كانت على بعد خطوات من هذا العرش الذى فقدته، ومن ثم تحركت رغبتها فى الثأر من فؤاد ونازلى معاً، وذلك باصطياد فاروق بواسطة سيدة لا يدرى أحد من هى بالتحديد، ودفعه إلى الانكباب على موائد القمار حتى أصبح أشهر مقامر ومدمن للموائد الخضراء فى تاريخ البلاد، ومن ثم بدأ عرش فاروق يترنح ليلة بعد الأخرى حتى اندثر وتلاشى وتهاوى بفضل تلك الغيبوبة التى أصيب بها من آفة القمار التى تعلمها مبكراً على يد بعض الخدم القريبين منه، والذى كان يميل إليهم لم يكن مثيراً للدهشة والعجب أن يخسر فاروق كل ليلة على مائدة القمار أكثر من ٥٠٠ جنيهاً مصرياً يومياً، وربما أكثر من ذلك أى بمعدل خمسة عشر ألفا من الجنيهات شهرياً يعنى تقريباً نحو مائتى ألف جنيه سنوياً!! وهى أرقام فلكية آنذاك.

كان من شأنهـا أن ترفع فاروق إلى مصاف العظمـاء إذا هو نجح أيامها فى توجيهها إلى مصارفها الشرعية والحقيقية.

مع الأسف كان رجال فـاروق يسبحون فى المياه الصـافية يغترفـون منها ما يريدون بطريقـة أو بأخـرى، وإن تطلب ذلك اصطـياده علـى مائدة خـضـراء واستنزافـه واستغلاله وتبـديد طاقته وإهدار ثرواته وأمـلاكه وتغييـبه عن الوعى بعيداً عن الشعب الذى أحبه وعشقه فى بواكير شبابه.

لم يكن غريباً بالفعـل أن تنشر الصحف الباريسية أن فاروقـا ملك مصر قد خسر ليلة أمس على مائدة قمار بأحد نوادى القـمار الشهيرة أكثر من مائة ألف جنيه إسترلينى!!!

لم يكن ذلك غريباً فقـد انحنى فاروق على المائدة الخضراء كل ليلة وهرب من مسؤولياته، وأضـرب عن القيام بمهامه، واعتـصم فى أندية القمار لا ندرى ممن كان ينتقم ولمصلحة من فعل ذلك بنفسه وبعرشه وبمملكته؟

لقد انصرف فاروق حال إدمانه للقمار عن جميع الهوايات والرياضات التى أشرنا إليـها حيث تخلى عنهـا كارهاً لها لا يطيق رؤيتـها أو متـابعتها وكـأنها رجس، بينما أصبحت مائدة القمار هى مكتبه ومطعمه ومسكنه ومخدعه حيث يقضى بها ساعات الليل، وإن طال ليعود إلـيها فى الليلة التالية دون أن يتـسرب إليه الملل كما تسرب إليه فى هواياته الأخرى.

الحاصل أن فاروقـا - رحمه الله - أدمن لعب القمار بـطريقة أثارت دهشة واستغراب الجميع، وقد تسـاءل بعضهم عن سبب إصراره وتمسكه بتلك الآفة، بينما انصرف كلياً عن جميع الممارسات الأخرى.

ترى هل كانت شـويكار تقف وراء تلك العادة القبـيحة، أم أن فـاروقا لم يكن فى حاجة إلى يد تدفعه، وأخرى تأخذ به إلى الموائد الخضراء؟

تقديرى أن فاروقا لم يكن ذا حـاجة إلى ذلك، فالرجل لم يكن يوماً على استعداد للانتباه والالتفات لمصلحة بلاده بما يتواءم مع مكانتها بين الأمم. .

على سبيل المثال كيف يجوز لرجل فى مكانة فاروق أن يترك نفسه كل ليلة للسـهر والسـمر فى أوبرج الأهـرام وغيـره من المراقص والملاهى والأندية دون خجل أو حتى ملل ثم لا يتورع فى التوجه منها بعد ارتداء البدلة الردنجوت إلى مسـجد الـقلعة لأداء صـلاة العيـد بين الناس وكأنه عـائد لتوه مـن أداء صلاة الفجر؟!!!

إن فاروقا الذى أعطى ظهـره لمصلحة شعبه وغفل عن مـحاولة النهوض به من مسـتنقع فقر رهيب ضرب بأعـماقه فى ربوع البـلاد، واقتصرت الرفـاهية والرخوة على نصف فى المائة فقط من أبناء الأمة؛ لم يكن رجل مثل فاروق فى حاجة إلى من يدفعه ويشـد من أزره ويكثر من وزره للوقوع فى مثل هذا الجرم وتلك الخطيئة والحفرة التى وقع فيها فسقط بها وعرشه وملكه.

ولا أظن أن شـويكار كـانـت تملك قـدرات وأدوات وأفـكاراً لإتمام هذا المخطط، فقد تجـاوز فاروق كل هذه التوقعات. . قد تكون شـويكار ضالعة فى دفع فاروق لمائدة القمار ظناً منها أن هذا الأمر لن يظل أكـثر من أيام، وساعتها سـتـهلل لنجاح مـؤقت قصيـر العمـر والمدى، لكنها لم تكن تتـوقع بحال من الأحوال استمرار فاروق منحنياً على موائد القمار حتى النهاية.

وأن خسائره الرهـيبة شهدت بهـا الموائد الخضراء بنادى السيـارات بالقاهرة ونظيره بالإسكندرية وملهى حلميـة بالاس وأوبرج الأهرام والأسكاربيه وقصور أصحابه، وذلك على مرأى ومسمع من رجـال القصر وحراسه الأمر الذى دفع

كريم ثابت لمفاتحة النقراشي باشـا في ضرورة تنبيه الملك وتحذيره من المضى فى ممارسة تلك الآفـة بيد أن محمـود فهمى النقـراشى رئيس الوزراء أبى أن يفاتح الملك فى ذلك معللاً موقفه بأن فاروق سـيرد عليه بقوله إن سعد زغلول رئيس وزعيم حزبه كان مقامراً شهيراً، وهل جرؤ أحد على مفاتحته فى الكف عن هذا الأمر؟ وربما كان السبب الذى ساقه النقراشى وجيهاً حيث إن هذا الداء كان قد تمكن من علية القوم، ولعل هذا ما دفع خصوم سعد زغلول للنيل منه والتنديد به بسـبب إدمانه للانكبـاب على المائدة الخضـراء أيضاً رغم شـواغله وهمـومه ومسؤولياته وأعبائه، وذلك على عكـس فاروق الذى أدمن القمار فتخلص من أعبائه ومهامه، وألقى بها على رجال حاشيته وشمشارجية السرايا نظراً لانشغاله وانهماكـه فى تعويض خسارته الفادحـة التى كان يتعرض لها كـل ليلة باستثناء بعض الليالى إرضاءً له أو خـوفاً منه أو لجذبه حتى لا يتـسرب الملل إليه ويكره التردد عليها.

* * * *

أناقة فاروق

«كان يعتمد منذ طفولته على مربيته وخادمه في ارتداء ثيابه وحين ضاق ذرعاً بتلك الرسميات والقيود أصر على أن يخلع ملابسه ويرتديها بنفسه دون مساعدة من أحد، ولم يكن بالطبع تواضعاً أو تبسطاً منه، بل كان كراهية فى ملابسه الرسمية التى كان لا يطيقها على جسده المترهل»

مظهره وأناقته

ظلت أناقة الملك فاروق ومدى اهتمامه بمظهره مثار جدل وخلاف ونقاش احتد بين رجال حاشيته وأصدقائه وأقاربه؛ حيث زعم فريق منهم أن الرجل كان شديد العناية بملبسه ومظهره وحسن هندامه، بينما ادعى الفريق الآخر أن فاروقا كان مثالاً ونموذجاً للفوضى والإهمال والعبث واللامبالاة، ولم يكن يضع فى اعتباره مردود ذلك على هيبة العرش ووجاهة السلطة والسلطان.

والشاهد أن فاروقا منذ طفولته كان يعتمد على مربيته وخادمه فى ارتداء أو خلع ثيابه، وحين ضاق ذرعاً بتلك الرسميات والقيود أصر على أن يخلع ملابسه ويرتديها بنفسه دون مساعدة من أحد، ولم يكن بالطبع تواضعاً أو تبسطاً منه، بل كان كراهية فى ملابسه الرسمية التى كان لا يطيقها على جسده، وربما كان ذلك سبباً فى حرصه الشديد على خلعها وهو داخل سيارته عقب دخولها إلى القصر وانطلاقها نحو مقر جناحه الخاص، ولهذا كثيراً ما شوهد فاروق وهو يخلع ملابسه أثناء سيره على الأقدام بعد نزوله من السيارة متجهاً إلى غرفته.

إن القيود والضوابط والأغلال التى حاصرت فاروقا فى طفولته هى التى دفعته لكسرها وتحطيمها والتخلص منها حين دانت له الأمور؛ لقد كان شأنه شأن أى طفل يريد أن يحلق فى السماء كطائر السنونو يغرد ويصدح وينتقل من هنا إلى هناك ويصنع بحريته ربيعاً لحياته، وربما من أجل هذا عاش فاروق بسيطاً عادياً بين من يعرفه حتى ولو كان رجال حاشيته من الخدم والطهاة ولطيفاً ودوداً وكريماً مع من لا يعرفه حتى لو كان من عامة الشعب الذين كان يلتقى بهم نادراً.

لم يكن يكره شيئاً قدر كراهيته للملابس الرسمية؛ لذلك بذل قصارى جهده فى استبدال بدلة التشريفة الملكية المنقوشة بالذهب بالبدلة الردنجوت لسهولة ارتدائها وبساطتها.

كان فاروق يهوى ارتداء الكرافتات المنقوشة برسومات على شكل خطوط، ويكره ارتداء البابيون، كما كان يحب ارتداء الملابس الواسعة الفضفاضة، ويكره تلك الملابس الضيقة التى كانت تثير أعصابه وغضبه؛ كان يحب أيضاً ارتداء بنطلونات ذات (سوستة) أمامية، وقد كانت الزراير هى الموضة الشائعة حينئذ عند الرجال، بينما كانت السوستة شائعة فقط بين النساء، بيد أن فاروقا عاشق الحرية قد أصر على ارتداء بنطلونات بسوستة دون أن يعبأ بنظرات استنكار أو ازدراء من أحد، وسرعان ما تحولت السوستة إلى موضة شاعت بين صفوف الرجال.

كان فاروق جميل الطلعة.. وسيم الوجه. متألقا.. جذابا يعتنى بتهذيب شعر رأسه كل ثلاث أيام، بينما يحرص على متابعة ذقنه وشاربه كل يوم على يد حلاقه الإيطالى الخاص «برتو».

وأما بخصوص الأحذية فقد أحب الأحذية ذات الألوان البيضاء والسوداء والبنية، وكان يكره أن يرى حذاء بلونين أو برباط، كما كان يحب ارتداء الأحذية الواسعة حتى يتسنى له تحريك أصابعه كما شاء.

كان فاروق يرتدى نظارة سوداء لمقاومة ضوء الشمس إذا كان فى زيارة رسمية، أو رحلة استكشافية، أو على متن باخرة بحرية، أو مستقلاً سيارة ملكية.

* * * *

وإذا كان فــاروق قد اشتهــر وعرف بين الجميع بســرعته الجنونية فى قــيادة السيارات والتهام الطعام، فقد كان أيضاً معروفاً بسرعته الفائقة فى خلع ملابسه وارتدائها عند خروجه، ولعله كان الأشــهر والأبرز بين الجميع فى سرعة إحكام رباط العنق.

ولأنه كان يبحث دائمــاً عن راحته فقد حرص على أن يعيــش كما يحو له غير عابئ بأقاويل الغــير، فعلى سبيل المثال كان فى أثناء إقامــته بالقصر الملكى سواء فى القاهرة أو الإسكندرية يرتدى «كلسون وقميص خفيف ودون حذاء فى القدم إذا كــان الجو شتــاء أما إذا انخفــضت درجة حــرارة الجو وشعــر بالبرودة القارصــة أسرع إلى ارتداء عباءة وروب دى شــامبر دون حاجة إلــى حذاء قدم مهما كانت درجة البرودة، أما فى فصل الصيف فقد كان يكتفى بارتداء شورت يصل إلى ركبته ويظل عارى الصدر والقدم أيضاً، وبذلك يشعر براحة ومتعة لا نظير لها.

وسرعــان ما تندثر تلك المتعة إذا مــا طرأ شىء ما يستــدعى ضرورة ارتدائه للملابس الرسمية».

* * * *

طعامه وشرابه

«كان فاروق أثناء الطعام لافتاً لأنظار كل من حوله خصوصاً فيما يتعلق بشأن سرعته الجنونية فى التهام الطعام أو طريقة بلعه دون انتظار مرحلة المضغ»

طعامه وشرابه

أذكر فى طفولتنا أن والدى - رحمه الله - كان يقص علينا حكايات أسطورية ترامت لمسامعه عن الملك فاروق، وكان والدى شأنه فى ذلك شأن جميع أبناء الريف جذبتهم شخصيته وأثارت إعجابهم، فداعبت خيالاتهم، ومن ثم راجت الخرافات ودارت الخزعبلات حول فحولته النادرة ووسامته الساحرة وشراهته فى التهام كافة الأطعمة.

كما أتذكر أيضا أن والدى قد أقسم ذات مرة أنه سمع من يقول أمامه أن الملك فاروق كان يلتهم بمفرده نصف خروف عصر كل يوم، وأن إفطاره كان يتألف من أكباد البقر ودهون الخراف وعصير الغزلان، بينما يتناول عشاءه عدة مرات كل ليلة، ولا يخلو من حمام أو بط أو دجاج وأشياء من هذا وذاك وكأن فاروقا من فصيلة الرجل الأخضر.

والواقع أن فاروق لم يكن شاذاً فى مأكله أو خارقاً فى مطعمه بل كان يشبه الكثير من الناس الذين تستهويهم موائد الطعام، ولكن بعيداً عما اشتهر به ظلماً وافتراءً بين الناس.

على سبيل المثال كان فاروق يحرص على تناول كسرات من الخبز الشامى مع طبق مربى وآخر زبدة وفنجان شاى، وقد ظل على هذا الحال سنوات صباه حين كان يستيقظ مبكراً فى حياة والده وبعد اعتياده على السهر حتى بزوغ الشمس انصرف عن تناول وجبة الإفطار تماماً، وأصبحت مائدة طعام الغذاء هى الأساس خاصة وأنها كانت تتألف غالباً من المكرونة، وغالباً الإسباجتى التى كان يعشقها على غرار جده الخديو محمد سعيد مع حرصه على تناول لحم مشوى أو دجاج أو حمام أو بط.

أما العشاء فقد كان يتناول رغـيفا من الدقيق الشامى مع العسل وكوب من العصـير وقطع قـليلة من الشكولاتة، أو فنجاناً مـن الشاى بدلاً من مـشروب العصير، وذلك طبقاً لحالته المزاجية.

* * * *

كان فاروق أثناء الطعام لافـتا لأنظار كل من حوله، خصوصاً فـيما يتعلق بشأن سرعته الجنونية فى التهام الطعام أو طريقة بلعه دون انتظار مرحلة المضغ، وحتى أنه كان يقـبل على تناول البسكويت بكثرة بعد أن يغمـسه فى كوب ماء تجنباً لمرحلة المضغ التى كان يمقتها.

ولعل تلك الصفـة كانت من أبرز الصفـات التى تميز بها فـاروق فى مائدة الطعام، كما كان لافتاً للانتباه أيضـاً فى تحوله السريع للوجبات، وكأنه يتحول من هواية إلى أخـرى، فمثـلاً كان يهوى أحـياناً تناول الثـوم نيئـاً ويظل يدعو أصدقـاءه ومعـاونيه لاقتـفاء أثره، وقد كـانوا يرضخـون لرغبـته أو بمعنى أدق أوامره، ثم سرعان مـا يتحول إلى نوع أخر كالليمـون مثلاً، وذلك لمدة أسابيع ثم يتبخر ليلحق بما سبقه.

* * * *

كان الملك فاروق يحب تناول الحلوى الـشرقية والغربية، ويشـعر بالضعف نحوها ولا يتردد فى التهام علبة من الشيكولاتة شريطة أن تطيب له، كما أحب جميع أنواع المربات أو الفواكه المطبوخة حـيث كان يرفض تناول أية فاكهة مهما كانت قيمتها الغذائية.

كما كان يكره رؤية لحم الخنزير على مائدة الطعام حتى أن السفير البريطانى

والأمريكى أو أى سفير آخر أجنبى لم يكن مسموحاً له أن يضع على مائدته لحم الخنزير تقديراً لرغبة فاروق فى تلك المسألة حيث كان يشعر بالاشمئزاز من مجرد رؤيته، وذلك فضلاً عن كراهيته لكافة أنواع الخضار المطبوخ.

* * * *

أحياناً كان فاروق يعشق الدندرمة وأكواب المهلبية والأرز باللبن كما أنه أحب البطاطس والمشويات والبيض بالصلصة والجندوفلى، وهى فى تصورى ألوان لا تتناسب مع مكانته كملك للبلاد، وأغنى أغنياء العالم، لكنها على أية حال لم تكن فوق العادة كما أشاع البعض حيث كان أثرياء مصر وباشواتها يتناولون مثل ذلك بل وأغلى منها وأشهى بل ربما قد كان يهوى تلك الأطعمة تقليداً لبعض الناس الذين كانوا يقصون عليه حكايات لا تنتهى حول ألذ الأطعمة وأشهاها.

كان فاروق مشهوراً ببساطته على مائدة الطعام متواضعاً مع الطهاة والخدم والسفرجية حريصاً على ملاطفتهم ومداعبتهم مما كان يثير دهشة ضيوفه من الوزراء والساسة الكبار، وربما بساطة فاروق مع فريق الخدم والطهاة أدى إلى حرصه والتزامه بتناول الطعام فى غرفة صغيرة بعيداً عن قاعة الطعام الشهيرة حتى يستطيع أن يأكل كما يشاء تجنباً لرسميات ومظاهر وأبهة لم يكن يميل إليها، وحين كان يتناول الطعام يحرص على تناول صنف أو صنفين فقط من الأصناف المتراصة على المائدة.

والغريب أن فاروقا إذا تناول الطعام خارج السرايا كان يثنى على الطاهى قائلاً قولته: «إمتى حنعرف ناكل زى الأكل الحلو ده فى السرايا».

أما وجه الغرابة فى ذلك أن فاروقا كان كما سبق وأن ذكرت رقيقاً كريماً مع خدمه وطهاة مطبخه [ولم يحدث أن نهر أحدهم أو اعتدى عليه احتجاجاً على رداءة الطعام كما كان يفعل والده فؤاد معهم]، بل وكان يميل إلى مداعبتهم وذلك برش الماء عليهم أو ضرب طربوش الرأس مع حفظ مكانته بالطبع حيث لم يكن يجرؤ أحد على تجاوز حدوده والخطوط التى رسمها القصر لكل من يعمل به.

وجه الغرابة أيضاً أن الحكومات المصرية كانت تمنح القصر نحو مائة ألف جنيه سنوياً للإنفاق على الطعام والاستقبالات وغيرها، ورغم ذلك كانت ميزانية المطبخ الملكى تتجاوز أحياناً هذا الرقم كل عام لتبلغ نحو مائة وعشرين ألف جنيه سنوياً رغم بساطة الطعام باستثناء بعض الأصناف التى تتميز بالندرة والسعر المرتفع كالكافيار مثلاً، وقد حرص فاروق على أن يضم مطبخه هذا النوع من الطعام عند المآدب الرسمية شريطة أن تكون مجرد عينات فقط باستثناء أطباق أسرته وشقيقاته.

كما أن من أوجه الغرابة أيضاً أن فاروقا لم يكن ذواقاً للطعام، فهو لا يغضب إذا كان الملح زائداً أو العكس أو المكرونة نيئة أو العكس، بل كان حريصاً على أن يتناول وجبته سريعاً حتى يتخلص من الجلوس على مائدة الطعام التى كان يمقت الجلوس عليها بشدة.

أما بخصوص ما أثاره البعض حول إفراطه فى تعاطى الخمور وما شابهها فهذا الادعاء كان عارياً من الحقيقة حيث أن أغلب الذين التقى بهم فاروق على مائدته وفى سهراته وصالونات جلساته وموائد القمار الشهيرة أكدوا جميعاً أن فاروقا لم يتناول الخمور إطلاقاً، وأن من يزعم غير ذلك فهو يكذب ويفترى

حيث كان فاروق رغم إدمانــه للقمار وعشقه للسهر وضعـفه أمام النساء إلا أنه كان عازفًا كارهاً للخمور بكافة أشكالها.

وإن البعض قــد زعم أن فاروقا تعاطى الخـمور فى سن الصبا على سـبيل التـجـربة، خاصــة وأن هناك من أوعــز له أن الخـمور أحـد العناصـر المقـوية للمتزوجين وكــان ذلك أثناء زواجه من فريدة فتناولها على سـبيل الدعم ويبدو أنها أخابت ظنه فأقلع عنها ومقتها وإن كان لم يمنع وجودها على موائده.

* * * *

«لقـد بات فى يقـينى.. بما لا يدع مـجـالاً للشك أن الملك لا يستطيع معـاشـرة النسـاء ولا أظن أنه يصل بأية امـرأة إلى نهاية الشوط»

رئيس الوزراء/ حسين سرى

للسفير البريطانى

فـاروق.. عاشــق بـلا قلب

آه . .آه. . لو عرفتك قـبل أن أتزوج لجعلتك ملكة مصر والسـودان» عبارة شهـيرة مكـررة حفظتـها محـظيات الملك الصـالح وخليلاته عن ظهـر قلب، فأضحت مثار سخرية وتندر واستخـفاف بملك ظن أن مقولته المأثورة سراً حربياً ممنوع إفشاؤه ومحظور الاقتراب منه».

والواقع أننى لا أعرف على وجه التحديد. . هل كـان فاروق عاشقاً للنساء حقـاً، أم أنه كان يحرص عـلى امتلاكـهن بوصفه ملك الـبلاد الذى يملك كل شىء ويتحكم فى جميع الأشياء؟! ثم ماذا عن حقيـقة علاقته النسائية الشهيرة؟ وهل كان ولهاناً حالماً رومانسيـاً يحمل بين جوانحه قلبا ينبض بالحب، أم كانت غرائزه وشهواته هى الموتور والدافع لمغامراته، ومن ثم كان عاشقا بلا قلب؟

ثمة تساؤلات أخرى وحشد هائل من علامات الاستفهام تدق رأسى بعنف منها على سـبيل المثال لا الحصـر. . هل كان فاروق يتـمتع بقوة وقدرة ورغـبة وفحولة تدفـعه لتدشين علاقات نسائيـة محرمة وغير مـشروعة؟! وبغض النظر عن شكل وجوهر الجواب يتبادر على الذهن سؤال آخر يلح بقوة لماذا كان إذن يتفاخر بين عشـيرته وحاشيته بعلاقاته الآثمة، بل وكان يسـعى جاهداً لكشفها بدلاً من إخفـائها وفضـحها بدلاً من سـترها شأن أى رجل عـاقل يخشى من اهتزاز صورته وتوبيخ سيرته وتلطيخ سمعتـه؟! ثم ما صحة ما أشيع عن ضعفه وعدم قدرته فى الوصول إلى نهاية المطاف مع مـحظياته وأهل بيته، وذلك طبقاً لما ورد فى إحـدى الوثائق البـريطـانية والـتى كـشف عنهـا النقـاب فى الآونة الأخيرة.

إنها بالفعل تساؤلات حائرة تائهة تطل برأسها منذ عقود مضت حيث أخفق الجميع فى الاهتداء والوصول إلى أجوبتها الصحيحة والدقيقة، وذلك رغم وفرة الشهادات والقرائن والأدلة التى تتعلق بتلك الإشكالية.

ومن ثم فهى مأساة أعنى تلك البراهين حيث إنها أتت بما لا تشتهى سفن الدارسين والباحثين والمدققين؛ خاصة وأنها متناقضة مع بعضها البعض متنافرة إلى أقصى حد. . متباعدة ابتعاد الشرق عن الغرب متناقضة تناقض الليل مع النهار. . بعضها متحامل والآخر منها مجامل، وربما اعتمدت تارة على الاستنتاج ،وربما استندت تارة أخرى على الاستخفاف، وبين هذا وذاك تاهت الحقيقة وطمست معالمها واندثرت، فتجلت وجوه الباطل وانتصرت. وهذه وثيقة دارت وقائعها بين أحد أشهر وأبرز وألمع رؤساء الحكومات المصرية فى عهد الملك فاروق لعلنا من خلالها نهتدى إلى الحقيقة التى حاول البعض طمس معالمها أو ذبحها.

حسين سرى باشا (بالمناسبة هو زوج خالة الملكة فريدة زوجة فاروق):

لقد بات فى يقينى -بما لا يدع مجالاً للشك - أن الملك لا يستطيع معاشرة النساء، ولا أظن أنه يصل بأية امرأة إلى نهاية الشوط.

اللورد لامسون:

لدى معلومات تعزز ما ذكرته، فضلاً عن أننى على علم مسبق بأن زوجته الملكة فريدة أخبرته من أنها قد ضاقت ذرعاً ولا ترغب فى استقباله بغرفتها حيث يراودها شعور بأنه بات شخصاً متطفلا!! وهذا ما يجعلنى أتساءل فى دهشة واستغراب. . إذا كان ذلك كذلك فكيف استطاع أن ينجب منها بنتين؟!

حسين سرى:

دعك من هذا. . هو ليس عقيماً كما تظن، لكنه بالفعل لا يملك مقومات وعناصر ومهارات الشباب فى مثل تلك الأمور.

لامسون:

فى تقديرى أن هذا الأمـر الغريب لدى رجل مثـل الملك من شأنه أن يؤثر بالسلب على سلامته العقلية والمزاجية.

حسين سرى:

إذن برأيك ما هو الحل الأمثل لعلاج تلك المشكلة الخطيرة؟

لامسون:

فى غضون أيام سوف أبعث إلى حكومتى فى لندن سرعة الاتصال بالدكتور هنرى الذى كـان قد أجـرى ذات مرة فـحوصـات طبيـة على الملك فى لندن، وذلك للوقوف على حالته بدقة متناهية.

حسين سرى:

إن الدكـتور هنرى يعـتقـد أن هذا الأمر ليـس وليد اللحظة، بل إنه يعـود بالفعل إلى سنوات ما قبل الزواج.

«انتهت الوثيقة البريطانية»

ما من شك أن هذه الوثيقـة التى أفرجت عنها إنجلترا بعـد انقضاء سنوات العدة الـسرية تبـرهن على أن الرجل لم يكن يملك القدرة والإرادة فـى إتمام ما يصبو إليه أى رجل مع عشيقتـه، وهو ما يؤكد أن علاقات الرجل كانت مجرد إشاعات وأقاويل، ربما كانت من صنع الملك نفســه، أو من افتراءات خصومه، وهم كثر.

أو أنها كانت مـجرد علاقات تدور فى إطار الملاطفة والمداعـبة والغزل بكل ألوانه دون أى تصعيد للعلاقة أو تطور لها.

وللتأكيد على صحة ما أوردناه ووجاهة فكرتنا وصدقيتها بعد أن اختفت معالم الحقيقة التى حاربها خصوم فاروق، إما لتصفية حسابات، أو لمداهنة ثوار يوليو أملاً فى نفوذ، أو طمعاً فى دور، أو خوفاً من بطش نستعرض هنا حقيقة العلاقة بينه وبين السيدة ناهد رشاد وصيفة شقيقته الأميرة فوزية، والتى ثارت من حولها الشائعات السوداء من مزاعم وأكاذيب تزعم أنها كانت على علاقة ساخنة مع فاروق حتى أن السينما المصرية شاركت فى تلك المهزلة بإنتاج فيلم بعنوان «امرأة هزت عرش مصر» لعبت بطولته نادية الجندى وتقمصت من خلاله دور ناهد رشاد ليعزز تلك الافتراءات دون أدنى جهد للوصول إلى كبد الحقيقة.

والغريب أن مؤلف تلك الرواية الساذجة لم يشأ أن يطلع على كافة المذكرات والشهادات التى صدرت لإنصاف تلك السيدة التى ساءت سمعتها حيث كان همه الأول والأخير إنتاج فيلم يسىء إلى ناهد رشاد لشهرة يصيبها أو مال يجمعه ويدخره بغض النظر عن مردود هذا الفيلم وتبعاته السيئة.

* * * *

فى مذكرات السكرتير الشخصى للملك فاروق يقول أمين فهيم:

«لم يكن فاروق يكتم عنى أسراره، وطالما قص على فى المنفى الكثير من مغامراته، وعندما ألمحت له عن الشائعات التى ترددت عن علاقته بناهد رشاد أقسم لى- بحياة أبيه - وهو قسم اعتدت على يقين أن أصدقه فيه - بأنه لم يكن يربطه بها سوى صداقته لزوجها. . وقال أنه كان يشعر بأنهما سعيدان يتبادلان الحب، وأنه كان يشعر بأنهما حققا السعادة التى كان هو محروماً منها.

وأضاف فاروق: أنه كان كلما شعر بالملل والوحدة فى القصر كان يذهب ليلاً إلى شقة يوسف رشاد، ويطلب منه أن يحضر له مرتبة ويضعها فى بلكونة

الشقة لينام عليها حتى الصباح، وكانت ناهد تحرص على أن تضع بجانبه سلة مليئة بالفاكهة.

ويضيف أمين فهيم: « أن فاروق كان يصحو من نومه على صوت رشاد يقرأ قرآن الصباح» وقال أيضاً: «إنه لم يحدث مرة أن خرج يوسف رشاد من الشقة وترك ناهد وحدها ولا صحة لما قيل إنه كان يختلى بها».

وعقبت على ذلك بقولى: أنه حدث مرة ونحن فى مصر أن فاتحت رشاداً كصديق - حول ما يتهامس به البعض عن علاقة الملك بزوجته، فأكد لى أنه لم يلحظ أبداً من فاروق ما يدل على محاولة من جانبه لاستمالتها، وأنه لو كان قد لاحظ ذلك لكان قد قدم استقالته على الفور.

وأكد لى فاروق - والكلام لأمين فهيم - أنه لم يشعر فى يوم من الأيام بأى عمل من جانبها لإغرائه.

كان فاروق يعطف عليها ولاحظ يوماً عندما تجلس معه تضع أصبعها على زبيبة صغيرة فوق أنفها بالقرب من عينها اليمنى.. فقال لها إنه سيوفدها فى مهمة خاصة جداً فى أمريكا [وقيل إنها قد تكون للقاء أخته فتحية، ولكنه لم يفاتح أحداً بأمرها».

وهناك تنتهز الفرصة لإزالة تلك الزبيبة بعملية بسيطة، وتم ذلك بالفعل وكانت من النوع السرطانى الخطير.

* * * *

هذه شهادة براءة لسيدة فاضلة استباح البعض عرضها وكرامتها دون الالتفات إلى رؤية الحقيقة التى تعاموا عنها عن قصد وسوء نية، وراح كل منهم يغترف من منابع الشر والحقد والظلم والكراهية لإثبات ما لا يمكن إثباته.

وقس على ذلك الكثير من الشائعات الرخصية، وإن كنت لا أستطيع تبرئة فاروق منها حيث كان يسعى في بثها وانتشارها لهوى فى نفسه، وقد كانت لديه الإمكانات على دحض هذه الافتراءات لكنه أراد بصمته ورضاه توكيدها، وهو ما يستدعى الملاحظة والتأمل والدراسة.

وربما كانت سامية جمال أشهر راقصات مصر، وألمع سيدة حامت حولها الشائعات أيضاً دون أن يسعى أحد للوقوف على وجه الحقيقة، وربما كان ذلك برغبة من فاروق نفسه لتوكيد فحولته وقوته، وربما كان ذلك بإيعار منها لإعلاء شأنها وتلميع نجمها ،خاصة إذا كانت الشائعات التى تطاردها تتعلق بعلاقة دافئة مع ملك مصر والسودان، وهو ما يجعلها تتفاخر بها وتتباهى، وذلك نكاية فى فريد الأطراش الذى أحبته إلى حد الجنون، ولكنه رفض الزواج منها على اعتبار أنه سليل سلطان باشا الأطرش أمير جبل الدروز حيث كان يرى أن زواجه منها لا يستقيم مع بيئته وعراقته وأصالته، وللإنصاف فقد كان هذا هو موقف فريد من جميع الفنانات ومن بينهم المطربة شادية التى أحبته أيضاً فواجهت مصير سامية جمال التى تندر البعض عليها قائلاً: إنها راقصة مصر الرسمية، وأنها لا تغادر فراش الملك، وأن فاروقا هو ملك مصر والسودان وسامية جمال».

وتأكيداً على ما سبق قوله فقد التقى الأستاذ أنيس منصور بالراقصة سامية جمال قبل رحيلها، وقد أجرى معها حديثاً تعرض من خلاله لحقيقة علاقتها بالملك فاروق الجمعة ٩ أغسطس ٢٠٠٢، وقد كتب الأستاذ أنيس منصور يقول:

« التقيت سامية جمال وهي سيدة لطيفة ظريفة مجاملة جداً، ولا تزال رشيقة القوام ووجهها قد أضاء وشكلها وقور فى ملابسها المحتشمة.

وقـالت وقلت وضحـكنا وحكايات من هنا فى السـياسـة والفن والتـاريخ وفريد الأطرش وشكرى سرحان ورشدى أباظة ورشدى أباظة ورشدى أباظة:

أنيس: باقولك أيه يا سامية:

سامية: يا ابن الإيه.

أنيس: إيه.

سامية: أنت غيرت الكلام بسرعة كده ليه وهو فيه إيه؟

أنيس: فيه.

سامية: أيه؟

أنيس: سؤال لا أجد حرجاً فى أن أوجهـه إليك وأنا أعرف الإجابة مقدماً هل كانت لك علاقة جنسية بالملك فاروق كما نشرت الصحف؟

سـاميـة: يا خويا أنـت اللى كنت بتقـول فى روز اليـوسف، وأنت اللى أطلقت على لقب (راقصة مصر الرسـمية) وأن العلم المصرى كانوا يضعونه فوق الفندق الذى كنت أنزل به فى مدينة دوفيل.

أنيس: أيوة صحيح لكن لم أتحدث، ولا كان فى استطاعتى أن أتحدث عن علاقات مع الملك.

وفى هذه اللحظة مـدت ساميـة جمال يدها إلى المصحف ووضعـته على وجهها وهى تقـول: وحياة المصحف وكلام ربنا ما كـانت لى أية علاقة بالملك فاروق.. لا عن عـفة ولكن هذا مـا حدث ألوف يتـمنون هذه العلاقـة، لكن والمصحف ما حصل أنت كنت جاى عشان كده بقى يا أنيس.

أنيس: أنا كنت متأكد من كده.

سامية: ليه متأكد؟

أنيس: متأكد.

سامية: تفتكر إن ده ممكن يحصل لو قابلت فاروق فى جهنم.

أنيس: هأ هأ.. يمكن.. هأ هأ..

لقد أعجبتنى سامية جمال.. وصدقتها.. حين قالت فى جرأة وشجاعة نادرة:

«وحياة المصحف ما كانت لى أية علاقة بالملك.. لا عن عفة، ولكن هذا ما حدث».

لم تقل سامية جمال إنها أبت مضاجعة الملك، وإنه هام بها وروادها عن نفسها، وإنها لم تكن تطيق رؤيته وحكايات وأكاذيب من تلك العينة التى امتلأت بها كتب الغوانى والقوادين، لكنها قالت إنها لا تنفى ذلك عن عفة، وهى الحقيقة فقط التى تبرئ ساحتها وساحة الملك فاروق، وهو ما يشير إلى أن الرجل كان ضحية الانتهازيين والأفاقين وصنيعة أفقه وسوء نواياه.

كان يمكن لسامية جمال أن تزعم أنها كانت على علاقة بالملك قهراً وقسراً، وأنها حاولت مراراً مقاومته دون جدوى حيث الملك هددها بالقتل إذا لم تستجب لرغباته.. كان بمقدورها أن تدعى ذلك أو أكثر من ذلك بكثير لكنها آثرت قول الحقيقة، وهى على مشارف الموت والوقوف بين يدى الحسيب الرقيب.

* * * *

أما ما أشيع حول ضبط امرأة فرنسية تدعى آنى بريئة فى غرفة نوم الملكة فريدة زوجة الملك فاروق ،فهو قول يجافى الحقيقة ولا يتواءم مع المنطق بحال من الأحوال، ويقودنا إلى التساؤل والاستفسار والدهشة هل كان فاروق يستطيع

أن يصطحب أية امرأة مهما عـلا شأنها إلى قصر عابدين ومرافقـتها بنفسه إلى غرفته الخاصة التى تجمعه مع زوجته الملكة فريدة؟

بالطبع هذا الادعـاء رخيص وهزلى حيث لـم يكن فـاروق يملك الشجـاعة والجرأة على القيام بمثل هذا التصرف الصبيانى. . ثم ألم يعرف فاروق وحاشيته أنه لا سبـيل لفريدة سـوى أن تخلد ليلاً إلى غـرفتهـا، وهذا تصرف طبـيعى ومألوف ومعتاد منذ قدومها زوجة للملك إلى القصر؟! وهل كان بمقدور فاروق أن يفعل ذلك فى حضور والدته الملكة نازلى التى كـانت تثير الرعب فى قلبه، وكثيراً ما كانت تردعه وتؤنبه إذا تراءى لها سوء تصرفاته؟

ألم يكن جديراً بالملـك أن يصطحب تلك المرأة اللعوب إلى أى قصـر آخر من قصور الرئاسة المنتشرة فى القاهرة أو أية مزرعة من مزارعه المتعددة؟

الحقيقـة أن فاروقا لم يكن بتلك الشجاعة، أو هذه السذاجـة بل كان ذكياً واعيـاً، ومن ثم فمثل هذا الادعـاء يضاف إلى قائـمة الشائعـات السوداء التى حاقت بالرجل حياً وميتاً.

نفس هذه التساؤلات تنطبق على ما أورده البـعض حول شائعة ضبط الملكة فريدة امرأة تدعى «ليلى شريف» فى غرفة نومها حيث إنها شائعات لا تتفق مع العقل ولا تنسجم مع أى منطق سوى منطق السذج والبلهاء.

أما ما تردد حول علاقته بالممثلة الفاتنة كاميليا فقد أكد رواة هذا الافتراء أنه التقى بها سراً فى قبرص، ولا أدرى لماذا لم يلتقِ بها هى الأخرى فى غرفة نوم زوجته فريدة؟

وهل كانت مزرعـة الملك بأنشاص أبعد من قبرص، ثم لماذا لم يصطحـبها إلى قصر المنتزه؟! هل تعذر على الملك مرافقتها فى أى قصر من قصوره الكثيرة والمتشعبة فى جميع أنحاء البلاد؟!

إن هؤلاء يتحدثون عن الرجل وكأنه شاب مراهق عجز عن تدبير شقة يقضى بها خلوته مع من يحب ويهوى ويعشق، ومن ثم اضطر تحت ضغط المطاردة الزوجية والصحفية إلى الهرب بها إلى قبرص؟!

وهؤلاء الذين ظنوا أن الملك آثر السلامة خوفاً من فريدة فسافر إلى قبرص وتجنباً للقيل والقال، وتفادياً لعدسات الصحافة غفلوا عن عمد أن للرجل ضياعه التى كان بمقدوره الاختباء بها دون أن يهتدى إليه أحد، ثم إنه لم يكن يعبأ بما تنشره الصحافة وإلا كان قد توارى خجلاً من انكبابه كل ليلة وحتى شروق الشمس على موائد القمار رغم الحملات الشرسة التى شنتها الصحف ضده، وظل على غوايته دون تراجع أو انكماش.

* * * *

بصراحة أكثر أريد أن أقول إنه قد يكون للرجل نزواته شأنه شأن أى زوج زائغ البصر ،لكنه لم يكن سابحاً فى بحور النساء ليلاً ونهاراً، كما أراد هؤلاء أن يزيفوا الحقيقة. .

وظنى أن فاروق بما أشاعه عن نفسه من فحولة وقدرة استعاض بها عن حقيقته وحرص البعض على ملاطفته والتودد إليه هو الذى أدى إلى مثل هذه الأكاذيب والشائعات.

لقد كان فاروقا متأثراً إلى حد بعيد بسيرة جده الخديو إسماعيل وخاصة فيما يتعلق بشأن علاقاته النسائية الشهيرة ،ومغامراته التى تحدث عنها الجميع، ونزواته التى كان يتفاخر بها. . ولعل هذا التأثر الشديد بالخديو إسماعيل هو الذى دفع فاروقا للمباهاة والتفاخر أمام أصدقائه بكثرة علاقاته وقدرته الفذة على اللقاء مع أكثر من سيدة فى ليلة واحدة حتى أنه كان يختتم حكاياته المسلية الكاذبة بالعبارة الشهيرة: حفيد إسماعيل يا جماعة!!

أى تأكيد على فحولته وفروسيته كجده تماماً، وقد أضحكنى كريم ثابت، وأنا أقرأ مذكراته، وقد علق على ذلك بأن حلاق الملك فاروق عقب بحركةلا إرادية إلى كريم ثابت من خلف ظهر الملك بأنه كاذب ولا تصدقه حيث كان يسهر الليلة الماضية بمفرده طوال الليل، وذلك أثناء حديثه عن مغامرة نسائية لكن فاروقا الذى عانى من الحرمان فأراد أن يصنع ما يستطيع، ويزعم أنه صنع ما لا يمكن أن يصنعه، وأن يدعى ويتفاخر بما يجب أن يكتمه.

* * * *

أريد أن أقول: إذا كان هناك إجماع تأريخى على انكباب فاروق على موائد القمار وتوافق ملحوظ على كراهيته للكحوليات بجميع أنواعها وأشكالها وألوانها، فما من شك أن مسألة غراميات فاروق ولياليه وسهراته التى تناثرت من حولها الأقاويل تفقد الإجماع والتوافق على نفيها أو إثباتها، ومن ثم جاءت الشهادات المتعلقة بهذا الأمر بين مجروحة أحياناً وسليمة فى أحيان أخرى فتعذر على الباحث الوقوف على وجه الحقيقة التى تستدعى دراسة وافية ومضنية وشاقة لإجلائها وتلميعها.

* * * *

شائعات كثيرة ومتعددة طارت ودارت حول فاروق وغرامياته التى لا تنتهى، وعلاقته المحرمة التى لا تتوقف حتى بدا الملك فى عيون من يعرفونه ذنب يمشى على قدمين، وربما كان فاروق قد ارتاح لمثل تلك الشائعات غير عابئ بما سيترتب على ذلك من تشويه لسمعته وإهانة لزوجته وتحقير من شأن أسرته، فضلاً عن النفقات الباهظة التى ستسددها كل من حاقت بها تلك الأقاويل من سمعتها وشرفها وكرامتها ومستقبل أولادها وأسرتها أيضاً.

* * * *

من ناحيتى أعتقد أن فاروقا لم يكن كما عرفه البعض - زير نساء - بالمعنى الشائع، لكنه على نحو أو آخر كان يهوى رؤية النساء وملاطفتهن والتحدث معهن دون تطوير فى شكل وحجم العلاقة مع أى منهن.

أعتقد أيضاً أن ما تواتر من مزاعم وأقاويل تتعلق بتلك المسألة لا يستقم مع العقل والمنطق إذا دققنا وفحصنا تلك الإشكالية بدقة وأمانة وتجرد ونزاهة وحياد.

لقد زعم البعض أن فاروقا كان على علاقة غير شرعية مع السيدة ناهد رشاد ،والفنانة كاميليا والراقصة سامية جمال، وأخرى تدعى ليلى شريف، غير ذلك من جنسيات مختلفة، وسوف نتعرض بالتفصيل لتلك المرويات، ولكن ينبغى أن نتأمل معاً ما ورد فى الوثيقة التى كشفت بريطانيا النقاب عنها مؤخراً، وهى تتعلق بتلك المسألة، وقد دارت وقائعها بين اللورد ما يلز لامسون القنصل البريطانى بالقاهرة، وحسين سرى رئيس الحكومة حينئذ، وزوج خالة الملكة فريدة فى محاولات جادة وجهود حثيثة باءت بالفشل، وإن اضطر فاروق إلى إرجاء الطلاق تفادياً، لوقوع حسين سرى فى حرج شديد أمام الصحافة والرأى العام لحين انتهاء فترة الحكومة من خلال التبكير بانتخابات برلمانية تأتى بحكومة جديدة لا يتزعمها حسين سرى.

الغريب أن فاروقا كان يحب فريدة حباً شديداً، ولا يستطيع مفارقتها، أو الابتعاد عنها، لكنه فى ذات الوقت أصبح لا يطيق التحدث معها أو النظر إليها كلما مر بخاطره طيف وحيد باشا يسرى ظناً منه أن هناك علاقة ربطت بينه وبين زوجته.. ومن ثم اشتدت الأزمة ووصلت إلى طريق مغلق إن لم يكن مسدوداً فاضطر إلى القيام بإجراءات الطلاق، وذلك بعد ضغط شديد مارسته

فريدة التى هجرت قصـر عابدين لتستقر مع بناتهـا الثلاث بقصر الطاهرة الذى أطلقه الشعب على (قصر القبة) وفاءاً منه لتلك الملكة العفيفة الطاهرة.

ورغم أن فاروقا قـد منحها نحو ألـفى فدانٍ من الأراضى الزراعية الخـصبة أطلق عليهـا أراضى الفريدية ربما تتـراجع عن طلبها الملح فى الانفـصال إلا أن فريدة كانت تشعر أن فاروقا الذى أحبته ومازالت تحبه قد أهانها وجرح كبرياءها كملكة للبلاد دون أن يضع فى الاعتبار أنها زوجته وأم أولاده، وقد ساعد على ذلك ما تناثر من أقاويل حول علاقات فاروق الشائنة وابتعاده عنها وانغماسه فى السهر على موائد القمار كل ليلة، وعدم قدرته على مطارحة الحب كما كان فى بداية زواجه منها.

ربما اجتمعت كل هذه الأسباب لكى يـبقى السبب الوحيد والجوهرى الذى ألم بالملكة فـريدة وذبحهـا وهو عدم تمكـنها من إنجـاب ولد كان يتلهف عليـه فاروق وتنتظره والدته، ومن ثم تعـرضت العلاقة بينهما لهـب الريح فتحطمت وتحولت إلى أشلاء كأنها عائدة لتوها من معركة حربية.

* * * *

وأمام تلك المتغيرات والتطورات اضطر فاروق لاستدعاء شيخ الجامع الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغى لمفاتحـته بشأن ضرورة إصدار فتوى فى الواقع أن فريدة كانت تشعر بالحزن والأسى رغم أن الأمـر لم يكن بيدها غير أن البعض كان فى تلك الأزمنة يتصـور أن تحديد الأنثى والذكر يتعلق بصحـة الأم وقوتها وعافيتـها وحظها، بينما أكد الطب الحـديث أن ماء الرجل هو الذى يحدد نوع الجنين.

لكن من الذى كان يعترف بتلك الحقيـقة أو حتى يعرفها، ومع ذلك دفعت فريدة الثمن غالياً وباهظاً ومكلفاً.

كانت فريدة فى سنوات زواجها الأولى تشهد الاحتفالات الخيرية، وتعطف على الفقــراء، وتتبادل التحيــة والمصافحة مع عــامة الشعب حتى أحــبها الناس وعشقوها وحزنوا من أجلها بعد أن شاء الله ألا تلد ذكراً.

ولأن فاروقا كان يعــرف أن الشعب يعشق فريدة، فقد أمــرها بعدم الخروج من القصر أو حضور أية احتفالات مهما كانت.

ورضخت فريدة وانكمــشت فى بيتها حين أدركت أن فاروقا لم يعــد يحبها أو يميل إليها كما كان فى بدء زواجهما..

وبدأ فاروق ينصــرف عنها ولا يتحــدث إليها كـثيراً، وانكب على الســهر وممارسة القمــار حتى الصباح وقد ضــاق الشعب بتصرفــاته ذرعاً وذلك بعد أن تسربت أنباء من تحت أعتاب القصر تشير إلى وجود خلافات بين فاروق وفريدة تتعلق بسهــر فاروق وانصرافه عن مهــمام وشؤون أسرته متــذرعاً أنه يعانى من تحمل مسؤولية البلاد ودارت الشائعات، وربما الحقائق لا أحد يدرى ماهيتها عن علاقات فاروق المتعددة والمتشعــبة، وأن فاروقا غارق فى ملذاته سابح فى بحور النســاء لا يمل من غزلهن ومــعاشــرتهن، وبدأت الخلافــات تتطاير شظاياها.. والشكوك تنتاب الزوجين ولم تنجُ فريدة من الوقوع فى مصيدة الشك حيث إن فاروقا قــد أوعز إليه بعض الخبثــاء أن زوجته فريدة اعتــادت الذهاب إلى قصر الأميرة شويكار لمقابلة ابنها وحيــد باشا يسرى، وهو بمثابة ابن عمة الملك حيث إن والدته هى ابنة عم والده الملك فــؤاد، فضلاً عن أنهــا كانت زوجــته الأولى قبل اقترانه بالملكة نازلى.

* * * *

فاروق وزواجه من فريدة

«بمناسبة زواج ملك البلاد فاروق الأول أقيمت عشرة سرادقات فى الأحياء الشعبية وقُدِّم من الطعام فى كل سرادق ما لا يقل وزنه عن عشرة أطنان من اللحوم الضأن أى ما يكفى لإطعام نحو ١٠ آلاف فقير بإجمالى حوالى مائة ألف!!»

زواج فاروق وفريدة

كعادة كل ملوك العالم وأباطرته راح فاروق يبحث عن وريث للعرش قبل البحث عن عروس تشاركه أعباء الحكم ومسؤولياته، ولعل هذا هو ما يثير ظلالا من الكآبة دائماً فى داخل القصور الملكية سواء فى مصر أو غيرها حيث يظل عشق الملك وغرامه بزوجته مرهوناً دائماً بجنس الوريث، فإن كان ذكراً أشرقت الوجوه وعلت الضحكات، وإن كانت أنثى اسودت الوجوه وساد الحزن والوجوم، وسرعان ما تنفجر الخلافات بين الملك وزوجته على أتفه الأسباب ويكون الهدف منها التخلص من تلك الزوجة «النحس» كما يقولون ليبدأ رحلة البحث عن عروس تهب له ولداً يرثه ويرث عرشه من بعده.

وللإنصاف هذه ليست عادة الملك فاروق فقط، بل هى عادة متأصلة فى عروش وقصور وتيجان العالم أجمع، وإن كانت هناك بلدان كالمملكة المتحدة لا تعتد بمثل هذا النص الدستورى.

* * * *

نعود إلى فاروق وزواجه من فتاة كانت حلم كل من يعرفها أو يلتقى بها لجمالها وحسنها وبراءة وجهها وسحرها ودلالها وحيائها ورجاحة عقلها وهدوئها وثقافتها، وهى عوامل أدت إلى أن يتسلل الحب إلى قلب الملك ابن الثامنة عشرة الذى بدا مفتونا بها مأخوذا بسحرها وذلك أثناء رحلة جمعتهما معاً إلى سويسرا، وكانت الآنسة صافيناز ذو الفقار تحت ملاحظة ومراقبة الملكة الأم نازلى التى أبدت إعجابها بسلوك صافيناز واحترامها لنفسها، ولحسن تصرفاتها دون أن تفعل ما يسىء إليها ويحط من شأنها.

وصافيناز من مواليد الإسكندرية عام ١٩٢١، ووالدها كان يعمل فى السلك الدبلوماسى، ووالدتها كانت إحدى وصيفات الملكة نازلى، وتجدر الإشارة إلى أن خال صافيناز كان الفنان الرسام العالمى محمود سعيد صاحب أشهر لوحة فنية بعنوان «بنات بحرى»، وخالتها هى السيدة ناهد سرى زوجة حسين سرى باشا رئيس الوزراء؛ تميزت صافيناز أيضاً بثقافتها الرفيعة حيث كانت تجيد الاطلاع والقراءة باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، وقراءة التاريخ القديم، وتهوى الرسم والعزف على البيانو، وقد نالت شهادتها من مدرسة نوتردام ديسون بالإسكندرية.

وحين قرر فاروق الزواج منها فاتح والدته الملكة نازلى التى رحبت على الفور إعجاباً منها بالفتاة الحسناء صافيناز، والإسراع فى إنجاب ولد وريث للعرش حتى يتلاشى من أمامها شبح الأمير محمد على ابن توفيق ولى العهد الذى لا يزال يتربص بالقصور الملكية، ويتأهب للقفز على عروشها ويحلم بالتاج الملكى على رأسه حتى كاد أن يفقد نصف عقله بين اليأس والرجاء.

الشاهد أن فاروقا نال رضا وقبول وموافقة والدته التى كانت تحكم البلاد بمهارة وذكاء شديدين، ثم اتجه إلى منزل والد الآنسة صافينار ذو الفقار الذى استقبله استقبالاً حاراً وبحفاوة شديدة كانت السرايا التى يقطن بها متراصة بالجنود وحرس الشرف فى انتظار الملك بصحبة أحمد حسنين رئيس الديوان الملكى وفى صالون قصر آل ذو الفقار بدا الملك الشاب خجولاً مضطرباً متوتراً خائفاً مرتبكاً شأن أى شاب يتقدم لفتاة يخشى من رفضها أو معارضة أهلها.

وربما كان فاروق على حق فى هذا الخوف حيث إن والد صافيناز أبدى دهشته واستغرابه من هذا الطلب الذى لا يتفق مع صغر سن ابنته آنذاك ومع إلحاح فاروق وضغط أحمد حسنين فى محاولة إقناع والد الفتاة اضطر الرجل إلى الموافقة على إتمام الزواج بعد أن استأذن لمفاتحة العروس فى الأمر، وقد

أومأت فريدة بخجلها الشديد واحمرار وجهها مما برهن على أن الحب قد ملكها من ملك البلاد وتمكن منها، وهو ما اعترفت به فيما بعد حيث أكدت أنها أحبت فاروقا وستظل تحمل له هذا الحب مدى الحياة.

وبعد أن وافق والد صافيناز على الخطوبة تم تحديد موعد الزفاف فى ٢٠ يناير ١٩٣٨ الذى كان يوماً لا نظير له في تاريخ البلاد حيث شاركت جميع مؤسسات ودواوين الدولة فى هذا العرس، وكأن فاروقا ابن لكل أسرة مصرية وهو الشعور الذى كان مسيطراً بالفعل على جميع أبناء الشعب.

قبل إتمام الزفاف أبدى فاروق رغبته فى تغيير اسم خطيبته الآنسة صافيناز إلى اسم آخر يتفقان عليه شريطة أن يبدأ بحرف الفاء تيمناً به كما كان يفعل والده فؤاد رحمه الله.

وفاتح فاروق خطيبته الرقيقة فى هذا الشأن فوافقت على الفور وفى حديقة قصرآل ذو الفقار راح فاروق وصافيناز يجلسان تحت شجرة للبحث عن اسم يبدأ بحرف الفاء يليق بجمال وحسن صافيناز، وترددت على ألسنتهم أسماء كثيرة حتى استقرا على اسم «فريدة»، خاصة أن فاروق أرفقه مصحوباً بكلمات معسولة من الغزل العفيف الذى بدت تأثيراته واضحة على وجه خطيبته، وقد تذرع فاروق لاختيار هذا الاسم بقوله: «إنك بالفعل فريدة فى كل شىء، بل وفريدة من نوعك» وعلى الفور أخبر فاروق رجال القصر لإبلاغ مؤسسات الصحف أن الاسم الجديد للملكة القادمة هو (فريدة) وبالفعل عاشت صافيناز تحمل اسم فريدة حتى رحلت عن الدنيا.

* * * *

أما ليلة الزواج وعقد القران السعيد، فقد كانت أسطورية نادرة لا مثيل لها بدت وكأنها ليلة من إحدى ليالى ألف ليلة وليلة.. الشعب يبتهج ويرقص

طرباً لزواج الملك. . . القصور الملكية تزينت بالأنوار والأعلام. . المصالح والدواوين الحكومية رفرفت صور تحمل فاروقا على مبانيها. . موائد الطعام تنشر بجوار القصور الملكية يتردد عليها الفقراء والمساكين. . مرسوم ملكى يقضى بالإفراج عن جميع المسجونين باستثناء القتلة والسافحين. . مرسوم آخر يتبعه بالعفو وعودة جميع العمال المفصولين لأعمالهم. . السعادة بادية على وجوه الناس.

القصور الملكية بدت وكأنها خلية نحل. . سيارات تذهب وتعود أفواج من الفتيات والأطفال. . وفد يذهب إلى باريس لشراء ثوب الزفاف. . حالة طوارئ من الحب غمرت البلاد.

الكل يتلهف على رؤية العروس الساحرة الفاتنة ست الحسن والجمال «فريدة» وفى ليلة الزفاف الأسطورى بدأت الموسيقى الملكية بعزف السلام الملكى إيذاناً ببدء مراسم وبرامج الحفل التاريخى ملوك العالم تجلس بجوار بعضها البعض الملكة نازلى تبدو سعيدة وفى غاية الأناقة وبجوارها شقيقات فاروق. .

أقبل الموكب لزفاف الملك، والد فريدة يمسك بيدها، أو ربما هى التى أمسكت بيده. . والعيون شاخصة متطلعة مسلطة متحفزة، الكل يتطلع ويهفو ويتوق إلى رؤية الملكة ابنة الشعب وليست سليلة القصور الملكية. . وبدت فريدة رائعة الجمال مثيرة للدهشة فاتنة. . ساحرة. . كأنها سندريلا القرن العشرين كانت حديث المدينة بجمالها وسحرها فتسللت إلى قلوب الشعب وتربعت ملكة عليه دون منازع.

بدأت الموسيقى الملكية فى عزف السلام الملكى إيذاناً ببدء الحفل الأسطورى، وبدأت الفرق الموسيقية العزف بكافة لغات العالم إرضاءً لجموع الأجانب التى وفدت للمشاركة فى هذا العرس.

أما موائد الطعام فقد بدت لناظريها كأنها مزينة بالياقوت والماس حيث طغى الكافيار والرومى والنعـام على أطباق ذهبية وملاعق يندر للمرء رؤية مـثيلها . . وأما عن الحلوى الغـربية والشـرقية والمشـروبات التى وردت على متن طائرات خاصة، فحدث عـنها ولا حرج فلن تشهد القصور الملكية فى مـصر نظيراً لها مرة أخرى.

ظل الحفل طوال اللـيل وبعدها انتقل فـاروق بصحبـة عروسـه إلى جناحه الخاص داخل القصر ،ثم انطلق بعدها إلى سويسرا لقضاء شهر العسل.

* * * *

عاد فاروق بعد انـتهاء شهر العسل إلى مـصر وحظيت فريدة بلقب «ملكة مصـر» انتظر الجميع وتاق إلى قدوم ولى العـهد الجديد، وأعلن طبـيب العائلة الملكية بعـد عودة الزوجين من شهر العـسل أن الملكة فريدة تحمل فى أحشـائها جنينا ثمرة زواجها السعيد بالملك الوسـيم ومحبوب الشعب فاروق، وعم الخبر البلاد ونشرته الصحف مهنئة ومستـبشرة ومضت الأيام والشهور وفاروق يرصد عقارب الساعة، ووالدته تتأمل عقرب الثوانى تدق الأرض بقدمها وكأن عقارب الساعة ستسرع من قفزها وعدوها خوفاً منها.

وسرعـان ما مرت الشهـور والأيام كعهـدنا بها وحلت ساعـة مجىء ولى العهـد ملك البلاد الولد الذكر الذى ينتظره الملك فـى شوق ولهفة اسـتسلمت فـريدة لطاقم الأطبـاء المتخـصص فى شـؤون الولادة، وما هى إلا ثوانٍ حـتى رجت أرجاء الغـرفة بكاء الوليد الجديد وانـطلقت الزغاريد تهز أركان القـصور الملكية، وعمت الفـرحة الجميع، وسرعان مـا انطفأت الأنوار وخرست الألسنة واختفت الفرحة وحزنت نازلى وتألم فـاروق، وفرحت فريدة فرحة عارمة حين أعلن الطبـيب الخاص أن المولود أنثى، وظل فـاروق عابسـاً حتى أقنعـه رجال

جاشيـتة أن هذا أمر مألوف وراح بعـضهم يبشره بقـدوم الأنثى فى البداية بأنه بشيـر خير له وللملكة وعليه ألا يتـعجل وينتظر الولادة القادمـة لعل الله يرزقه بمن يرثه، ولأن الملك كـان طيب القلب متـفتح الذهن، فـقد ارتاح بعـد ذلك لمولودته التى سـماها فريال ،وذلك فى عـام ١٩٣٨، وبعد مـرور عام ونصف العام فوجئ فـاروق بالمولود الجديد أنثى فشعر بالضـيق والغضب، وحين أقنعه البعض أن الولد قادم قادم فى الثالثة انفرجت أساريره وهدأت نفسه وأطلق على المولودة الجـديدة فوزيـة ،وفى عام ١٩٤٣ ظل فـاروق قلقـاً مضطـرباً متـوتراً متوجساً خـائفاً مرعوباً شبح الأمير محمد عـلى يطارده يتراقص أمامه يضحك فى وجهـه يستهـزئ به، وبعد دقـائق من القلق والأرق أطل الطبيب بوجـهه الشاحب قائلاً للملك : «مبروك يا مولانا» ثم انصرف عـائداً إلى غرفته متذرعاً بانهماكه فى إتمام إجراءات ما بعد الولادة ،وأدرك فاروق أن المولود الجديد أنثى ما دامت مسـاعدات الطبيب فى حالة وجـوم وصمت لاذ به الجميع فـاستسلم فاروق ورضخ لقضاء الله وقدره، فأطلق عليها الأميرة «فادية» وهى أسماء أصر فاروق على أن تبدأ جميعها بحرف الفاء كعهد أبيه.

* * * *

دينه يمنع زواج الملكة فريدة من رجـل آخر حال طلاقهـا من فاروق ظناً منه أن الملوك كالأنبيـاء لا ينبغى لأزواجهن الاقتران بأحد بعـد وفاتهم أو طلاقهن، وهو ما رفضه الشيخ محمد مصطفى المراغى رفضاً قاطعاً حيث يتنافى ذلك مع أحكام الشريعة الإسلامية وفقهها وسنتها الحميدة.

أراد فاروق أيضاً انتقاماً من فريدة إصدار فـتوى بحرمانها من رؤية وحضانة أطفالهـا إلا أن هذه الرغبة اصطدمت أيضـاً مع صلابة وحكمـة الشيخ المراغى الذى أتم إجراءات الطلاق، فاضطر فاروق إلى تشويه سيرتها لدى أطفاله حتى

نجح فى إقناعهن فيما بعد أن والدتهن كانت تخونه ولم ترعَ حرمته وشرفه وكبرياءه ومكانته الأمر الذى أدى إلى مقاطعتهن لوالدتهن حتى أن واحدة منهن لم تذهب لزيارة والدتها فى أثناء مرض موتها الأخير فى تأثر بالغ وواضح من فاروق الذى نجح فى الانتقام من فريدة حياً وميتاً.

وعاشت فريدة بمفردها تعانى العزلة والوحدة التى فرضها طلاق فاروق، فقتلت وحدتها بفرشاة الرسم حتى أفلست ولم تعد تملك قوت يومها حتى اضطرت إلى بيع لوحاتها لمجابهة أعباء الحياة بعد ثورة يوليو وفرض الحراسة والتأمين على جميع منقولات وممتلكات أسرة محمد على بما فيهم الملكة فريدة. وظلت فريدة على حالها وقد انتقلت إلى الإقامة فى شقة صغيرة مكونة من غرفتين وصالة لا تليق بملكة كانت تملك قصورا وضياعا ومائتى ألف فدان ومجوهرات ونفوذ وجاه وسلطان ولله فى خلقه شؤون وأحكام.

* * * *

وجدير بالذكر أن وحيد باشا يسرى كان من المقربين فى الماضى من الملك فاروق الذى كان يقدره ويميل إلى التحدث معه حتى تحول وحيد باشا يسرى فجأة إلى موالاة حزب الوفد، وهو ما أثار حنق فاروق وغضب عليه وشن حرباً عنيفة ضده.

وظنى أن هذه الشائعة التى لاحقت الملكة فريدة حول علاقتها الغرامية مع وحيد باشا يسرى كانت تقف وراءها الأميرة شويكار نكاية فى الملكة نازلى، ومحاولة منها لضرب فاروق وتحطيم سمعته، وذلك لعلها تتمكن من إطفاء لظى اللهيب الذى يستعر فى صدرها بعد طلاقها من فؤاد واعتلاء طليقها للعرش لتصبح هى مجرد أميرة ضمن عشرات الأميرات فى محيط أسرة محمد على بينما أصبحت نازلى ابنة الشعب التى لم تكن يوماً من سلالة آل محمد على هى ملكة البلاد التى تأمر وتنهى دون استشارة أو مراجعة.

ظنى أيضاً أن فريدة أخطأت حين مضت فى توثيق علاقتها مع الأميرة شويكار رغم أنف القصر، وهو ما ساعد على إشعال الغضب فى صدر فاروق ففقدت التعاطف الشديد الذى كانت تحمله لها الملكة نازلى وشقيقاته، وكان ينبغى على الملكة فريدة أن تبرئ ساحتها بتجميد تلك العلاقة الشائكة احتراماً لفاروق وتكذيباً للشائعات التى حاصرتها، لكن يبدو أن تأثير الأميرة شويكار أقوى من أن تقاومه فريدة..

من هنا تكهرب الجو وتأزمت الأمور وتفاقمت حدتها مع ازدياد وانتشار شائعات أخرى، ربما كان مصدرها وحيد يسرى باشا ووالدته الأميرة شويكار تدور أغلبها حول علاقة فاروق بالعديد من النساء الساقطات أو الفنانات أمثال كاميليا وسامية جمال وتحية كاريوكا، فضلاً عن شائعات لم تسلم منها والدته الملكة نازلى التى قيل إنها على علاقة غرامية عنيفة برئيس الديوان الملكى أحمد باشا حسنين، وهو ما دفع فاروقاً إلى ضرورة وضع حد لتلك المهازل حيث بات لا يعرف أين الحقيقة وسط تلك العواصف العاتية التى اجتاحت قصره، وربما فى طريقها للإطاحة بعرشه.

* * * *

الحب والحرب فاروق وناريمان

بعد انفصاله عن زوجته فريدة عاد فاروق أكثر نشاطاً وانطلاقاً وتحرراً وانغماساً فى ملذاته وهواياته ونزواته؛ كأنه نسخة مكررة من أبيه فؤاد حين قرر الطلاق من زوجته شويكار أملاً فى حياة مرحة سعيدة حرة بعيدة عن قيود الزوجية وأنيابها الشرسة، وظل فاروق على عزوبيته وطيشه نحو ثلاثة أعوام دون زوجة رافضاً الاقتران مرة أخرى حيث إن ما تناثر من أقاويل حول فريدة قد أدمى قلبه حتى نصحه أحدهم بضرورة المضى قدماً فى البحث عن عروس جديدة تناسبه وتليق به وبمكانته كملك مصر والسودان لعلها تنجب له ولداً يهدئ من روعه ويطفئ نيرانه ويشعر معه بالاستقرار والاطمئنان.

وفى أواخر شهر نوفمبر ١٩٥٠ ذهبت الآنسة ناريمان حسين صادق لشراء قطعة من المجوهرات برفقة خطيبها الشاب زكى هاشم من محل أحمد نجيب الجواهرجى الشهير وأحد المقربين من الملك فاروق وجواهرجى القصر الخاص. وحين وقعت عيناه على الآنسة ناريمان خطرت له فكرة عبقرية حيث كان يعرف أن الملك فاروق يبحث عن عروس جديدة له، ومن ثم اضطر أحمد نجيب إلى تأجيل بيع الخاتم الذى أعجب ناريمان بحجة أنه بصدد إحضار خاتم آخر فى اليوم التالى، وهو من النوع النادر ،ثم استطاع بمكره ودهائه الحصول على رقم هاتف منزل ناريمان صادق وعنوانها بمصر الجديدة.

وبعد أن انصرفت ناريمان وغادرت المحل بصحبة خطيبها انطلق أحمد نجيب صوب قصر عابدين لمقابلة الملك فاروق وإبلاغه بأمر ناريمان صادق. حتى يتفرغ الملك للحضور فى اليوم التالى لمشاهدتها فى الساعة السابعة طبقاً للموعد المقرر بين ناريمان والجواهرجى أحمد نجيب.

كانت ناريمان لم تتجاوز فى تلك الأثناء السادسة عشرة من العمر، وكانت تربطها علاقة مع الشاب زكى هاشم، وقد أوشكا على الزواج بعد شهور، وقد تميزت بجمالها الطاغى وأنوثتها المتفجرة ونضارة وجهها، كانت تصغر فاروق بنحو ثلاثة عشر عاماً، فقد ولدت فى ٣١ أكتوبر ١٩٣٣ في مدينة الإسكندرية، ووالدها هو حسين فهمى صادق بك، وهو خريج كلية الهندسة جامعة بريستول البريطانية، وقد تسلم مهام وظيفته فى مدينة الإسكندرية التى اتخذها مقراً رئيساً له ولأسرته حتى تعرضت لغارة ألمانية إيطالية عنيفة عام ١٩٤٠ قرر على إثرها مغادرتها إلى مدينة المنصورة، وهى موطن أسرة زوجته أصيلة هانم ابنة كامل محمود بك الذى كان يشغل فى ذلك الوقت كبير مهندسى الرى بالدقهلية، وقد كانت ناريمان فى السابعة من عمرها فى ذلك الوقت.

وقد كان جدها من أشهر وأبرز علماء الجغرافيا، وقادة الجيش المصرى حيث إنه أصدر عدة كتب تعيد اكتشاف طرق جديدة للسفر إلى أراضى الحجاز عبر جبال سيناء، وقد طالب من خلاله بضرورة استخدام البواخر عبر خليج السويس للسفر بها إلى الأراضى الحجازية، وهو المطلب الذى استجابت له الدولة على الفور، وذلك عقب صدور كتابه (كوكب الحج)، كما أسهم فى وضع خرائط للمدينة المنورة لتحديد شوارعها وطرقها ومداخلها ومخارجها، وأيسر الطرق الموصلة إليها ،وأنسب المواصلات التى تقصدها، وذلك فى كتابه (مشعل المحمل) الصادر عام ١٨٧٧، ومن ثم عين أميراً لبعثة الحج بمرسوم صادر من الخديو توفيق عام ١٨٨٠، كما كان له السبق فى التقاط أول صور فوتوغرافية للأماكن الإسلامية المقدسة، وعلى رأسها المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد النبوى بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى بمدينة القدس، وقد

حصل على الميدالية الذهبية بعد عرض تلك الصور فى معرض أقيم بمدينة البندقية.

أضف إلى ذلك أن شقيقة جدها، وهى السيدة زينب هانم صادق كانت متزوجة من إسكندر بك الفرنساوى ابن سليمان باشا الفرنساوى قائد ومعلم الجيوش المصرية فى عهد محمد على باشا الكبير، وبالمناسبة هو خال الملكة نازلى أيضاً!!

* * * *

كانت ناريمان قد التحقت فى بواكير حياتها بمدرسة المنصورة الابتدائية، ثم انتقلت مع أسرتها إلى ضاحية مصر الجديدة فالتحقت بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية للبنات، ثم انتقلت إلى مدرسة الأميرة فريال الثانوية بالقسم الفرنسى، وحصلت منها على شهادة الثقافة، ولأن اسم ناريمان يعنى فى اللغة التركية (الجميلة الساحرة والفاتنة خفيفة الروح)، ومن ثم كانت تهوى الرسم بالزيت والعزف على البيانو شأن كل بنات الأسر الارستقراطية، فضلاً عن ممارستها للعبة البنج بونج، وقراءة كتب التاريخ، وسير العظماء وقراءة جميع المجلات العلمية باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، خاصة وأنها كانت تجيد الكتابة بتلك اللغات أيضاً.

* * * *

الشاهد أن فاروق اتجه فى الموعد المضروب بين ناريمان وأحمد نجيب الجواهرجى، وقيل إن فاروقا اختبأ داخل المحل وشاهدها بحذر حتى لا ينفضح أمره، وروى البعض أنه تعمد أن يدخل المحل بشكل عفوى ويتحدث معها حتى يتأكد من جاذبيتها وشخصيتها ومدى قبوله لها.

وعلى أية حال سواء اختبأ فاروق، أو ظهر أمامها فجأة، فقد نالت إعجابه ورضاه واحترامـه لها، ومن ثم قرر الزواج منها بعد أن تتـمكن والدتها أصيلة هانم من فض خطوبتها على زكى هاشم.

وكأى فتـاة تحلم بأن تكون ملكة على العرش، وفتاة أحـلام الشباب والتى تملك وتحكم وتدير شؤون البلاد قـررت ناريمان الارتباط بالملك فاروق دون تردد ليذهب زكى هاشم إلى من يستحقهـا وتستحقه، وتذهب هى إلى العرش الذى هبط عليها من السماء.

* * * *

ذهب فاروق إلى بيت ناريمان صـادق بمصر الجديدة لمفاتحة والدتهـا وأقاربها فى شأن تحديد موعد خطوبته لناريمان، والانتقال بعد ذلك إلى إجراءات الزفاف وموعده.. وبعد قراءة الفاتحة أهداها خاتم من الألماظ يندر وجوده.

كانت ناريـمـان تلتقى فاروق بشـكل منتظم للتنزه معـه، وأحيـاناً من خلال استقـبالها له فى الصـالون، وقد توثقت علاقتـهما ونما الحب بينهمـا وترعرع، وأصبح فـاروق لا يتحـمل فراق ناريمان عنـه، والتى بادلته حـباً بحب وشـوقاً بشوق، بل ربما اكتوت هى بنيران الحب ولهيبـه حيث كان فاروق جذاباً وسميا ممشوق القوام وفارع الطول قوى البنية ذا وجه أحمر وبشرة بيضاء ممزوجة باللون الأحمر وشـارب أصفر جميل يثـير إعجاب أية فـتاة، أضف إلي ذلك أنه كان خـفيف الدم طيب القلب، فـضلاً عن أنه المـلك الذى يملك ويحكم، والرجل الذى تتـجه الأنظار إليـه، وهو فى بداية الثلاثين من العـمر أى أنه فى ريـعان شبابه.

وعلى نحو أو آخر حدد موعد الزفاف، وتقرر أن يكون ٦ مايو الذى يوافق عيد ذكرى جلوس الملك على العـرش للمرة الأولى أن يوافق يوم زفاف فاروق وذلك لتصبح الفرحة فرحتين على حد تعبير بيان القصر الملكى آنذاك.

والحقيقة أن فاروقا حاول أن ينشر البهجة والسعادة والفرحة فى ربوع البلاد على غرار ما حدث أثناء زفافه على فريدة إلا أنه قد أخفق وفشل فى ذلك حيث أحجم الناس عن المشاركة، وعزفوا عن شراء الأعلام والزينات الورقية والضوئية حزنا وأسفاً على مصير الملكة فريدة التى أحبوها وأحبتهم، بل إن بعضاً من أبناء الشعب خرجوا للتظاهر ضد هذا الزفاف مرددين بأصوات حزينة باكية «لا ملكة إلا فريدة» وهو الأمر الذى ألقى بظلال كثيبة على زفاف فاروق رغم الأبهة والفخامة والأناقة وحالة الإسراف والتبذير التى شهدتها قاعة الخديو إسماعيل، وكان حديث الصحافة والضيوف الذين توافدوا على مصر للمشاركة والتهنئة فى هذه المناسبة.

* * * *

وعقب إتمام حفل الزفاف وانتهاء جميع الفقرات التى أعدها الديوان الملكى طار العروسان إلى جزيرة صقلية، ثم نورمينا، ثم إلى كابرى، ثم فيينا ثم أنتهت تلك الرحلة الطويلة التى استمرت نحو ثلاثة عشرة أسبوعاً بزيارة سويسرا، وقد ذاعت أنباء فى أثناء شهر العسل أن تكلفة اليوم الواحد بلغت حوالى ألف جنيه يومياً، وهو الأمر الذى أثار عاصفة من الغضب والتذمر والسخط بين صفوف الشعب الذى كان يشكو ويتوجع من ألم الفقر وضرباته التى أودت بحياة الكثير من أبناء الوطن فضلاً عن عودته التى واكبت انهيار بورصة الأقطان وإفلاس العديد من الشركات ،وما نتج عن ذلك من بطالة وفقر وديون طاردت الجميع حتى استبد اليأس من تصرفات الملك الذى لا يكترث بأحوال وهموم وآلام ومتاعب أبناء الأمة بعد أن كان وعدها وأملها ومستقبلها، فأضحى قطعة من الماضى حان لها أن تنزوى فى داوئر النسيان، وبالفعل اندفعت عجلات الأحداث حتى وقع حريق القاهرة ،ولم ينتبه فاروق

لما يحاك له ولعرشه فقد أسكرته الموائد الخضراء بألوان نقودها الزاهية وأرهقه سهر الليالى، فغفل عن شؤون بلاده فى وصلة من السبات العميق لم يستيقظ منها إلا وهو على متن الباخرة المحروسة بصحبة زوجته ناريمان التى كانت قد أنجبت له ولى العهد الذى جاء متأخراً بعد أن أوشكت المسرحية على إسدال أستارها على مسرح الأحداث بعد نهاية الفصل الأخير على شواطئ الإسكندرية.

ولد أحمد فؤاد فى يناير ١٩٥٢، وقد اصطحبه فاروق إلى نادى الجلاء الخاص بالقوات المسلحة إلا أن القاهرة كانت على موعد مع رجال عاهدوا الله على سحق كل من أراد بالبلاد سوءاً.

وبعد اندلاع شرارة ثورة يوليو ١٩٥٢ قرر الملك فاروق الرحيل إلى إيطاليا بعد مفاوضات شاقة ومريرة بين الجانب الأمريكى والبريطانى والمصرى من جانب آخر.

وعلى متن الباخرة المحروسة التى قادها القائمقام محمود حمدى جلس فاروق مرتدياً ملابس البحرية المصرية، وعلى عينيه وضع نظارته السوداء لعله يخفى عيونه التى أغرورقت بالدموع أسفاً وحزناً على مملكته التى حطمتها موائد القمار وحاشيته التى بذلت غاية جهدها كالسوس فى نخر عظام كرسى العرش حتى هوى واندثر.

* * * *

لا يخفى على أحد أن فاروقا حمل معه أكثر من ٢١٧ حقيبة اكتظت بما غلا ثمنه وخف حمله من مجوهرات ومقتنيات قدرت بالملايين فى ذلك الوقت.

وفى أعقاب وصول المحروسة إلى شواطئ إيطاليا وبالتحديد بعد أن رست وألقت بغاطسها فى أعماق ميناء نابولى صاح فاروق فى وجه أقاربه وأصدقائه

وبقايا حاشيته الذين اصطفوا على رصيف الميناء لتهنئته لخروجه سالماً من أيدى ثوار الجيش - قائلاً: «الحمد لله خرجنا من مصر بالهدوم اللى علينا»، وهى العبارة التى أضحكت مستقبليه الذين شاهدوا بأنفسهم طابورا لا ينتهى من الحقائب الضخمة المثيرة للدهشة اللافتة للنظر.

وبعد ذلك اصطحب فاروق زوجته ناريمان وابنه أحمد فؤاد الملك بلا مملكة واتجه بهما على ظهر أحد اليخوت إلى كابرى، وقد أكد سكرتيره أمين فهيم أن فاروقا قد توضأ ثم أتى بسجادة صلاة وأدى ركعتَىْ شكر لله على خروجه سالماً غانماً بما حمله غير نادم على ما فقده وخسره.

كان فاروق قد ازداد بسطة فى الجسم وسعة لا تطاق فى الكرش وترهل فى جميع أنحاء جسده ،وهو لا يتجاوز الثانية والثلاثين من العمر بعد، ورغم ذلك بدا لناظريه وكأنه على مشارف الستينيات من العمر، أو أنه يعيش مرحلة خريف العمر من فرط سهره وإدمانه لممارسة القمار الأمر الذى أدى إلى تسرب الملل والاشمئزاز من تلك الحياة إذا صح ما قيل حول علاقاته مع الفتيات الإيطاليات وعودته كل صباح إلى منزله كما كان شأنه فى مصر قبل زوال ملكه وانشطار عرشه.

وكما توقع الجميع فقد كرهت ناريمان الاستمرار فى حياة المنفى مع رجل شاب فى بداية الثلاثينات وقد ترهل وشاخ وبات من مخلفات ماضى بعيد، فأمسى شبحاً مخيفاً فقد حيويته وقوته وطاقته وحياته، واحتدت الخلافات والمناوشات بين فاروق الذى أصبح لا هم له سوى الثأر من نفسه بنفسه وبيده وذلك لحسرته على ما كان بوسعه أن يصنعه، ولم يشأ أن يفعل عناداً واستكباراً ظناً منه أن الزمن لا يتطور وأن عقارب الساعة لا تتحرك وأن الأيام لا تتوالى والسنين لا تتعاقب.

لقد كان فاروق حلماً لشعبه لكنه أصبح كابوساً مفزعاً ،وكان أملاً لأمته فأصر على أن يكون هو اليأس بعينه، وكان مستقبلاً فصار رمزاً للماضى البعيد. . وكان فرحة استقبلها الناس حتى تحول إلى قرحة أدمت قلوبهم. . كان سبيلاً لحريتهم فصار سجناً وسجاناً. . ومن ثم ضاق بالدنيا فضاقت به ولم يعد يرى سوى نفسه فقط أملاً فى أن يتناسى تلك الصفعات واللطمات التى نالها على وجهه ولم يشأ أن يبكى. .

وأمام تلك الحياة البائسة اليائسة القاحلة المتشحة بالحزن والأسى بعثت ناريمان تستغيث بوالدتها السيدة أصيلة هانم لعلها تستطيع العودة بها إلى مصر بصحبة ابنها أحمد فؤاد الملك الحائر، وتعويض مالى يساعدها على العيش فى القاهرة كملكة سابقة وأم لملك لا يملك ولا يحكم لكنه رمز الحكم فى مصر.

وعلى الفور طارت أصيلة هانم إلى إيطاليا، وقد كانت تتميز تلك السيدة بالشجاعة والعزة والكبرياء والقدرة على مواجهة الملك دون حرج، خاصة وأنها لم تكن تميل إليه منذ أن زارها بصحبة شلة من الأصدقاء أثناء خطوبته لناريمان، وقد كانت الساعة جاوزت منتصف الليل وأرغمها على إيقاظ خطيبته لكى يراها أصدقاؤه، وهو التصرف الذى كان سبباً جوهرياً لكراهيته حيث أدركت ليلتها أن الملك رجل تافه وغبى.

* * * *

والتقت أصيلة هانم بابنتها ناريمان ودار بينهما حوار مطول روت فيه ناريمان أدق تفاصيل العلاقة الباردة بينها وبين فاروق، وما ترتب على تلك العلاقة من إهانات وبذاءات لم تكن تتخيلها ناريمان أو تتوقع شيئاً منها.

بل الغريب أن هناك مشادات كلامية وخناقات عنيفة لا يصدق المرء أن بطليها ملك مصر وزوجته الرقيقة الملكة ناريمان، فعلى سبيل المثال احتدت ذات مرة مناقشة عنيفة، أو بمعنى أدق مشادة جارحة كانت على هذا النحو:

فاروق: اسمعى يا ناريمان أنت جزمة فى رجلى.

ناريمان: أهذه أخلاق ملك.

فاروق: نعم. مع من يستحق مثل هذا الأسلوب البذىء.

ثم تقدم فاروق نحوها وسدد لها ضربة بيده أدت إلى وقوعها على الأرض فى حالة غياب تام عن الوعى لولا أن استدعى طبيب الحى الذى يقيم فيه لإسعافها وعلاجها[1]!!

وفى أعقاب تلك الواقعة الخطيرة راح فاروق يستعرض عضلاته وقوته وكأنه ولد من جديد حيث قال لسكرتيره الخاص: ياريت تستفيد من تلك العلقة هأ.. هأ.. أنا أظن أن هذه الضربة الموجعة سوف تؤدبها.. أحسن طريقة لمعاملة الزوجة أن تضربها علقة.

هل تعرف أن أولاد البلد يضربون عرائسهم فى ليلة الدخلة بدون إبداء الأسباب، وهم بذلك يقصدون إشعار العروس بقوتهم ،وأنهم تزوجوا خادمات.

ثم أضاف الملك قائلاً فى فخر واعتزاز:

«أنا لو كنت ضربت فريدة علقة ليلة الزفاف لما حدث الطلاق، ولكانت زوجتى حتى الآن.. ولو أننى ضربت ناريمان ليلة الزفاف لمشت زى الكلبة! لكن غلطتى أننى عاملت ناريمان وفريدة كملكات، فشعرت كل واحدة منهما أنها مثلى.. تماماً».

وفى مذكراته التى أوردت تفاصيل تلك الواقعة أشار سكرتير الملك أمين فهيم أن ناريمان بدورها رفضت قبول اعتذار فاروق، وقد طلبت تعويض على تلك الضربة ما يعادل نحو مائة ألف جنيه مصري وقد تولى السكرتير الخاص

---

(١) طبقا لما ورد فى مذكرات سكرتيره الخاص.

المفاوضات لتخفيض الرقم المطلوب إلى ألف جنيه، ثم اضطر تحت عناد ناريمان وإصرارها إلى الصعود به إلى عشرين ألف جنيه مما دفع ناريمان للقول فى سخرية أولاد البلد: «أنا مابيعش ترمس»، ثم أصرت على المائة ألف جنيه تأديباً وعقاباً لفاروق وثمناً لهذه الضربة التى كادت تقضى على حياتها.

وأما إصرارها وعنادها وتهديدها باللجوء للقضاء والصحافة الإيطالية اضطر فاروق لسداد المبلغ كاملاً تجنباً للفضائح التى كان يخشى منها، خاصة إذا تسربت إلى الصحافة الإيطالية.

ومع مرور الأيام أصر فاروق بسذاجته وغبائه وتفاهته أن ينتقم من ناريمان، وقد اضطر من أجل ذلك أن يبادر بالصلح معها وإرضائهاوبعد أن عقدت جلسة الصلح بينهما اصطحبها إلى الملاهى الإيطالية الشهيرة، وهو ملهى (أوبن جيت) وقد بدا أمامها رقيق المشاعر جياش العواطف كأنه فى صدر المراهقة حتى استسلمت له ناريمان التى نسيت فى التو ما جرى بينهما من مآسى وفضائح، وفى أثناء جلوسهما فى الملهى اضطرت ناريمان أن تذهب إلى التواليت لتجديد مساحيق وجهها ،وبينما كانت فى طريقها انفجر جميع الحاضرين بالملهى فى الضحك من السخرية والاستهزاء مع وصول ناريمان إلى الحمام تنبهت للدعابة السخيفة التى افتعلها فاروق حيث علق على ظهرها دون أن تدرى ورقة كبيرة كتب عليها بالبنط العريض باللغة الإيطالية «ناريمان جارية فاروق» وهو ما يدل حسب رواية أمين فهيم على استخفاف هذا الملك المخلوع.

* * * *

وفى نفس المذكرات نشر أمين فهيم تفاصيل مشادة عنيفة بين فاروق وأصيلة هانم والدة ناريمان التى كان يطلق عليها فاروق لقب «الولية حماتى» حيث ذهبت إلى روما طلباً للطلاق وخلاص ابنتها من هذا الملك المستهتر..

وجرت مفـاوضات ومقابلات كـان بطلها أيضاً أمين فهـيم حيث تمكن من تخفيض سقف مـطالب أصيلة هانم الذى كان مرتفعاً وشـاهقاً لا يقوى فاروق على تلبيته، خاصة وأن جميع مطالبها كانت مرتبطة بالمال دون غيره.

وأمام تراجع فاروق عن الوعود التى قطعهـا على نفسه أثناء المفاوضات بعد أن استجابت أصيلة هانم لتخفـيض مطالبها اضطرت الهانم الأم إلى العودة مرة أخرى إلى إيطاليـا لمواجهة الملك بشكل جـديد لا يقل عن حوارى شبـرا وأزقة بولاق وأخلاق الجمالية:

فاروق: ثانى.. أنت أيه اللى جابك يا ولية هنا.

أصيلة: عشان أنت واطى، ودون وعمـرك ما هتعرف الأصول، وأنا عاوزة بنتى معايا وإلا هافضحك هنا.

فاروق: مفيش مانع.. بس أرجوك أسكتى بلاش داعى لمثل هذه الشرشحة والفضايح.

أصيلة: أنا مش ها أسكت إلا إذا أخذت بنتى معايا.

فاروق: يا وليـة أخرسى.. الله يخـرب بيتك أنا مش عاوزك تـتدخلى فى شؤونى أبداً بعد النهاردة أحسن والله العظيم..

أصـيلة: هتعـمل أيه.. هو أنت اتجـوزت البنت عشـان تبـهدلهـا هنا فى الغربة.

فاروق: هو أنا عملت فيها أية حرام عليكى.

وانتهت تلك المشادة بطلاق ناريمان مجاناً دون أن تحصل على أى شئ سوى صورة كبيرة لأبنها أحمد فؤاد الذى منعه عنها طبقاً للاتفاق المبرم بينهما!!

* * * *

حادث ٤ فبراير

«إنه من الأيام حالكة السواد فى تاريخ مصر وإنجلترا هو يوم يؤرخ الناس به كما يؤرخون بيوم دانشوى أو موقعة التل الكبير»

الدكتور/ محمد حسنين هيكل

حادث ٤ فبراير
الذل والانكسار

٤ فبراير.. يوم يصعب نسيانه «قالها الملك فاروق لسكرتيره الخاص وهو يعتصر ألماً وأسفاً بعد أن وقعت عيناه على نتيجة حائط برز من خلالها هذا التاريخ الدامى والمؤلم والمأساوى.

لقد كان هذا اليوم بالفعل من أسود أيامه على الإطلاق، خاصة وأنه صار رمزاً لمهانته وإهانته وسوءته وذله وإذلاله وعاره وانهياره وظلمه وانكساره، وفيه فقد شرعيته وذبحت كرامته، وفى رائعة النهار مثّل السفير الإنجليزى بجثته على مرأى من نفسه وأمام نفر غير قليل من رجال قصره وحاشيته.

وما من شك أن حادثة حصار قصر عابدين بالدبابات الإنجليزية، وإرغام الملك على قبول أوراق اعتماد مصطفى النحاس رئيساً للحكومة الجديدة رغم أنفه قد أصبح بقعة سوداء فى ثوب السياسة المصرية الفاروقية، فضلاً عن كونه رقعة واسعة فى قلب جلباب حزب الوفد، وإن حاول الحزب ترقيعها بخيوط من أجود الأنواع مستعيناً بأبرز وأمهر وألمع الشخصيات المتخصصة لعله يفلح، بيد أن لرياح الحقيقة كلمتها وقوتها وصدقيتها فهى أعتى وأعنف من أى خيوط حتى وإن كانت مصنوعة من الحرير.

* * * *

لقد كان هذا الحادث زلزالاً عنيفاً كاد أن يدمر أركان وأعمدة قصر عابدين، فهو فى ظنى تجسيداً حياً ونموذجاً صارخاً وإعلاناً واضحاً يؤكد أن فاروقا ما هو

إلا ألعوبة ودمية وأداة طيعة فى يد السفير البريطانى ومن الممكن التخلى عنه وإحراقه فى الوقت الذى تراه السفارة مناسباً.

كما أن هذا الحادث كشف النقاب عن حقيقة الأوضاع المتردية بين القصر والسفارة والوفد، وأن السفير البريطانى هو صاحب الأمر والنهى فى البلاد، وأن مصطفى النحاس بطل من ورق حيث اهتزت صورته ونفدت أسهمه وتساءل مريدوه وعشاقه كيف لمن اعتاد الذهاب إلى القصر على رأس حكومة جديدة محمولاً على الأعناق الشعبية يقبل هذه المرة أن يخترق حواجز وأسوار قصر عابدين محمولاً على حراب الإنجليز؟

لم يكن إبراهيم باشا عبد الهادى مبالغاً حين أشار إلى هذا الحادث المؤسف بقوله فى مذكراته الخاصة: «إنه يوم من الأيام السوداء فى تاريخ مصر».

بينما أكد الدكتور محمد حسنين هيكل على نفس المعنى، وربما كان أكثر وضوحاً وتفسيراً حيث قال فى مذكراته السياسية ما يلى:

«إنه من الأيام حالكة السواد فى تاريخ مصر وإنجلترا، هو يوم يؤرخ الناس به كما يؤرخون بيوم دانشوى أو موقعة التل الكبير».

وفى كتابه الرائع «عشت حياتى بين هؤلاء» يقول محمد فرغلى باشا ملك البورصة المصرية قديماً حول هذا الحادث:

«لقد كان هذا الحادث سبباً فى تغيرات عميقة فى التربة السياسية المصرية، تغير وضع الملك بعد هذا الحادث، كما تغير وضع الحزب الشعبى «حزب الوفد» وظهرت الأحجام الحقيقية لقوى التأثير فى توجيه السياسة المصرية، كما ظهرت لهذا الحادث قوى سياسية أخرى مثل قوى اليسار والإخوان المسلمين، أما الجيش المصرى فربما كان أكثر المؤسسات التى أثر فيها هذا الحادث».

أسباب وقوع الحادث:

فى تطور مفـاجئ ومثـير رجحت كـفة العمليـات العسكرية فى الصـحراء الغربيـة، أو منطقة السـاحل الأفريقى لصالح قـوات المحور حيث إن الجـيوش الألمانية بقـيادة روميل قـد أحرزت انتصارات سـاحقة من شـأنها أن تؤثر على مواقف القوى السياسية والشعبية فى مصر.

ولم يكن خافياً على أحد فى تلك الأثناء أن الملك فاروق، ومعه على ماهر ورجال القصر من الإيطاليين، ومـعهم أحمد حسنين زعيم مـصر الفتاة يراهنون جميعاً على أن النصر غالباً لصالح هتلر فى نهاية المطاف، وهى أمنية تطلع إليها الجميع كراهية فى الاحتلال الإنجليزى، ونكاية فى السـفير مايلز لامبسون حتى أن المظاهرات الشـعبـية عـمت البـلاد تهتف فى تحـدى صارخ «إلى الأمـام يا روميل».

وفى أعقاب عودة الملك فاروق من إحدى رحلات الـصيد التى اعتاد عليها قرر بشكل مفاجئ ضرورة تجميد اتصالات الحكومة المصرية برئاسة حسين سرى مع حكومـة فيـشى الفرنسـية، والتى كـانت مواليـة لقوات المحـور، وتدشين اتصالات جديدة مع حكومة (فرنسا الحـرة) التى يترأسها ويقودها الجنرال شارل ديجول ،وهى الرغبـة التى اصطدمت بوزير الخارجية المصـرية (صليب سامى) الذى أبدى رفضه لاتخـاذ مثل هذه الخطوة، وقرر الدفع باستقالـته أمام إصرار الملك فاروق الأمـر الذى اضطر معه رئيس الوزراء حـسين سرى إلى« مواجـهة الملك بالرفض والتلويح باسـتقالة حـكومته، وذلك تأييـداً وتعاطفـاً مع موقف وزير خارجـيته، وعلى الفـور وافق فاروق على قبول اسـتقالة حكومـة حسين سرى بعد مشادة كلامية حـادة دارت بينهما ترك حسين سرى على أثرها السرايا معلناً غضبه واحتجاجه لهذا التدخل السافر من قبل السرايا فى أدق خصوصيات الحكومة.

ما من شك أن هذه الأحداث المثيرة قد أثارت عاصفة من الغضب والسخط لدى السفير الإنجليزى العجوز مايلز لامبسون الذى حاول فاروق إرضاءه وكسب مودته لعله يروق له ويرضى عنه حيث كان الرجلان لا يطيق أحدهما الآخر.

فى غضون ساعات من تلك الأحداث اتجه أمين عثمان أحد الساسة البارزين والذين دارت حولهم علامات استفهام عديدة حول حقيقة دورهم مع الإنجليز ومدى ولائهم لأوطانهم.

على أية حال توجه أمين عثمان إلى مقر السفارة البريطانية للوقوف على آخر التطورات ومعرفة رأى وموقف السفير البريطانى، وفى أثناء اللقاء الذى جمعه بمايلز لامبسون أدرك أن بمقدوره أن ينقل ما دار بينه وبين السفير إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد، وذلك فى محاولة جادة للوصول إلى حل لتلك الأزمة المستعصية على جميع الأطراف حيث كان السفير البريطانى قد أمر القصر بأهمية تعيين حكومة لها ثقلها ومكانتها وتحترم بنود معاهدة ١٩٣٦ حتى لا تتفاقم الأمور مرة أخرى، خاصة وأن الأوضاع المتردية على الجبهة فى منطقة الصحراء الغربية وموقف الحلفاء المخزى في الميدان لا يحتمل وجود حكومة متعاطفة مع المحور حتى لو أدى ذلك إلى خلع الملك وتصفيته أو نفيه!

الحاصل أن أمين عثمان التقى مع النحاس باشا وروى له تفاصيل اللقاء مع السفير البريطانى، والتى دارت حول ثلاث عناصر رصدها السفير يأتى على رأسها ضرورة بناء جو من الثقة والهدوء والاستقرار فيما يتعلق بالشأن المصرى الداخلى حيث إن ذلك يعد ضرورة ملحة لاستقرار خلفية القوات الإنجليزية.

أما النقطة الثانية فهى أن الملك فاروق بتوجيه بعض الذين يملكون قدرة التأثير عليه أضحى خطراً علي مناخ الهدوء والاستقرار وكان على ماهر بالطبع يتصدر قائمة هؤلاء ومعه عبد الفتاح باشا طلعت.

وأما النقطة الثالثة فقد أكد من خلالها السفير البريطانى - على حد ما جاء فى كتاب محمد فرغلى - أن الاستقرار فى مصر يقضى بأن تكون فى السلطة حكومة قوية يؤيدها الوفد أو يشترك فيها.

وفى ختام اللقاء بين مصطفى النحاس وأمين عثمان أكد الأول أن يرفض رفضاً قاطعاً ودون تردد الاشتراك فى أية حكومة ائتلافية، ويرغب فى أن يتولى الوفد السلطة بشكل منفرد حتى يتحمل المسؤولية بشكل مباشر، فضلاً عن المرارة التى عاشها أثناء اشتراكه فى الماضى ضمن حكومات ائتلافية كادت تحطم أعصابه، ومن ثم ليس لديه الدافع لتكرار مثل هذه التجربة.

وفى التو حمل أمين عثمان رؤية مصطفى النحاس باشا ووجهات نظره إلى السفير البريطانى مايلز لامبسون الذى استقبل أمين عثمان بحفاوة بالغة بوصفه رجل الإطفاء المتميز الذى تطوع لإخماد الحريق الذى نشب فى صدر الخارجية البريطانية، واشتعلت جذوته فى قلب مايلز لامبسون بوصفه يحمل تفويضاً مباشراً من ونستون تشرشل أن يتصرف مع الملك فاروق والحكومة المصرية كما يتراءى طبقا للمصالح البريطانية، خاصة وأن المملكة البريطانية تعيش فى حالة حرب ولا ينبغى الاعتماد على المراسلات التى قد تهدر الوقت، ومن ثم أصبح السفير البريطانى هو المسؤول الإنجليزى الأوحد فى مصر.

والحاصل أن اللقاء انتهى بين الرجلين بقناعة استطاع أمين عثمان أن يزوده بأسبابها، ومنها محاولة اجتذاب جماهير حزب الوفد وخطب ودها، ثم إن النحاس باشا هو الزعيم الوحيد الذى يملك القوة فى مواجهة الملك، فضلاً عن قدرته وبراعته فى سرعة إصدار قرارات تحمل على التخلص من رجال السراى من ذوى الشبهات على أن يبذل قصارى جهده فى مقاومة القوى المعادية للإنجليز.

استطاع أمين عثمان أيضاً أن يقنع السفير لامبسون أن النحاس باشا هو الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ الشهيرة والتاريخية، ومن ثم فهو من أبرز الزعماء قوة وصلابة على تنفيذ المعاهدة شكلاً وموضوعاً، إضافة إلى ذلك استعداده القيام بتوفير كافة الإمكانات والخدمات والتسهيلات الممكنة للقوات البريطانية التى كانت تتعرض لأزمة شديدة التعقيد فى ميادينها الحربية بالصحراء الغربية.

والشاهد أن السفير البريطانى أكد فى حديثه مع أمين عثمان أنه يرغب فى حكومة قوية مخلصة لمعاهدة ١٩٣٦ يقودها مصطفى النحاس باشا.

* * * *

فى صباح ٣ فبراير استدعى السفير الإنجليزى أحمد حسنين باشا، وقد بدا الضيق والتوتر على وجه السفير بينما تظاهر أحمد حسنين باشا برباطة جأشه وثباته، بينما بداخله تفور ثورة من القلق خاصة وأنه يعلم أن السفير البريطانى يمقت فاروق ويسعى على نحو أو آخر لإهانته ودغدغة أعصابه.

وفى بداية اللقاء العاصف بادر لامبسون قائلاً فى هدوء مصطنع:

لامبسون: عزيزى حسنين باشا الوقت يضيق وحكومة حسين سرى استقالت وكما علمت فإن الرجل قد أصر على موقفه ولن يتراجع فماذا ينتظر الملك؟

أحمد حسنين باشا: إن الملك يجرى حالياً مشاورات واجتماعات مكثفة مع كافة الزعماء السياسيين فى البلاد وعلى رأسهم النحاس باشا لعله يستطيع فى القريب العاجل التوصل إلى تسمية الحكومة الجديدة وتكليف رئيسها القادم بتولى مسؤوليته على الفور.

لامبسون: هذا تسويف لا فائدة منه يا عزيزى حسنين، وأنا ليس بوسعى أن أنتظر أكثر من ذلك.

حسنين: إن الملك قد دعا بالفعل إلى اجتماع طارئ.

لامبسون: أوه.. أوه.. أرجوك يا حسنين أن تنقل رسالتى إلى الملك[١].

انتهت المقابلة، واتجه أحمد حسنين باشا إلى سراى عابدين لمقابلة الملك فاروق وإبلاغه بما دار بينه وبين السفير الإنجليزى، وذلك لوضع حد لتلك المأساة التى أطلت برأسها فى تحدى صارخ لفاروق، وظلت المشاورات بين فاروق ورئيس ديوانه دون التوصل إلى نتيجة مرضية لأى من الأطراف، لتظل المراجيل تغلى فى السفارة البريطانية والقصر الملكى، والنيران على وشك أن تمسك فى تلابيب الجميع.

وفى مساء نفس اليوم أجرى السفير اتصالاً هاتفياً مع أحمد حسنين باشا للاستفسار عما جرى بينه وبين الملك فى الساعات الماضية عقب الانتهاء من اجتماع طارئ عقده مع قادة قوات الاحتلال الإنجليزى بالقاهرة لاتخاذ التدابير اللازمة فى حال تعنت الملك ومماطلته فى تكليف مصطفى النحاس باشا برئاسة الحكومة الجديدة ولكن كالعادة لم يتلقَ مايلز لامبسون جواباً شافياً من أحمد حسنين باشا، وهو ما أدى إلى اتخاذ قراره الخطير فى ضرورة توجيه إنذار شديد اللهجة والحدة إلى الملك فاروق يرغمه على تكليف النحاس باشا، أو عزل الملك نهائياً ونفيه خارج البلاد، وقد أصدر أوامره إلى القادة العسكريين البريطانيين بتجهيز نحو مائتى دبابة لمحاصرة القصر!

فى صباح ٤ فبراير المشئوم أجرى مايلزلامبسون المضطرب عصبياً والثائر، والذى أوشك على الجنون بسبب الموقف الرسمى والشعبى الواضح دون لبس أو غموض فى تأييد قوات المحور على حساب الحلفاء بقيادة الإنجليز، وأجرى اتصالا هاتفياً مع أحمد حسنين باشا، وقد استهل حديثه التليفونى قائلاً فى لهجة عنيفة لا تخلو من العصبية الزائدة:

(١) طبقاً لتقرير السفير مايلز لامبسون وشهادات أمين عثمان ورواية محمد فرغلى باشا.

لامبسون: عزيزى حسنين باشا هل أمامك الآن ورقة وقلم؟

أحمد حسنين: نعم . . سعادة السفير أمامى ورقة وقلم.

لامبسون: إذن اكتب ما سأمليه عليك إذا تفضلت عزيزى حسنين.

أحمد حسنين: تفضل يا سيدى أنا أستمع لك جيداً.

لامبسون: اكتب هذا الإنذار «إذا لم أعلم قبل السادسة من مساء اليوم أن النحاس باشا قد دعا إلى تأليف الوزارة فإن الملك فاروق يتحمل تبعات ما سوف يحدث».

أحمد حسنين: (بعد أن أصيب بالانزعاج والدهشة) أردف يقول فى لهجة هادئة: سعادة السفير إن هذا الكلام خطير جداً. هلا سمحت لى بمقابلتك حالاً؟

لامبسون: وما الذى سوف تتحدث معى بشأنه؟

أحمد حسنين: لكننى قادم على أية حال وأرجوك انتظرنى قليلاً.

وضع أحمد باشا حسنين السماعة واتجه نحو فاروق، وقد أخبره بتفاصيل المكالمة، وقرأ له نص الإنذار العنيف، ثم استأذنه فى الذهاب إلى مقابلة السفير لعله يستطيع تخفيف حدة الإنذار ، وإتاحة المزيد من الوقت لإنهاء تلك المعضلة على وجه السرعة.

واستقل حسنين باشا سيارته وانطلق مسرعاً إلى السفارة البريطانية، وهناك وجد ونستون سبارت السكرتير الشرفى للسفارة والذى بادر قائلاً لحسنين باشا . .

السكرتير الشرفى: إن الحديث الآن أصبح غير ذى جدوى وإهداراً للوقت، ومن هنا ينبغى التحرك السريع والفورى فالأمر جاد للغاية.

أحمد حسنين باشا: إننى أطلب فسحة من الوقت لتشكيل حكومة ائتلافية يترأسها النحاس باشا.

السكرتير الشرفى: حتى لو أن النحاس باشا قد وافق على رئاسة حكومة ائتلافية فلا أظن أن المشكلة قد انتهت أو وجدت سبيلها للانفراج.

السفير لامبسون: هل أبلغت الملك فاروق بمضمون الإنذار؟

أحمد حسنين باشا: نعم . . أبلغته منذ قليل.

لامبسون: إذن سأتصل بك هاتفياً لأعرف موقف الملك.

عاد أحمد حسنين باشا إلى السرايا مرة أخرى لإطلاع الملك على تطورات الأحداث، واندفاع عجلاتها نحو صدام قادم لا محالة ينبغى التأهب له والاستعداد لمقاومته بشتى الطرق.

كان الملك فاروق قد اجتمع بجميع السياسيين المصريين أثناء ذهاب أحمد حسنين إلى مقر السفارة البريطانية وقد أكد جميع الساسة رفضهم للإنذار البريطانى، ومساندتهم للملك ودعمه وعلى رأسهم النحاس باشا الذى أكد صراحة رفضه للإنذار البريطانى.

حمل أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى رسالة واضحة إلى السفير الإنجليزى، وأبلغه أن الملك كان قد أنهى اجتماعاً مع كبار الزعماء المصريين منذ لحظات وأن الجميع قد أكدوا دون مواربة رفضهم القاطع للإنذار البريطانى حيث إنه يعد تدخلاً مباشراً فى الشأن الداخلى للبلاد.

فضلا عن إخلاله ببنود وروح المعاهدة المصرية البريطانية، ومن ثم فإن جلالة الملك لا يستطيع وهذا طبيعى إلا أن يشارك هؤلاء الرأى.

وربما كانت هذه الكلمات قد أشعلت الموقف فاستعرت نيرانه حيث لم يكن يتوقع السفير مثل هذا الإجماع، ومن ثم ساورته الشكوك والظنون وبدا متوجساً من موقف النحاس باشا الأمر الذى دفعه للاتصال تليفونياً بأمين باشا عثمان حتى يتسنى له الوقوف على حقيقة موقف النحاس من قبول رئاسة الحكومة القادمة، وقد سأله قائلاً:

مايلز لامبسون: عزيزى أمين لدى هاجس من القلق وأنا أرجو أن أتلقى منك جواباً شافياً بنعم أولا؟

أمين عثمان: ماذا جرى يا سعادة السفير؟

لامبسون: أريد أن أعرف منك هل أنت متأكد وواثق من أن النحاس باشا سيقبل تشكيل الوزارة؟

أمين عثمان: نعم.. أنا متأكد من ذلك.

لامبسون: حتى لو أدى الأمر إلى عزل الملك أو إرغامه على توقيع وثيقة التنازل عن العرش ومغادرة البلاد؟

أمين عثمان: كل ما أستطيع أن أؤكده دون مبالغة هو أن النحاس باشا لن يتردد فى قبول الوزارة حيث يرى فى ذلك خدمة لمصلحة البلاد.

* * * *

فى تمام الساعة التاسعة مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ انطلقت كتيبة مدرعات بريطانية نحو قصر عابدين لمحاصرة القصر من جميع جوانبه، وقد فرضت القوات حصاراً حديدياً على جميع سكان حى عابدين تم من خلاله منع دخول وخروج أى مواطن.

وسرعان ما تسلل الرعب فى جميع المتواجدين داخل القصر، وقد حدث شىء من الهرج والمرج حيث حاول البعض الفرار، وأراد البعض الآخر متابعة

الموقف عن كثب ،بينما نظر فاروق من غرفة مكتبه وهو فى دهشة وذهول حتى بات فى يقينه أن السفير البريطانى كان صادقاً فى تهديده، وقد لا يتردد فى إتمام مخططه، وراح يترقب وصول السفير مايلز لامبسون الذى أخبر حسنين بأنه فى طريقه إلى القصر لمقابلة الملك.

وما هى إلا دقائق حتى وصل السفير مايلز لامبسون إلى القصر بصحبة الجنرال ستون قائد القوات البريطانية فى مصر، ومن حوله مجموعة من الجنود الأشداء وحين أراد كبير أمناء القصر سعيد باشا ذو الفقار اعتراض طريقه دفعه السفير بيده بقوة مما أثار حالة من الفوضى والصراخ داخل غرف نوم سيدات القصر، وقد استمر مايلز لامبسون فى طريقه نحو غرفة مكتب فاروق، ودخل إلى المكتب دون استئذان كما هو معتاد طبقاً للقواعد المتعارف عليها دبلوماسياً وحفظاً لمكانة الملوك والرؤساء، يبدو أن مايلز لامبسون أراد بذلك أن يبعث الرعب فى قلب فاروق، وهو كما يبدو متأثر بما ذكره حسين سرى باشا فى حديث ودى بينه وبين السفير أخبره من خلاله أن فاروقا ولد جبانا ويجب تخويفه كلما لاحت الظروف لذلك[١].

على أية حال دلف السفير وبرفقته الجنرال ستون ومن خلفه بعض الرجال من ذوى السواعد الصلبة القوية إلى غرفة المكتب، فرأى الملك أمامه ولجانبه أحمد حسنين باشا رئيس الديوان ورسول الملك منذ ساعات، وقد ظهرت علامات الخوف على وجه فاروق على عكس ما كان متوقعاً، وعلى الفور دار الحوار العاصف بين الطرفين على هذا النحو كما هو منشور فى مذكرات الساسة المصريين والوثائق البريطانية التى أفرجت عنها الخارجية الإنجليزية مؤخراً:

لامبسون: أنت بتلعب بالنار يا جلالة الملك.

(١) طبقاً لتقرير السفير مايلز لامبسون وشهادات أمين عثمان ورواية محمد فرغلى باشا.

الملك فاروق: هذه ليست الطريقة المناسبة للحوار.

لامبسون: دعك من كل هذا فقد انتهت اللعبة.

الملك فاروق: ما هو المطلوب منى يا سعادة السفير؟

لامبسون: أن تكتب الآن وثيقة تنازلك عن العرش.

فاروق: لكن..

لامبسون: إذا رفضت بمقدورى أن أستدعى رجالى بالخارج لطردك إلى حيث تريد أن تذهب، وأرجوك لا تدفعنى إلى ذلك، ثم ولماذا ستذهب كما تريد بل سنتصرف نحن كما يحلو لنا على سبيل المثال سنطردك إلى كندا، فأنا أعرف أن كندا تشتهر بالثلوج وأعرف أنك تهوى التزحلق على جبال الجليد حتى تقضى ما تبقى لك من عمر هناك.

فى مذكرات اللورد لامبسون أكد أنه شعر أن الملك ارتعدت فرائصه وبدا الوجوم على أحمد حسنين باشا، ثم قدم له وثيقة التنازل عن العرش.

تناول أحمد حسنين باشا الوثيقة بينما كان فاروق غارقاً فى خوفه وذهوله ودهشته مما يجرى أمامه، وكأنه كابوس مزعج يتضرع إلى الله أن يتخلص منه.

كان فاروق واقفاً أمام منضدة مكتبه يبدو كتلميذ بليد قرر ناظر مدرسته فصله وطرده ورفضه السماح بعودته مرة أخرى، بيد أن أحمد حسنين الذى كان بمثابة الأب الروحى له وصديقه ونديمه وعقله ومفكرته قد ألح على السفير البريطانى فى إتاحة فرصة أخرى للملك.

غير أن السفير راح يؤنب فاروقا ويوخزه بحدة قائلاً:

- لقد انصرفت عن مسؤولياتك ولم تعد تبالى بأحوال الشعب والأوضاع تزداد سوءاً، وأنت غارق فى نزواتك لا هم لك سوى إشباع شهواتك دون أن

تتقـدم ببلادك قيد أنملة للأمـام طلبنا منك أن تلتفت ولو قليـلاً لشؤون الحكم، ولم تكن على استعداد لأن تمارس مهمتك كسائر الملوك.

يبدو لى أنك لم تتعظ ولم تفكر قليلاً فيما حدث لأقاربك فى إيران[١].

وهنا عاد أحمد حسنين يتدخل فنهره السفير لامبسون:

- من فضلك لقد انتهى كل شيء.

ثم نظر إلى فاروق وطلب منـه التوقيع على التنازل وتناول فـاروق الورقة، ثم ظهرت على شفتيـه شبح ابتسامة وهو يقول مداعباً السفـير لامبسون: وهل هذه ورقة تليق بتنازل ملك عن العـرش؟ وأسقط فى يد لامبسـون الذى التفت إلى سيـر والتر بولتـون الذى كان يقف بجـانبه، وهو يشغل منصـب مستـشار قـانونى لوزير الدولة وهـو الذى صـاغ وثيـقة تـنازل الملك إدوارد الثـامن عن العرش، وذلك رغبـة فى الزواج من سيدة مطلقة من عامـة الشعب الأمريكى، وهو أيضاً الذى صاغ تلك الوثيقة وقد أدرك لامبـسون أن فاروقا يداعبه ويسعى لملاطفتـه، وقد كـان لامبـسون فى حاجـة إلى من يلح عليه ويناشده أن يمهل فاروقا فرصة أخرى بيد أن إلحاح أحـمد حسنين كان لا يرقى إلى ما يصبو إليه لامبسون الذى تمنى أن تنتـهى تلك الأزمة بانفراجة تحفظ له هيبـته ومكانته أمام الملك، وتجنباً لمحاسبـة عسيرة ربما يتعرض لهـا على يد تشرشل رئيس الحكومة البريطانيـة ويؤاخذه على سوء تصـرفه وتهوره ورعـونته، ومن ثم تلهف بدوره على إنهاء تـلك الأزمة، وحين أمسك فـاروق بيده ريشـة الحبر للتـوقيع شـعر لامبـسون أنه يتـجه هو الآخر بأقـصى سرعة إلى الهـاوية، وحين عاد أحـمد حسنين يلح عليه مرة أخرى والملك يمسك بيده الريشة وفى سبيله للتوقيع تمسك

---

(١) مذكرات امين فهيم سكرتير الملك الخاص.

لامبسون برغبة أحمد حسنين، وبدا وكأنه يتـراجع رغماً عنه بينما كانت الحقيقة أنه فى أمس الحاجة إلى تدخل أخير من أحمد حسنين باشا.

وهنا انتـصبت هامة فـاروق مرة أخـرى بعد أن انحنى على المكتـب لقراءة الوثيقـة والتوقيـع عليها ليـرقب رد الفعل البـادى على ملامح لامبـسون، وإذا بالسفير البريطانى يقول رداً على أحمد حسنين الذى ألح فى إتاحة فرصة أخيرة بعد أن أمسك بيد الملك حتى لا يوقع:

لامبسون: وماذا ستفـعلون إذا أنا وافقت على إتاحة تلك الفرصة التى تلح عليها منذ تفاقم الأزمة؟

أحمـد حسـنين: سوف نجـيب كل ما تطلبـه على الفور وحـالاً يا سـعادة السفير.

الملك فاروق: (باسماً) هل أنت مستعد فعلاً لإتاحة الفرصة مرة أخرى؟

لامبسون: وقد قطب حاجبـيه قائلاً: يمكن أن أمنحك تلك الفرصة بشرط أن يتولى الـنحاس باشا رئاسـة الحكومة وأن تمنحـه صلاحـيات مطلقة.

الملك فاروق: سأفعل وحالاً سأحضر النحاس إلى هنا فى وجودك.

لامبسون: لا داعى لوجودى، ولكن تأكد أنها الفرصة الأخيرة لك.

* * * *

تهللت أسارير فـاروق وانزوى خوفه واسـترد شجـاعته وانتـصبت قامـته، وألقى بالريشة جانباً ولاحـت ابتسامة مشرقة على وجـهه كأنه ولد من جديد، بينما راح لامبسون يقص على قادة القوات البريطانية بالقاهرة أنه كان خائفاً هو الآخر فما فعل حيث إنه لا يعرف ماذا سيكون رد فعل المسؤولين فى لندن، ثم

لم يكن هناك استعداد كافٍ لعملية خلع ملك والبحث عن آخر والدخول فى دوامة قد لا تنتهى، وربما كنت سأكون أول ضحاياها بعد فاروق، لكن هذا الولد فاروق إذا تصلحت أحواله فهو فى تقديرى أفضل كثيراً من أى أحد آخر.

* * * *

ويروى فاروق لسكرتيره أمين فيهم ذكرياته حول تلك الواقعة قائلاً: شر البلية ما يضحك.. عندما كان السفير البريطانى والجنرال ستون جالسين أمامى بعد بأن أجبت السفير إلى طلبه فتحت درج مكتبى، وإذا بالسفير يهب واقفاً وإذا بالجنرال ستون يضع يده على مسدسه، ولم يهدأ أى منهما إلا عندما شاهدانى أخرج من الدرج مسبحتى.. وهنا لم أتمالك نفسى من الضحك.

على أية حال انقشعت الغمامة التى استقرت عدة أيام فى قصر عابدين، وإن كان فاروق قد عاش مجروحاً موجوعاً بها يضمر فى صدره كرهاً وشراً لكل من سولت له نفسه مساعدة السفير فى صنع ٤ فبراير وإذلاله..

لقد زادت الهوة والفجوة بين فاروق ولامبسون، ولم يفلح أى منهما فى سدها أو ردمها بالود والمجاملة، بل راح فاروق يهجو السفير أينما ذهب مع أصدقائه، وحتى أنه شكاه للرئيس الأمريكى جثودور روزفلت وطلب مساعدته فى التخلص منه ومن بلاده التى جثمت على صدر مصر عقوداً طويلة لا تنتهى حلقاتها.

وقد التقى فاروق مع الوزير المفوض بالسفارة الأمريكية، وقد اشتكى له تصرفات لامبسون وغباءه ودعاه إلى ضرورة التدخل لطرد هذا السفير البارد قاسي القلب.

وهكذا عاش فاروق ينزف دموعاً لا تتوقف بعد هذا الحادث، وظل خجولاً من أحمد حسنين الذى كان هو الشاهد المصرى الوحيد على ما بدا عليه من

خوف ورعب وقلق لم يكـن متوقعـاً منه بوصفـه شابا فى ريعان شـبابه وملك البلاد. حيث كان فاروق وقتذاك لم يبلغ الثانية والعشرين من العمر!!

وهو سن كما نرى يناسب طالب جامعى لم يفرغ من دراسته بعد.

* * * *

«إذا كانوا يقولون إننى حرامى فهم حرامية أكثر منى وليس عيباً أن يسرق الحرامى.. حرامياً آخر»

شاهين باشا

الإقطاعى الشهير

فاروق ملك اللصوص

لم يكن فاروق ثرياً فحسب بل - إن شئت الدقة - كان شديد الثراء، ومن أغنى أغنياء العالم رغم جهله الشديد بحقيقة ثرواته وممتلكاته وضياعه وأصوله ومجوهراته وقصوره المنتشرة فى كل أنحاء مصر.

لقد ورث فاروق عن أبيه الملك فؤاد أكثر من سبعين ألف فدان من أجود الأراضى الزراعية التى تميزت بالجودة والكفاءة والخصوبة.

والحقيقة أن فاروقا لم يكتفِ بثروة والده الطائلة، وأمواله التى تجاوزت الملايين والتى تكدست أرصدتها وتضخمت أرقامها فى بنوك سويسرا، ومن ثم راح شأنه شأن أبيه وأجداده فى تنمية تلك الثروات وتضخيمها، وذلك بواسطة استخدام السخرة لتهذيب واصلاح وتعبيد واستزراع الأراضى التى كان يبسط عليها يده فى استغلال واضح واستحلال فاضح لعرق أبناء هذه الأمة من الفلاحين المعدومين من خلال السلب والنهب الذى تفشى فى عهود الأسرة العلوية: استطاع فاروق أن يرفع رصيد ثروته إلى أكثر من مائتى ألف فدان فى الأراضى الخصبة التى ارتوت بدماء عمال السخرة والتراحيل الذين جاوز عدد ضحاياهم نحو مليون شهيد منذ تطبيق نظام السخرة فى عهد محمد على.

ولعل ما قاله أحد الإقطاعيين ويدعى شاهين باشا تأكيداً على أن الاغتصاب كان من أبرز صفات تلك الأسرة وأن السلب والسرقة والنهب من ألمع سماتها حيث يقول شاهين باشا اللص والإقطاعى الكبير فى حديثه لصحفى سويسرى:

«إذا كانوا يقولون إننى حرامى.. فهم حرامية أكثر منى، وليس عيباً أن يسرق الحرامى.. حرامياً آخر».

وهكذا مضت الأمـور على هذا النحو الذى ارتكز على مـبدأ الاستـحلال حتى أصبح الذين يترفهون وينعمون فى خيرات هذا الوطن لا يتجاوزن النصف فى المائة من مجموع هذا الشعب المسكين.

وظنى أنه لا محل للدهشة والاستغراب إذا كـان أمثال هذا الباشا هم رجال الملك وحاشـيته وحراسـه وحاميتـه وندمائه وجلسائه، ومن ثم لا مـجال لرفع الحواجب حين يقول الدكتور حسين مؤنس فى كتابه «باشوات وسوبر باشوات» إن السلطان عباس حلمى كان لصـاً ونشالاً، وأن الملك فؤاد كان قاطع طريق، وبالتـالى لا داعى للاستنـكار إذا أضفنا وقلنا إن فـاروقـا كان ملك اللصـوص والمغتصبين لهذا الوطن المنكوب بحكامه.

لقد كان فاروق بالفعل لصاً يتلذذ بسرقة المقتنيات النادرة والفخيمة، ويتمتع بالاستيـلاء والاستحواذ عليها رغم مـقدرته من شرائها وامتلاكـها دون تعذيب لآخرين وإفساد فرحتهم وتكدير صفوهم.

لقد ذاع صيت الملك بين المحيطين به أنه خفيف اليد رغم بدانته المفرطة التى جاوزت المائة والأربعين من الكيلو جرامـات.. كان ذكياً عبقـرياً فى سرقة من حوله دون أن يشعر به أحد، وهو فى ذلك لا شك كـان يستغل وضعه ومكانته حيـث كان من غـير الممكن والمعـقول أن يتـصور أحـدهم ولو للحظة أن يظن بالملك ظن السوء، خاصـة فيما يتعلق بالسرقـة، وكيف يسرق وهو الملك وأغنى أغنياء العالم والذى يملك أكثر من ربع أملاك وثروات وأصول مصر..

وأنا لا أقصـد هنا سرقـة الأراضى والقصور فـتلك ظاهرة طبيـعية وسـمة مألوفـة فى أسرة محمـد على لا تثير فضـول باحث أو دهشة دارس فى تاريخ أسرة محـمد على.. بل إننى أعنى بذلك ميل فاروق وجنوحـه للسرقة بمعناها

الشـائع الذائع . . حيث تورط بالفـعل فى سـرقة العـديد من التحف والهـدايا والمقتنيات النادرة إما بأمر ملكى غاشم أو بخفة يد لا يتصورها أحد . .

وفى كتابها الموسوعة تقول الدكتورة: لطيفة سالم:

«فى يوم من أيام عام ١٩٣٩ ارتدى فاروق ملابس عـادية وثبت مسدساً فى حزامـه من الخلف ودخل قصر مـحمد طاهر أثناء سفـره وتجول فيـه ثم انتقى بعض التحف وسجل البعض الآخر فى قائمة، وأخطر وكيل صاحب القصر أنه يريدها وحضرت سيارة كبيرة نقلت من المنزل ما قيد بالقائمة، وحضر مرة ثالثة فى غيبة محمد طاهر وصعد غرفة نومه واستولى على بعض الموجودات . . وفى مساء ٢٣ سبتمبـر ١٩٣٩ أمر بفض شمع نادى التجديف الألمانى بالإسكندرية ونزع الأختام واستولى على ما بالنادى من أدوات رغم أن ممتلكات الألمان كانت تحت الحراسة.

وعلى نفس الدرب يذهب إلى قصر آل لطف الله، وهى أسرة سورية تمتهن التجارة بالزمالك، ولم يكن أحد أصحـابه بداخله فيطوف به ويشاهد محتوياته من التحف، ويبدى إعجابه بها وعندمـا عاد حبيب لطف الله وعرف بما حدث أرسل إلى الملك مجـموعة من السـيوف القديمة والمسدسـات ليختـار منها هدية فاستولى عليها كلها.

وتضيف الدكـتورة لطيـفة سالم فـى كتابهـا الموثق: «وعُدّ الاستـيلاء على مخلفات رضا بهلوى - نياشين - سيف من الذهب محلى بالجواهر - قايش - حزام قمة الرذائل، فحينما مات شاه إيران فى منفاه بجنوب أفريقيا وقبل فاروق أن يدفن فى مصر وأقام لجنازته احتفالاً كبيراً، وعندما أراد ابنه نقل الجثمان إلى طهران اكـتشف المسروقـات، فقد احـتفظ بها فاروق وطـالبت إيران بالمخلفات وتوجه سفيرها إلى قصر عـابدين لهذا الغرض، ولكن الملك أرسل عمر فتحى

كبير الياوران ليقول إنها سرقت، ويعجب بخنجر الأمير سيف الإسلام عبد الله فيدعـوه لمأدبة ملكية ويطلب منه خلع حـزامه قبل دخوله للغـذاء، وبإيعاز منه يقوم أحد رجال حاشيته بسـرقته وبه الخنجر، ولما حضر إلى مصر الملك بطرس ملك يوغوسلافيا هرباً من النازيين واستضافـه فاروق وكان معه جهازا إرسال لا يقل ثمنهـمـا عن مائـة ألف دولار وقبل سـفـره للندن تركـهـمـا وديعـة لديه فاغتصبهما ورفض ردهما».

والواقع أن هذه النماذج والأحداث لم تكن هى كل ما اقـترفته يد فاروق، بل هى جزء من ممارسات تستحق أن يطرح من أجلها كتاب يسوق فى صفحاته العديد من السـرقات التى قام بهـا حتى حار الجمـيع من حوله فى تفسـير هذا السلوك الشاذ والغريب .كريم ثابت نفسه أخـفق فى تفسير هذا الأمر لكنه أكد على صدقية ما أورده من مهازل حاقت بسيرة فاروق الملك اللص، وربما أصاب العقاد كـبد الحقيـقة حين أشار إلى إصابة فـاروق بداء «كليبتومـانيا» أى جنون السرقة وهو داء يصـاب به بعض المشاهير والأثرياء الذين لا يستطيعـون مقاومة ومكافحة هذه الآفة التى سرعان ما تؤدى إلى تشويه سمعتهم وتلطيخ صورتهم بين أبناء المجـتمع الذين ينفـرون ويتهـربون منهم ولا يحـرصون على مـودتهم والتواصل معهم.

أقول: ربما أصاب الأستاذ العقاد كبـد الحقيقة فى تشخيص داء فاروق الذى أطلق عليه علماء النفس جنون السرقة، وإن كنت أعتقد أن هذا الداء لم يكتسبه فـاروق بل ورثه عن أجداده، وحـيث إن والدته نازلى كـانت تشكو دائمـاً من تسلل فاروق لغرفـتها الخاصة خفـية من أجل العبث فى مقتنياتهـا حيث إنه قد فعل ذلك أثناء زيارة اصطحبتـه فيها والدته إلى قصر الأميـرة شويكار وخلالها اقتحم دولاب الأميرة شويكار وراح يفـتش فى درفه وأدراجه الأمر الذى جعل

والدته نازلى تنهره بشدة أمام شويكار، وتؤكد أنها قد ضاقت ذرعاً بتلك الممارسات الغريبة التى اعتاد على ممارستها هذا الطفل الجرىء، منذ نعومه أظافره !!

* * * *

وربما لم يسمع الأستاذ العقاد - رحمه الله- أن والدة الملك فؤاد وجدة فاروق كانت قد اتهمت بالسرقة، وأن يدها كانت قد قطعت نظير ذلك ومن فرط جمالها وسحرها شعر إسماعيل بالضعف نحوها وقد كانت جارية داخل القصر مما اضطره للزواج منها ،وقد زعم البعض أن ثيابها كانت تغطى يدها المقطوعة ولو كان الأستاذ العقاد قد استمع إلى تلك الرواية أو قرأ عنها لاستطاع بذكائه وقدرته الفذة على التحليل النفسى أن يؤكد لنا أن هذا الداء كان أصيلاً ويجرى فى عروق فاروق مجرى الدم. يبدو أن أحداً فى عصور الملك فؤاد ومن بعده فاروق لم يكن يجرؤ على الإفصاح عن مثل هذه الحكاية وإلا كان مصيره معروفاً للقاصى والدانى.

لقد سرد كريم ثابت العديد من نماذج انحراف فاروق وجنوحه إلى سرقة الأشياء الثمينة والعادية رغم قدرته وإمكاناته من شرائها وحيازتها من ماله الخاص دون اللجوء إلى مثل تلك الممارسات الشاذة.

يقول كريم ثابت فى مذكراته ص٢٢٦ :

«كان من المعروف عنه أنه إذا زار بيتاً له بصاحبه صلة وحسنت فى نظره تحفة فى طرقة أو قطعة من أثاثه لم يتردد فى الاستيلاء عليها، وكانت وسائله فى ذلك تختلف باختلاف مدى علاقته بصاحب البيت، فإذا استطاع أن يقول إن هذه التحفة جميلة وأن يسمع صاحبها يرد عليه بقوله إنها تحت أمر مولانا أخذها وسكت، وإذا كانت العلاقة لا تسمح بذلك عرض أن يشتريها أو أن

يعوضها بتحفة أخرى يترك لصاحب البيت أن ينتقيها على هواه من المحل الذى يختاره وتكون النتيجة واحدة فى الحالتين.

أذكر أنه لما زارنى أول مرة استلفت نظره مائدة كانت فى وسط الصالون الكبير فقال لى: «إنى أجمع الموائد التى هى من هذا الطراز لأنها من عهد إسماعيل باشا (الخديو إسماعيل جده).

وكنت حديث العهد بمعرفته فلم يسعنى إلا أن أقول له: إنها تحت أمر مولانا!

ثم أعجبته زهرية من صنع مصنع جاليه الشهير فى فرنسا، وكان بهى الدين بركات باشا قد أهداها إلى يوم زواجى، ولا يزيد ثمنها على ثلاثين جنيهاً فقال لى: أنا أجمع كل ما أجده من صنع «جاليه» ولا أظن أن عندى زهرية منه بهذا الشكل.

وفى هذه المرة أيضاً قلت له: تفضل.

وبعد مدة أراد أن يأخذ لوحتين تمثلان معركتين حربيتين بحجة أن متحفه الحربى أولى بهما ،وكانت علاقاتى به قد توثقت فأمكننى أن اتملص من تحقيق هذه الرغبة بالتسويف مرة تلو المرة إلى أن نسيهما!

ويضيف كريم ثابت فى مذكراته حول سُلوك فاروق المشين فى الاستحواذ والاستيلاء على كل ما يطيب له وتروق له نفسه: «لا جدال فى أن ما عمله فى بيت خطيبته ناريمان كان أعجب وأدهى من كل ما سمعته عنه فى هذا المضمار، فإنه لما زاره أول مرة استوقفت نظره نجفة معلقة فى مدخل الدار صنعت من الزجاج الملون على هيئة سفينة شراعية فقال لوالد ناريمان: إن هذه النجفة جميلة وأحب أن تكون عندى فأرسلها إلى غداً، واذهب أنت إلى محل كذا واختر لك شيئاً مكانها على حسابى.

قد يزعم البعض أن هذه النماذج إنما هى مجرد إعجاب بأشياء ثمينة يرغب فى امتلاكها، وهى لا تعد سرقة بل مجرد استغلال نفوذ واستثمار تطلع الآخرين لمودته ولهفتهم على كسب رضاه.

ولكن مع الأسف فقد ورد فى مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك نماذج أخرى وصور مختلفة تشير إلى ما سبق أن أوضحناه وما ساقه الأستاذ العقاد حيث يقول كريم ثابت فى صفحة ٢٢٧ من أوراق مذكراته:

«أقام ذات ليلة مأدبة عشاء خاصة فى أوبرج الأهرام، وكان من بين المدعوين إليها رجل من رجال الأعمال الأمريكيين يدعى المستر ريدكر وفى خلال العشاء أخرج ريدكر من جيبه علبة جميلة للسجائر مصنوعة من الذهب وولاعة من نوعها وطرازها، ولما أبدى له بعض الحاضرين إعجابهم بهما قال إنها هدية من زوجته وإنها ذات قيمة عاطفية خاصة عنده لأنها آخر هدية أهدتها إليه زوجته قبل احتراقها فى حادث حدث لطائرة كانت من ركابها.. وانتهت السهرة وبينما كان ريدكر فى طريق العودة إلى الفندق بصحبة بعض المدعوين تفقد ولاعته فلم يجدها فظن أنه تركها فى مكان العشاء فعاد إليه مسرعاً مع صحبه، ولكن جميع الجهود التى بذلوها فى سبيل العثور عليها ذهبت سدى!

لم يخطر لأحد منا فى تلك الليلة أن الولاعة اختفت لأنها اختطفت وسرقت، بل رجحنا أنها سقطت من صاحبها فالتقطها أحد رواد المحل وخبأها أو أنه نسيها على المائدة فعثر عليها أحد الخدم فاحتفظ بها، وحتى لو قيل لى ساعتئذ إنها «اختطفت» لما اتجهت شبهتى إلى فاروق بل لما كان من المعقول أن تتجه إليه شبهتى.. وكنت لا أعرف فيه هذا الداء بعد.. ولم أعرفه إلا بعد ذلك بزمان طويل.

ويمضى كريم ثابت فى سرد مـا شاهده بعين رأسه فيمـا يتعلق بتلك المسألة الشائكة والمثيرة للدهـشة والاستغراب حيث يقول أيضـاً: «قالت قرينة سكرتير سابق بالسفـارة الأسبانية وكان اسمهـا مدام ماريا بيلار لأصدقائهـا يوماً إنها لا تريد أن ترى وجه الأمير إسماعيل حسن وإنها إذا التقت به فلن تحييه أو تكلمه!

فسألوها عن السبب.

فقالت: لأنه بعد آخر جلسة جلستها أنا وزوجى مع الملك وإسماعيل حسن لم يجد زوجى علبـة سجائره، وكنت قـد أهديتها إليه يوم زواجنا. . وقـد قرأ الملك نفسه عبارة الإهداء منقوشة على العلبة من داخلها!

ولما لم يكن من المعقول فى نظـرها أن يكون فاروق هو الذى (مد يده) إلى العلبة كان الطبيعى أن تتهم إسماعيل حـسن، ولاسيما أنه كان معروفاً أنه أمير رقيق الحال ولم يخطر لها لحظة واحدة أن سارق العلبة هو الملك.

ويستطرد كريم ثابت رواياته المثيـرة قائلاً: فى يوم آخر كان يلعب فى نادى السيارات. . وكانت تلعب بالـقرب منه سيدة مصرية أخرجت من حـقيبة يدها ولاعة جـديدة من ذهب قالت· إن زوجهـا اشتراها لهـا بمائة وخمسين جنيـهاً تحقيق لوعد قديم، وبعد قليل بحثت السيدة عن ولاعتها فلم تجدها.

وكانت حوادث اختفاء الولاعات فى نادى السيارات قد تعددت وذاع أمرها وأخذت الشبهات تحوم حول فاروق فـتشجعت تلك السيدة وقالت: مولاى. . إن هذه الولاعة عزيزة علىّ فأرجو ألا أحرم منها.

فقال لها: ابحثى عنها.

فقالت: أتوسل إليك يا مولاى أن تعيدها إلىّ.

فتصنع الامتعاض والاستياء وقال لها: إنى آسف لأن أسمعك تتكلمين بهذه اللهجة إننا يا سيدتى لسنا فى حاجة إلى ولاعتك.. وإذا كان ثمنها هو الذى يحز فى نفسك فتفضلى..

وألقى إليها بفيشتين قيمتهما مائة وخمسون جنيهاً.

فارتبكت وأعادت الفشتين وهى تقول: عفواً يا مولاى.. أستغفر الله إنى لم أقصد - أستغفر الله - فقد ظننت أنه ربما أردت جلالتك المداعبة فخبأت الولاعة.

وقبل فاروق اعتذراها واحتفظ بالولاعة وبالنقود!!

* * * *

وحول استفحال تلك الظاهرة وانفلاتها حتى مع شقيقاته فقد أورد مستشاره الصحفى أيضاً قصته الغريبة مع شقيقته فوزية، ولنقرأ تفاصيلها كما وردت فى مذكرات الرجل الذى كان ظل فاروق وعقله. حيث يقول: «أما أبشع حكاياته من هذا القبيل فهى حتماً حكاياته مع شقيقته فوزية لما جاءت إلى مصر من إيران فى رحلة طلاقها من جلالة الشاة فقد استقبلها فى مطار الإسكندرية وصحبها إلى قصر «أنطونيادس» حيث نزلت مع حاشيتها، وكانت لا تزال تلقب بجلالة إمبراطورة إيران، وأمر بعض خدمه بأن يراقبوا وصول حقائب الإمبراطورة إلى القصر وأن يجمعوها عند وصولها فى حجرة عينها لهم.

وبينما كانت فوزية مشغولة بالحديث مع شقيقتها فائزة وتستريح من رحلتها المتعبة كان فاروق مشغولاً بفتح حقائبها والاستيلاء على ما طاب له أخذه من محتوياتها ولما تعذر عليه فتح بعضها بما عنده من مفاتيح لم يتردد فى كسر أقفالها!!

ورأت فوزية ما أصاب حقائبها وقبل أن تستفسر عن علة ذلك دخل عليها خادم قديم من خدم القصر كانت تعرفه منذ حداثتها، وأفضى إليها همساً بأن مولانا هو الذى فعل ذلك» فلم تفتح فمها خجلاً وإبقاء على علاقته بها! وقالت فيما بعد لصديقة لها: إن الذى آلمها أكثر من هذا العمل هو أنها ما لبثت أن رأت بعض صديقات فاروق يلبسن بعض ما انتزعه من حقائبها!!».

وهكذا اشتهر فاروق بين أفراد أسرته وأصدقائه أنه لا يتورع عن سلب ونهب ما تقع عليه عيناه دون أن يعبأ بما سيترتب على ذلك من مردودات سلبية وخطيرة واهتزاز صورته وهيبته أمام خدمه وحراسه والشماشرجية وغيرهم من المقربين إليه.

لقد كان فاروق عارياً أمام هذا الحشد الهائل من المحيطين، كما كان تافهاً ولصاً ساذجاً ومفضوحاً ومكشوفاً بين الجميع.

* * * *

فاروق... الزير السمين
فى المخابرات الامريكية

كان فـاروق يوماً بعـد يوم يزداد ترهلاً حتى تدلى كـرشه، وبدا فى عـيون ناظريه أشبه ببرميل أو زير طبـقاً للوصف الأمريكى، أو بمعنى أدق لقب خلعته عليه المخابرات الأمريكية التى كانت تعمل على قدم وساق فى تلك المرحلة أملاً فى تكريس دور أمـريكى فى منطقة الشـرق الأوسط، خاصـة بعد أن حـققت الانتصـار الساحق للحلـفاء بعد إلقـاء القنبلة الذرية الأولى على هيـروشيـما، والثانية على نجازاكى لوضع نهاية إجبارية لحرب طال أمـدها واشتد لهيبها وساد خرابهـا وتدفقت دماؤها وتدحرجت رءوس ضـحاياها وجثث وأشلاء رجـالها بالملايين.

المهم أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تسعى إلى خلق دور جديد ينبغى ممارستـه بعد بزوغ نجـمها واعـتلائها قـيادة العـالم بعد الانكماش الـبريطانى، والتـقوقع الفـرنسى الذى ترهل وأصيب مثل نظيـره البـريطانى بالشيـخوخـة والتجـاعيـد التى كست وجه الامـبراطوريتـين معاً فى إعـلان مفـاجىء لميلاد امبـراطوريات جديدة، وتراجع وانسـحاب القديم منهـا الذى كان يقـود العالم ويهيمن بنفوذه وأطماعه عليه دون رحـمة أو هوادة فى أكبر عملية سلب ونهب وسرقة وابتزاز واستغلال فى التاريخ لسرقـة الشعوب الأفريقية والعربية المسكينة والمقهورة التى استسلمت للرجل الأبيض الذى كـان يتصف بالدموية والوحشية والقسوة فى الانقضاض على ممتلكات ومـقدرات تلك الشعوب التى عانت منذ القدم من الظلم والقهر والقمع.

نهاية . . بما أن الولايات المتحدة كانت فى طريقها إلى تعزيز مكانتها وبسط نفوذها عبر أجهزتها الاستخباراتية، فمن ثم كان لزاماً عليها ضرورة التغلغل فى أحشاء العرش الملكى المصرى نظراً لأهمية المملكة العربية الإقليمية وجغرافيتها الاستراتيجية التى يجب أخذها فى الاعتبار بوصفها دولة محورية، أو كما يقول الدكتور جمال حمدان: دولة مفصلية.

فى عام ١٩٤٩ كانت الشيخوخة بدأت تزحف عبر فساد فاروق إلى عقله وأوصاله، والتمدد إلى أركان عرشه وقواعد حكمه الذى بات مهزوزاً بفعل ابتعاده عن إدارة شؤون الحكم، وانغماسه فى ممارسة لعب القمار الذى استولى على حواسه وغرائزه، وبات هو الشغل الشاغل، وهو ما ستتعرض له تفصيلاً فيما بعد.

فى تلك الفترة الزمنية كان كيرميت روزفلت أشهر وألمع رجال المخابرات الأمريكية يتجول كعادته فى المنطقة لاستشراف آفاق مستقبلها، ورسم خطوطها القادمة والسبر فى أغوار فاروق ومعرفة المدى الزمنى الذى سيتحمله العرش لجلوس فاروق مستقبلاً ،ثم البحث عن بديل يدور فى الفلك الأمريكى قبل أن يستفحل ويخرج عن الإطار المرسوم.

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت ولد فى أوائل شهر فبراير عام ١٩١٦ فى مدينه بيونس أيرس، وقد تلقى علومه فى جامعة هارفارد وقد عمل أستاذاً لمادة التاريخ فى جامعة كاليفورنيا، ثم بعدها التحق للعمل فى إدارة الخدمة الاستراتيجية إحدى مراكز المخابرات المركزية، وكانت بيروت هى أهم وأقوى وأشهر المحطات الاستخباراتية فى عام ١٩٤٣ .

ولأنه كان يرتدى نظارة طبية تشير إلى أنه أحد الباحثين الأكاديميين فقد كان يشغل منصباً مرموقاً فى القسم الثقافى بالسفارة الأمريكية فى بيروت، وذلك للتمويه وإخفاء حقيقة عمله بوصفه أحد رجال مخابرات السى. أى. أيه. أو بمعنى أوضح «جاسوس وطنى».

في عام ١٩٤٤ عمل مساعداً لأستاذ جامعي في بيروت، ثم بعدها- بطريقة أو بأخرى لأغراض لا تخفى على أحد - أصبح مديراً للجامعة الأمريكية في بيروت، وهو منصب لم يكن متوافقاً مع سنه الذى اكتمل فقط الثلاثين من العمر، وكان يسعى كعادته لنسج خيوطه بدقة وإحكام على عقل الملك فاروق على اعتبار أنه أقوى ملك عربى فى المنطقة، وبالطبع فإن تمدد المخابرات الأمريكية فى مصر يؤدى إلى مد أطرافها إلى باقى العالم العربى دون جهد أو عناء على عكس التواجد فى بيروت.

ولأن كيرميت روزفلت كان واسع الاطلاع خاصة فيما يتصل بالشأن الدينى وخصوصاً الإسلام من خلال دراسته لأوضاع جماعة الإخوان المسلمين والتحرى والفحص والبحث الدقيق لشخصية الشيخ الإمام حسن البنا مرشد ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين، فقد استطاع كيرميت روزفلت اكتساب قدر لا بأس به عن الإسلام والمسلمين، ربما لا يتوافر جزء منه لدى فاروق ملك البلاد وبعض من حاشيته الذين انغمسوا جميعاً فى الملذات والانصياع للشهوات.

على أية حال فقد كان فاروق رغم ندرة معلوماته عن أحكام وعلوم وتاريخ الدين الإسلامى، بيد أنه كان يتوق إلى لقب خليفة المسلمين الذى كثيراً ما تطلع إليه والده الملك فؤاد بعد سقوط الخلافة العثمانية على يد كمال أتاتورك.
كان فاروق بالفعل يتلهف على أن يحظى بهذا اللقب، ولعل الصدام الشهير الذى دب بين السرايا والزعيم مصطفى النحاس يعود إلى إصرار فاروق وأحمد باشا حسنين رئيس الديوان الملكى على ضرورة تنصيب فاروق ملكاً على البلاد من خلال مسجد القلعة فى احتفال دينى مهيب تحضره جميع الطوائف من الجمعيات الإسلامية فى محاولة فاشلة لإعلان الخلافة، مما حدا بالزعيم الوفدى

مصطفى النحاس الذى اشتهر بعلمانيته المتطرفة حتى أصر على إفشال هذا المخطط خوفاً من تكريس دولة دينية أو خلافة إسلامية من شأنها أن تعود بالعالم العربى إلى عصور آل عثمان، فضلاً عن أنها لن تدخر جهداً فى التخلص من جميع الأحزاب العلمانية واليسارية وغيرها المناوئة لمفهوم الخلافة الإسلامية.

من هنا فكر الداهية المخابراتى كير روزفلت فى اختراق فاروق وإحكام السيطرة على خلايا عقله حتى يتمكن من الإيقاع به والدفع بجسده وعقله حيث تريد الوكالة المركزية فى لانجلى بواشنطن، ولذلك فكر كيرميت أن يبذل قصارى جهده لإقناع الملك فاروق أنه (أمير المؤمنين) الذى سيتمكن من إعادة مجد الخلافة الإسلامية التى كانت متعددة الأطراف، مرهوبة الجانب، مثيرة للمخاوف، تحسب أوربا لها ألف حساب قبل أن تختفى وتندثر.

بدأ كيرميت فى تنفيذ مخططه، وراح على أثر ذلك يتردد على قصر فاروق يومياً يستمع إلى شكوته التى لم يكن يمل من ترديدها حول معاملة الإنجليز المهينة له، وصلافة وعجرفة السفير البريطانى منذ وقوع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢، الذى ألقى بظلاله على مستقبل فاروق وشكل العلاقة بينه وبين السفير البريطانى الذى كان يستخف به ويسعى على نحو أو آخر للتهوين من أهمية وجوده.

وكان فاروق للأسف يستحق ذلك حيث بدا فى عيون الإنجليز مجرد دمية تتلقفها أيادى سماسرة القمار والحفلات والراقصات الذين كانوا يحركونه ويلعبون به تزلفاً وتقرباً وابتزازاً واستغلالاً واستنطاعاً فى أغلب الأحيان.

والحاصل أن كيرميت نجح فى كسب ثقة فاروق من خلال تهدئة روعه وتسكين آلامه وتبديد أحزانه حيث كان كثيراً ما يقول له بعد الحرب: ياجلالة

الملك ستقوم حقبة جديدة ستنعم فيها مصر بسيادة حقيقية وسيكون جلالتكم فيها أول حاكم لأول دولة مصرية حرة منذ ألفى سنة[١].

وفى شهر فبراير ١٩٥٢ توجه كير روزفلت قادماً من بيروت بتكليف من رئاسة المخابرات المركزية لمقابلة الملك فاروق ومحاولة الاقتراب منه بعد سنوات طويلة من الجفاء بينهما.

فى هذا اللقاء الذى جمع الملك فاروق بالمخابراتى الشهير كير روزفلت دار الحوار التالى الذى تسربت أنباءه ونشر بعضها فى كتاب كوبلاند.

روزفلت: أوه كم أنا سعيد ياجلالة الملك بلقائك مرة أخرى بعد فترة طويلة.

فاروق (ضاحكاً): وأنا أيضاً ياكيم، كم أنا فى حاجة إلى حوار معك.

روزفلت: عزيزى جلالة الملك دعنى أصارحك بما يدور خارج بلادك حيث إن الأمر بالفعل بات جد خطير، خصوصاً وأن هناك اختناق أصاب جموع الشعب المصرى بعد استشراء واستفحال طبقة الإقطاع الذين توحشوا وأصبحوا طبقة لا يمكن المساس بها رغم أنها لا تتورع فى إشاعة الظلم والقهر والاستبداد والاستعباد بين صفوف الفلاحين فى بلادك.

فاروق: وماذا ترى يا كيم هل أتخلص من تلك الشريحة، وهل يطيب لك أن أفعل ذلك أهذه هى جوهر المشكلة يا كيم؟

روزفلت: جلالة الملك فاروق . . هلا أفسحت صدرك قليلاً، إن مجلس نوابك طالب مراراً بضرورة إعادة توزيع الملكية على الفلاحين المعدومين، وعلى ألا تزيد ملكية الأراضى للفرد على مائتى فدان مراعاة للبعد الاجتماعى، ولعل

(١) كتاب مايلز كوبلاند (اللاعب واللعبة) وهو صاحب كتاب لعبة الأمم المثير للجدل.

الدكتور أحمد حسنين سفير بلادكم فى الولايات المتحدة قد أراد أن ينبهكم لهذا الخطر الذى يستفحل يوماً بعد يوم من خلال تأسيسه لـ: (جمعية الفلاح المصرى) أملاً منه فى إصلاح أحوال الفلاحين الذين أضحت أحوالهم تدعو للرثاء، بينما يتنامى نفوذ طبقة الاقطاعيين دون الالتفات إلى هؤلاء المساكين.

وحينما بدت علامات الضيق ترتسم على ملامح وجه الملك فاروق راح كيم روزفلت يداعبه ويلاطفه حول بدانته وجسده الضخم وكرشه المترهل، وتأكيده على أنه يحمل وصفات طبية لتخفيف وزنه شريطة أن يتوقف عن التهام الطعام بشراهة وسرعة، وهما صفتان اشتهر بهما بين الجميع، بيد أن فاروق انفجر ضاحكاً موكداً أنه يستطيع أن يتخلى عن جميع هواياته ورغباته لكنه لا يستطيع أبداً أن يكف عن التهام الطعام بذات السرعة التى اعتاد عليها. وبعد أن تأكد روزفلت أن الأمور تسير وفق ما هو مرسوم لها عاد ليؤكد خطورة موقف فاروق وأن أيامه باتت معدودة على العرش، خاصة أن مصر وغيرها من البلدان العربية تتعرض لحملة عاتية من أصحاب الاتجاهات الشيوعية وانقلاباتهم وثوراتهم التى لا تتوقف فى جميع أنحاء العالم ضد العروش الملكية الفاسدة، ربما استقرت تلك الكلمات فى عقل فاروق وراح يمسك بها بعد أن تكررت على مسامعه أثناء حواره مع روزفلت، كلمة الشيوعية تلك التى كانت تصيبه بالهلع والخوف والفزع ،ومن ثم راح يسأل روزفلت فى اهتمام بالغ قائلاً:

فاروق: إذن ما هو المطلوب منى يا كيم؟

روزفلت: أرجوك اسمعنى جيداً جلالة الملك فاروق . . . «مصر دولة إسلامية وإذن يجب أن تحكمها من خلال قاعدة دينية على أن تحاول تفعيلها لدى شعبك لمجابهة الخطر الشيوعى الذى يتغلغل، وهذه وصفة كفيلة بحماية

عـرشك من رياح الشيـوعيـة الحمـراء، ثم عليك أن تتـخلص من الإشاعـات النسائيـة التى تلاحقك وتطاردك، وتنفـيذ سيـاسة جديدة تـعتمـد على ترسيخ مفهوم العدالة الاجتماعية لدى شـعبك، حتى تستطيع أن تستولى على مشاعره وعواطفه، وهنا سوف يستقر عرشك دون أية مشكلة. مرة أخرى ياجلالة الملك ترسيخ الـشعور الدينى وتـرسيخ العدالة الاجـتمـاعية لا تـنس»، ورغم إلحاح روزفلت وإصـراره على تطبيق نصـائحه إلا أن فـاروق نفسـه كان منهـمكاً فى الانكباب على موائد القمار والسهر حتى إشراق شمس يوم جديد، وهو ما دفع كيم روزفلت ليقول: للأسف لم يكن فـاروق من ذوى الأوزان العقلية الثقيلة، غير أنه أكد أن فاروق قد بذل جهداً خـارقاً فى تنفيذ مخططه من خلال إصدار تعليماته إلى ديوان قصره لإثبات أن نسب عائلته يرجع إلى سلالة آل بيت النبى ﷺ من ناحيـة جده لوالدته «محـمد شريـف» وهو ما أدى إلى إدراك روزفلت لفشل مهمته، ومن ثم الفشل الذريع الذى منيت به عملية «الزير السمين» نسبة إلى الملك فاروق المترهـل الضخم العريض المنكبين، كـما هو وارد بالحرف فى ملفه الخاص بوكـالة المخابرات الأمريكية، ليبـدأ روزفلت المخابراتى فى تدشين علاقتـه مع رجال ثورة يوليو ودعمـها والإشراف عليهـا لحمايتهـا من التغلغل الشيوعى المتنامى آنذاك، حـتى أصبح للمخابرات دوراً مثيـراً للجدل والتأمل، وقد تأرجحت العلاقات بين عبد الناصـر والمخابرات بين الصعود والهبوط حتى أطلقت عليه المخـابرات الأمريكية لقب (الديك الرومى) وكـان هو عنوان ملفه فيما بعد.

* * * *

فاروق والوحدة مع سوريا!!

ما من شك أن عنوان هذا الفصل قد يثير قدراً لا بأس به من الجدل والصخب حيث جرت العادة التاريخية فى مصر منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ من تجريد فاروق من مزاياه وسماته الحميدة وإن قلت، وتعريته وتلطيخ سمعته وتشويه أى قرار اتخذه كان يصب فى صالح الأمة، أو على أقل تقدير إغفاله وتجاهله عن عمد وسوء قصد إمعاناً فى إخفاء أية ميزة كان يتحلى بها.

وبالطبع يعرف القاصى والدانى أن الملك فاروق - رحمه الله - وطبقاً لكتابات العهد الناصرى أنه لم يكن مشغولاً عن التوحد والتواصل العربى قدر انشغاله فى التواصل مع الأوراق الخضراء على موائد الملاهى والنوادى الليلية.

لكن للإنصاف فقد سجل التاريخ أن الملك فاروق كان قد سبق الرئيس جمال عبد الناصر فى تدشين قواعد وحدة عربية خاصة مع سوريا على عكس ما هو ذائع وشائع من أن الوحدة العربية التى تمت فى عهد جمال عبد الناصر كانت هى الأولى من نوعها بين البلدين فى تاريخنا المعاصر، بينما كانت هى المرة الثانية فى الواقع ووفقاً لسجلات التاريخ.

بادىء ذى بدء - كانت السعودية ومصر وسوريا ولبنان والعراق وإمارة شرق الأردن واليمن، وكانت هذه الدول بالطبع ما زالت ترزح تحت نيران الاحتلال البريطانى والفرنسى باستثناء اليمن والسعودية اللتين كانتا مستقلتين، قد وقعوا جميعاً البروتوكول الخاص بالجامعة العربية عام ١٩٤٤، ثم التوقيع على الميثاق فى ١٩٤٥، وفى تلك الأثناء كان هناك صراعاً دائراً يظهر أحياناً ويختفى فى أحيان أخرى بين مصر والسعودية من جهة، والعراق وشرق الأردن الخاضعتان لحكم الأسرة الهاشمية من جهة أخرى، حيث كانت أطماع الأسرة

الهاشمية كانت ومازالت تمتد للهيمنة على منطقة الجزيرة العربية، على اعتبار أن الأسرة الهاشمية كانت تحكم الجزيرة قبل أن تطردها آل سعود. كانت سوريا آنذاك محصورة بين مطرقة محور فاروق وآل سعود. وسندان الأسرة الهاشمية حيث كان محور (فاروق آل سعود) يحرص على تحييد سوريا أو على الأقل محاولة ضمها إليه، وذلك بهدف عرقلة أية فكرة مستقبلية تقود إلى ضم سوريا للمحور الهاشمى، وذلك خوفاً من تنامى نفوذ وتضخيم مشروع سوريا الكبرى الذى كان يحتوى على لبنان بوصفها جزءاً أصيلاً لا يتجزأ من سوريا قبل التقسيم الذى جرت وقائعه على يد وزير الخارجية البريطانى وليام سايكس بالتعاون مع نظيره وزير الخارجية الفرنسى جورج بيكو والذى اشتهر، فيما بعد باتفاقية (سايكس بيكو) المبرمة عام ١٩١٦.

فى الواقع كانت مصر تسعى جاهدة على نحو أو آخر لتعزيز مكانتها وتكريس دورها الإقليمى فى المنطقة وخصوصاً لدى بلاد المشرق خوفاً من عزلها أو تهميشها أو الاستخفاف بمكانتها على يد الأنظمة المناوئة لها.

فى تلك الأثناء كانت المملكة السعودية أسيرة نفس الهواجس والمخاوف التى سكنت مصر ،خاصة وأن آل سعود لا يخالجهم الشك فى أن أبناء الأسرة الهاشمية حكام العراق والأردن يحلمون بإطاحة عرش آل سعود لاسترداد العرش المفقود، والذى لمع بريقه بعد المؤشرات الأولية لظهور آبار النفط فى ربوع البلاد الخاضعة لنفوذ آل سعود.

فى عام ١٩٤٩ كان شكرى القوتلى رئيساً لسوريا، وكما عرف عنه آنذاك كان يحمل فى قلبه عاطفة جياشة ومشاعر فياضة نحو مصر شأنه فى ذلك شأن جميع أبناء الشعب السورى الذين يعشقون مصر وشعبها منذ القدم، وإن كان إعلان شكرى القوتلى محبته لمصر نهاراً جهاراً قد أثار حينئذ عاصفة من

الغضب والسخط لدى حكام الأسرة الهاشمية واستياء بعض أبناء القوات المسلحة السورية الذين كانوا يميلون إلى المحور الهاشمى، ومن ثم راح بعض من هؤلاء الضباط يقود انقلاباً عسكرياً ضد شكرى القوتلى فى مارس ١٩٤٩، وذلك بقيادة حسنى الزعيم الذى قام على الفور وخوفاً من مغبة فشل الانقلاب باعتقال الرئيس شكرى القوتلى ووزرائه وأنصاره.

فى أعقاب الانقلاب العسكرى، وبعد صدور البيان رقم واحد، واتخاذ قادة الانقلاب بعض القرارات التعسفية والقمعية فى محاولات عديدة لفرض إرادتهم وسطوتهم ونفوذهم على مقاليد السلطة فى دمشق، فى تلك الأثناء تلقى قادة الانقلاب برقيات تهنئة وتأييد واعتراف ومباركة ومؤازرة من حكام العراق والأردن لضم سوريا إلى محورهم المناهض للمحور المصرى السعودى، فى حين التزمت مصر بالصمت نحو الانقلاب فى انتظار ما ستسفر عنه الأيام المقبلة، وقد حذت المملكة العربية السعودية حذو الموقف المصرى تحسباً لتطورات ساخنة سوف تشهدها سوريا بما تحمل فى طياتها من مفاجآت تؤثر بالسلب على العلاقات مع سوريا ،ومن ثم وجب التريث ولزم التحلى بالصبر.

الشاهد أن العلاقات بين مصر وسوريا فى أعقاب هذا الانقلاب شهدت تدهوراً خطيراً خاصة حين أعلن حسنى الزعيم رغبته فى الانضمام لمحور العراق / الأردنى، مما حدا بمصر أن تشن حملة واسعة من الهجوم الدبلوماسى عليه حتى أن الدبلوماسية المصرية أعلنت عبر وسائل الإعلام أن مصر لا تمانع قيام وحدة سوريا مع العراق شريطة أن تقوم سوريا بإجراء استفتاء شعبى حولها قبل الشروع فى إتمامها ،وقد أرادت مصر بذلك الوقيعة بين القيادة السورية ممثلة فى حسنى الزعيم والشعب السورى حيث بات لدى مصر يقيناً لا يخالجه

الشك أن الشعب السورى لن يوافق على تدشين مثل هذه الوحدة مع آل هاشم.

والشاهد أن الهجوم الدبلوماسى المصرى قد حقق ثماراً جاوزت تنبؤات الساسة المصريين فى ذلك الوقت حيث ارتعدت فرائص حسنى الزعيم واضطر إلى القيام بزيارة مفاجئة وعاجلة إلى مصر فى ٢١ ابريل ١٩٤٩ التقى خلالها مع الملك فاروق فى مزرعته الشهيرة بأنشاص، وقد تناولا معاً طعام الغذاء، وفى هذا الاجتماع الثنائى شن فاروق هجوماً كاسحاً على حكام العراق والأردن فى محاولة منه لإثناء حسنى الزعيم عن قراره ومشروعه الرامى لإعلان الوحدة مع العراق، هذا فضلاً عن ضغط فاروق اثناء اللقاء على حسنى الزعيم فى ضرورة تحسين صورته أمام العالم العربى، ومحاولة بناء علاقات دبلوماسية مع كافة دول الجامعة العربية خصوصاً السعودية التى كانت على وفاق تام مع الملك فاروق، ثم حذر الملك فاروق نظيره السورى حسنى الزعيم من مغبة التلويح بالانضمام إلى المحور العراقى، وما سيتمخض من وراء ذلك التقارب على شكل وجوهر العلاقات المصرية والسعودية مع سوريا وتداعياتها فى المنظور القريب مهدداً بأن مصر والسعودية لن يكون فى وسعهما الاعتراف بالنظام السورى ما لم يبدأ النظام الجديد فى إبداء خطوات جادة وطيبة تزيل كافة العراقيل والعثرات التى حالت بين التقارب المصرى السعودى مع سوريا، كما شدد فاروق أثناء الاجتماع الصاخب فى مدينة أنشاص على ضرورة الإفراج عن الرئيس السورى السابق شكرى القوتلى وإعوانه للتأكيد على استعداد سوريا للتقارب مع مصر.

كان اللقاء المصرى السورى بين فاروق وحسنى الزعيم حميماً دافئاً رغم سخونة ملفاته وبرود أجوائه التى شهدها اللقاء، وقد تمثلت حفاوة مصر فى

قيام فاروق بإهداء حسنى الزعيم إحدى صوره وتوقيعه، ثم اصطحبه فى سيارته التى قادها بنفسه تعبيراً عن امتنانه وترحابه وسعادته بزيارته لمصر.

وفى اليوم التالى لعودة الرئيس السورى حسنى الزعيم إلى بلاده أصدر فى التو قراراً عاجلاً يقضى بالإفراج عن الرئيس السجين شكرى القوتلى الأمر الذى دعا مصر ومعها المملكة السعودية لإعلان الاعتراف بالنظام السورى الجديد، ثم أعقب الخطوة المصرية السعودية التاريخية التى عززت موقف النظام السورى خطوة أخرى قدمها الجانب السورى حيث أعلن حسنى الزعيم فى ٢٦ أبريل من نفس العام، وأمام حشد غفير من مواطنى الشعب السورى أعلن قائلاً:

إن رحلتى للقاهرة قد جاءت مباغتة غير سارة لشرق الأردن، وكان سادة بغداد وعمان يعتقدون أننى كنت سأقدم لهم تاج سوريا على صينية من الفضة، ولكنهم شعروا بخيبة الأمل، ولا ترغب الجمهورية السورية لا فى سوريا الكبرى ولا فى الهلال الخصيب، وسوف نناضل بكل قواتنا ضد المشروعين المذكورين الصادرين عن إلهام أجنبى، أما بالنسبة لشرق الأردن الذى هو مقاطعة سورية وسيظل كذلك فإنه سينضم من جديد عاجلاً أم آجلاً إلى الوطن وسيصبح المحافظة العاشرة فى الجمهورية السورية.

ما من شك أن هذه الخطبة التاريخية قد مكنت حسنى الزعيم من تكريس مكانته فى قلوب الشعب المصرى والسورى معاً فى تحول مفاجىء بعد فترة من التوتر والاضطراب شهدها البلدان منذ وقوع انقلاب حسنى الزعيم.

وفى خطوة أكثر شجاعة وجرأة وذكاء وقدرة على التواصل مع مصر أعلن الرئيس السورى حسنى الزعيم عزمه على مشاركته السفارة المصرية بدمشق الاحتفال بعيد جلوس الملك فاروق فى يوم ٦ مايو ١٩٤٩، وإقامة الزينات

ورفع الأعلام احتفاء بتلك المناسبة السعيدة للشعبين المصرى والسورى وذلك وفقاً لما ورد فى الخطاب الرئاسى السورى المدهش آنذاك.

وكان للقرار العاطفى الذى أصدره حسنى الزعيم صدى إيجابياً واسع النطاق، خصوصاً فى قصر عابدين حيث ابتهج الملك فاروق لتلك الخطوة الرائعة التى جسدت معانى الأخوة بين البلدين الشقيقين، حتى أن فاروق قد بعث ببرقية إلى حسنى الزعيم تقديراً له وامتنانه بمشاركته فى الاحتفال بتلك المناسبة وقد ورد فى تلك البرقية التى بعث بها فاروق تلك الفقرة التى قال فيها:

«لقد كان للقرار الذى أوسى شعور الأخوة العربية لدولتكم باتخاذه بالاحتفال رسمياً بعيد جلوسى أبلغ الأثر فى نفسى».

ولأن حسنى الزعيم قد أخبر فاروق من خلال برقية بعث بها إليه أنه سيحل محله أثناء الاحتفال بجوار ياور الملك فاروق حيث قال بالنص: «إنه ليسعدنى أن أحل محل جلالتكم فى الاحتفال الكبير الذى تزهو دمشق بإقامته فيها محاطا بياور جلالتكم»، ومن ثم أكد فاروق فى برقيته قائلاً : «وقد أوفدنا إليكم البكباشى شفيق مهنا ياورنا ليقف بجانبكم عندما تحلون محلى فى هذا الاحتفال الكريم».

ولأن فاروق كان يميل هو الآخر إلى سوريا وضرورة التواصل السياسى معها، فقد راح يغذى هذا الاتجاه بغية تدشين وحدة بين البلدين لضرب المشروع العراقى الأردنى فى مقتل نكاية فى ملوك الأسرة الهاشمية، ومن ثم وافق على ما طلبه حسنى الزعيم فى برقيته من أن يحل محله فى تعبير حى لنموذج وحدة مصغر يتطلع بلهفة إلى من يسعى لتعظيم دوره وتوسيع إطاره ليصبح مشروعاً كاملاً شاملاً.

وبعد اختيار الرئيس حسنى الزعيم رئيساً للبلاد بالإجماع أرسل الملك فاروق وفداً ملكياً يترأسه الفريق عمر فتحى باشا لتقديم التهنئة باسم الملك فاروق والشعب المصرى، وقد قام الفريق عمر فتحى بإلقاء كلمة قصيرة عبر فيها عن سعادة مصر ملكاً وحكومة وشعباً لنجاح الرئيس حسنى الزعيم فى الانتخابات التى حقق فيها نصراً ساحقاً ودون منافس، وقد كانت المفاجأة المذهلة حين شدد الملك فاروق فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه الفريق عمر باشا فتحى على أهمية الوحدة بين البلدين حيث قال حرفياً : «وقال حفظه الله: لا تنسوا أننى أعتبر مصر وسوريا بلداً واحداً. . إن جلالة الفاروق عندما يتحدث عن سوريا لا يقول: أريد ضماً أو فتحاً، بل يقول: أريد اتحاداً، اتحاد الحر مع أخيه الحر، والحليف المخلص مع الحليف المخلص، وذلك فى سبيل مصلحة مشتركة واحدة، وهى مصلحة العروبة الحقة، وأنه ليسعدنى بهذه المناسبة أن أنقل تحيات جلالته وتقديره إلى الجيش السورى الباسل ضباطاً وجنوداً، وهو إعجاب كان جد جلالته البطل إبراهيم باشا أول من أعلنه فلا غرو إذا ردده جلالة حفيده العظيم وأبرزه فإن حلفاء اليوم هم أحفاد حلفاء الأمس»[١].

وظنى أن للمخابرات البريطانية الأمريكية دوراً فاعلاً فى إفشال هذه الوحدة التى كانت مصر وسوريا بصدد النهوض بها، والإعلان عنها لولا أن أصابع خفية تلك التى عبثت بعد ذلك فى إفساد الوحدة التى أقيمت بين البلدين عام ١٩٥٨.

ومن هنا أنا على يقين أن هناك من عبث بها من أجل وأدها وخنقها حتى لا يكتمل جنينها الذى سيشكل خطراً داهماً على الأنظمة المجاورة الأكثر ميلاً

(١) تم نقل العديد من فقرات هذا الفصل من مقال منشور للأستاذ حسنين كروم ولذا وجب التنويه نظراً لعدم وفرة معلومات حول هذا الموضوع الذى انفرد به الأستاذ الفاضل حسنين كروم.

وانجذاباً للغـرب الاستـعمارى، ولهـذا فوجئت مـصر بانقـلاب عسكرى أطاح بالرئيس حسنى الزعيم بقيـادة الضابط سامى الحناوى فى ١٤ أغسطس، وقد تم إعدام الرئيس حسنى الزعيم بموجب محاكمة عسكرية صورية، الأمر الذى أثار عاصفة من الحزن والاستيـاء والسخط العام والغضب العارم فى مصر مما اضطر فاروق إلى إعلان الحداد العام لمدة ثلاثة أيام فى خطوة جليـة للتعبير عن رفض مصر ملكاً وحكـومة وشعباً لهـذا الانقلاب الذى أطاح بأهم وأخطر خطوة فى تاريخ العلاقات بين البلدين.

وهكذا سعى فـاروق للوحدة مع سوريا قبل اندلاع ثورة يوليـو الأمر الذى يشيـر إلى إدراك مصر ما قـبل الثورة إلى أهميـة الوحدة والتعاون المشـترك مع سوريا ومدى تأثير ذلك التقارب على مصلحة الشعبين.

* * * *

حرب ٤٨ .وقضية الأسلحة الفاسدة

كان الملك فاروق يتطلع دائماً إلى أن يمشى على خطى جده إسماعيل باشا زير النساء، وأشهر حكام عائلة محمد على عشقاً للنساء والمجون والعربدة والهوى واللامبالاة، بغض النظر عن مآثره ومشروعاته التى أسسها فى مصر، وكان لها أكبر الأثر فى نهضة البلاد والعلو بهامتها.

ولو كان فاروق متطلعاً منذ طفولته إلى جده إبراهيم باشا صاحب أشهر الانتصارات التاريخية، والبطل الذى لم يهزم قط، والقائد الذى استقبلته فرنسا استقبال الأبطال والعظماء والأفذاذ، والرجل الذى كان له الفضل الكبير فى مد أطراف الدولة المصرية إلى جميع البلدان المجاورة بل والبعيدة. . لو كان فاروق - رحمه الله- قد اقتفى أثره وخطا على نهجه وسلك مسلكه ومشى على دربه واتخذه نموذجاً ومعلماً وأستاذاً لتغيرت أحوال، وتبدلت أوضاع ما كان لها أن تحدث وإبراهيم باشا على سدة الجيش المصرى وعلى رأس البلاد، أما وأن العربيد الأهوج فاروق هو الذى يتصدر العرش، فقد حدث ما كان يجب أن يحدث ووقع ما كان ينبغى أن يقع .

لقد كانت قضية فلسطين شديدة التعقيد، ومن ثم أضحت فى حاجة إلى من يدرك أبعادها وتداعياتها ونتائجها على المدى البعيد، وربما كان قراره بتنصيب محمد حيدر باشا قائداً للجيش برهاناً على أن فاروق كان يمشى نحو هدف آخر حيث كان الرجل يجهل أبسط علوم الحروب العسكرية، ولا تتوافر لديه خطة واحدة لمقاومة العصابات الصهيونية التى تمكنت من بسط نفوذها وفرض إرادتها.

وفى اجتماع ضم بعض الدول العربية برعاية الملك عبد العزيز ملك السعودية تقرر على أثره إرسال جيوش الدول العربية لطرد العصابات الصهيونية التى غيرت فى ليل جغرافياً فلسطين، وبهدف إبادة أهلها وطردهم لتكريس كيان صيهونى على جماجم وجثث وانقاض شعبها المسكين وسط حالة من الذهول العربى ،والعجز العسكرى، والدعم الأمريكى والأوربى لإسرائيل.

وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ اجتمع مجلس الشيوخ المصرى لمناقشة قرار يتعلق بإرسال الجيش المصرى إلى فلسطين دفاعاً عن أرضها وشعبها، وقد كان الملك كما أشرنا قد أتخذ القرار بناء على توصيات مؤتمر القمة العربية بغض النظر عن مدى الاستعداد ودرجة التأهب التى كان عليها الجيش المصرى، حيث رأى فاروق أن إرسال الجيش فى كل أحواله هو إرضاء لضميره وغروره، وحتى لا يتعرض للمساءلة من أية دولة: لماذا تقاعست عن إرسال جيشك لحماية فلسطين؟، وربما أرسل فاروق جيشه باستعدادات بسيطة ومتواضعة ظناً منه أن هذه الإمكانات تتناسب فى قوتها مع قدرات العصابات الصهيونيه التى من المؤكد - كما تخيل - لا تملك أسلحة كافية تستطيع أن تكتب كلمة النهاية فى هذا الصراع لصالحها..

ربما .المهم فى اجتماع مجلس الشيوخ تحدث بعض الأعضاء وعلى رأسهم إسماعيل باشا صدقى (أشهر رؤساء حكومات مصر) وراح يوجه حديثه إلى محمود فهمى النقراشى رئيس الحكومة وقتذاك مؤكداً له أن الجيش المصرى يعانى من قصور شديد فيما يتصل بمسألة التسليح، فضلاً عن افتقاد قادته لأحدث الخطط والعمليات العسكرية ،وهو ما سوف يؤثر على أداء الجيش، ومن ثم قد تتمخض عنه هزيمة مروعة.

وأمام الحجج والذرائع التى لوح بها إسماعيل باشا صدقى وضغوط بعض أعضاء مجلس الشيوخ اضطر النقراشى باشا أن يتمرد على صمته ويعلن فى

أسى أن قوات الجيش المصرى قد تـلقت أوامرها بالتحرك منذ ليلة أمس، وهى حالياً على أبواب غـزة وهى المفاجأة التى أدهشت الحضور وألجمـتهم وألزمتهم بالصمت[١].

للأسف دارت المعارك الطاحنة بيـن الجانبين وقد أسـفر عنها سقـوط أعداد غفيرة من أبناء الجيش المصرى بين قتيل وجريح .

فضـلاً عن خسائر رهـيبة فى العـتاد والأسلحة والذخـيرة، وأثناء المعـركة انفجرت قضيـة الأسلحة الفاسدة التى استخدمهـا الجيش المصرى أثناء حربه مع العصابات الصهيونيه، حيث أكد البعض أن فساد الأسلحة التى تم شراؤها عبر وسطاء من العـملاء والجـواسـيس والخونة والذين يتـعـاونون مع العصـابات الإسرائيلية، وقد تم الحصول عليها من مخلفات الجيوش المتنازعة فى العمليات العسكرية بالصحراء الغـربية أثناء معارك الحرب العالمية الثانيـة، فضلاً عما تردد من أن هناك بعض قيادات الجيش الذين ذهبوا لأوربا للتعاقد على أسلحة قديمة عفى عليها الزمن، بل وغير صالحة للاستعمال طمعاً فى الحصول على ما تبقى من أموال وعمولات وسمسرة تمسكوا بالحصول عليه ساعدهم على ذلك بعض أفراد حاشية فاروق الذين كانوا يسهرون على تجويع الوطن وإفلاس خزائنه.

وانفجرت تلك الفضيحة فى مـجلس الشيوخ، حيث تقدم مصطفى مرعى عضو المجلس باسـتجواب عاجل إلى مصطـفى النحاس للاستفسـرار عما تردد بين رجال الجيش حول فساد الأسلحة التى يستخدمها الجنود المصريون، وثارت الدنيا وهاجت، وتولى إحسان عبد القـدوس وحلمى سلام وأمينة السعيد ملف هذه القضية صـحفياً حتى تتبـين الحقيقة للرأى العام، ويتم تقـديم المتهمين فى هذه الفضيحة إلى المحاكمة بتهمة الخيانة والعمالة والقتل العمدى.

---

(١) الأستاذ جمال بدوى [illegible] على الحياة المصرية).

وعلى أثر ذلك تولت النيابة العامة التحقيق، وقد امتثل أفراد الحاشية الملكية للتحقيقات فى سراى النيابة بعد الاتهامات التى لاحقتهم على يد الصحافة المصرية، بيد أن المفاجأة تمثلت فى قرار النيابة العامة الصادر فى ٢٨ مارس ١٩٥١ بحفظ التحقيقات فيما يتصل بأفراد الحاشية الملكية الذين كرمهم الملك فاروق بعد ساعات من القرار بأن أنعم عليهم بالأوسمة والنياشين إنصافاً لهم، ونكاية للصحافة المصرية وعلى رأسها إحسان عبد القدوس، لكن تكريم فاروق لم ينهِ المشكلة حيث إن الرأى العام يغلى إثر الهزيمة الساحقة التى منيت بها الجيوش العربية وعلى رأسها الجيش المصرى ،والخيانة العظمة التى تمثلت فى استخدام أسلحة فاسدة كانت السبب الأوحد فى هزيمة الجيش المصرى الذى كان يعد فى تقدير البعض من أقوى جيوش العالم العربى.

وأمام ضغوط الرأى العام والمظاهرات الشعبية والمقالات الصحفية اضطر الملك فاروق أن يوافق على تقديم القادة الكبار الذين قاموا بشراء الأسلحة إلى النيابة العامة لامتصاص غضب الشعب الذى ثار وفار، وراح يتحدث دون وجل عن فاروق وفساده وإفساده وهزيمته الفادحة فى فلسطين على أيدى عصابات إجرامية.

وبالفعل تحولت القضية إلى محكمة الجنايات بقرار النيابة العامة فى أبريل ١٩٥٢ ، وقد ترأس المحكمة المستشار غالب بك عطية، وقد امتثل المتهمين أمام هيئة المحكمة وكان على رأس المتهمين.

النبيل عباس حليم.

وتوفيق أحمد باشا.

وأحمد بك بدر (أمير البحار).

واللواء إبراهيم بك المسيرى.

والقائمقام عبد الغفار عثمان.

وتكونت لجنة الدفاع عن المتهمين من السادة كبار المحامين:

الدكتور زهير جرانة.

وعلى بك الخشخانى.

وبسطا شكرى.

والدكتور محمد هاشم باشا.

وعبد الحميد عبد الحق باشا.

وزكى زادة.

وفى أثناء المحاكمة أدلى اللواء فؤاد صادق أبرز قادة الجيش المصرى فى حرب فلسطين حول واقعة الأسلحة الفاسدة بشهادته أمام هيئة المحكمة قائلاً بالنص:

«لقد منعت استعمال القنابل التى جمعت من الصحراء الغربية بناء على شكاوى جنودى أولاً، ثم بناء على التجربة ثانياً، وحين استعمل الجنود القنابل الجديدة عاد الجنود للشكاوى مرة أخرى فأجريت عليها تجربة أمام حشد هائل من الجنود.

وبعد لحظات من الصمت... قال اللواء صادق ساخراً: للأسف كانت القنابل تنفجر فى الهواء قبل وصولها إلى الهدف وكانت شظاياها ترتد إلى الخلف لتصيب راميها إذا لم يبادر بالاختباء، ثم مد يده وعرى أصابعه فى اشمئزاز قائلاً:

شظايا بسيطة.. حاجة كدة زى الألومنيوم[1].

(١) عن نفس المصدر السابق

ثم سأله رئيس المحكمة : هل كانت التجـربة الثانية على القنبلة القديمة أم على الجديدة؟

أجاب الـلواء فؤاد صـادق: مفـيش شك أن اللى استـعمل أمـامى القنبلة الجديدة.

رئيس المحكمة: يمكن كانت القنبلة ملفوفة فى ورقة وللا حاجة؟

اللواء فؤاد صادق: دى كلها اعتبارات لا تهم.

رئيس المحكمة: هل تعرف الضابط الذى قام بالتجربة؟

التفت اللواء فؤاد صـادق لينظر فى قاعة المحكمة لتقع عـينيه على شخص ضخـم الجثـة يدعى الصاغ فـؤاد عاطف، وقـال: أهه، هذا الضابط كـان من أحسن وأكفأ الضـباط عندى يتميز بالكفاءة، وقد أدى واجـبه كاملاً، وأنا أتمنى أن أرى أولادى زيه بالضبط ،لكن أنا مش عارف أزاى كتب تقرير عن الأسلحة مخالف للواقع، وواصل رئيس المحكمة أسئلته على اللواء فؤاد صادق بقوله:

رئيس المحكمة: ألم تسفر التجربة عن أى نجاح؟

اللواء صـادق: كل القنابل تقـريباً انـفجـرت، وكانـت تحدث صـوتاً أثناء انفجارها يمكن كان المقصود تخويف العدو.

رئيس المحكمة: أو ربما كـان الهدف أن تحدث خلخلة فى الهـواء على حد تعبير الجماعة بتوع الذخيرة.

ابتسم اللواء فؤاد صادق ساخراً وراح رئيس المحكمة يسأله قائلاً :

رئيس المحكمـة: يمكـن تكون القنبلة دى من القنـابل الزمنيـة، واللا من القنابل الطرفية.

---

(١) نفس المصدر السابق.

ابتسم اللواء صادق مرة أخرى وأردف يقول :

اللواء صادق: إننى أحسدكم على هذه المعلومات الكثيرة التى عرفتموها، ثم تعالت طبقات صوته وصاح قائلاً:

أنا راجل عملى، والواقع أن الجنود أصيبوا من هذه القنابل وبعضهم انفجرت فى يده، والدرس الذى تعلمته أن القنبلة لازم تصيب حاجة علشان تنفجر، لكن اللى حصل أنها انفجرت من غير ما تصيب.

وهكذا مضت المحكمة العسكرية على هذا المنوال حتى تاهت الحقائق بين فساد فاروق وعبث وجشع وإهمال قادة جيشه حيث لم يكن للوطن فى نظر هؤلاء قيمة أو مكانه بل كان الهدف الأسمى لديهم هو كيفيه التكويش على خيرات هذا البلد ونهب ثرواته وسلب كنوزه، ولم يكن هناك مانعاً إذا تطلب السبيل إلى ذلك من قتل جنوده ودفنهم فى رمال فلسطين وكانوا أيضاً لا يتورعون من ضياع فلسطين ما دام فى ضياعها ما سيعود عليهم بالنفع والخير.

* * * *

فاروق والأخوان المسلمين

بعد أن شاخت دولة الخلافة الإسلامية التى داهمتها العلل وأجهدتها الحيل، فأصيبت بالخلل ونالت بجدارة لقب «دولة الرجل المريض»، خصوصاً أثناء فترة حكم السلطان عبد الحميد الثانى، ففى فترة اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبينما كانت كفة الانتصار تميل وترجح لصالح قوات الحلفاء، فيما كانت كفة معسكر المحور ومن بينه تركيا تميل بشدة نحو الهزيمة، تمكنت أوربا من تقطيع أوصال دولة الخلافة التى كانت مترامية الأطراف مرهوبة الجانب فى أزمنة المجد قبل أن توشك على دخول نفق الأزمنة الغابرة، ومن هنا تنازلت تركيا رسمياً لروسيا القيصرية عن عدد هائل من المقاطعات الغنية فى آسيا الصغرى، كما أجبرت على التنازل عن مصر، وعدن قبرص لصالح بريطانيا العظمى، ثم تنازلت لفرنسا عن تونس والمغرب والجزائر فى مرحلة سابقة، كما تنازلت لإيطاليا عن ليبيا، وقدمت صاغرة البوسنة والهرسك للنمسا، فضلاً عن العديد من مقاطعات منطقة البلقان[١].

إذن تفتت الكعكة العثمانية وتوزعت على الفرقاء الغرباء لتغيب مع تلك الفترة الحالكة شمس الخلافة الإسلامية، ولتشرق على تركيا وما يدور فى فلكها شمس العلمانية، والتغريب والتقريب من الغرب الاستعمارى على يد الزعيم التركى العلمانى القح كمال أتاتورك الذى سبقته ولحقته العديد من التيارات القومية والتغريبية واليسارية والماركسية فى محاولات جادة لتحل محل النزعة الإسلامية التى تعرضت لضربه قاصمة بفعل مخالب الاستعمار الغربى وعملائه وأذنابه الذين روجوا لأفكاره وعقائده.

---

(١) الدكتور محمد عمارة تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة (دار الهلال).

وما من شك أن اندثار دولة الخلافة الإسلامية، وزوال عرشها الذى كان فى زمن ما قد أصاب الشعوب الإسلامية والعربية فى مقتل رغم أنها هى التى قاست وكابدت وعانت من ظلم الأتراك وقسوتهم وخشونة طباعهم وعنجهيتهم، بيد أن هذه الشعوب ارتأت فى تلك الأثناء أن جحيم الترك خير لها من نعيم الغرب ،وذلك خوفاً منهم على الإسلام من أن يتعرض للبطش على يد الاستعمار الغاشم ومن والاه وباركه من أبناء الأمة، من هنا داعبت الخلافة أحلام العديد من الذين عانوا من غيابها، ومن الذين طمعوا فى بريقها وجاهها وعزها ومجدها، ومن ثم كانت حلماً لا يفارق خيال الملك فؤاد، وقد ظل يناضل ويجاهد من أجله طويلاً وكثيراً وحتى ظل هذا الحلم مسكوناً فى قلب فاروق وعقله ومشاعره وخلاياه حيث كان يحلم بأن يتولى منصب خليفة المسلمين على اعتبار أن دولة آل عثمان قد ولت، وأن دولة آل محمد على ما زالت تتصدر الأمة العربية، فضلاً عن كونه ملك لأكبر البلاد العربية والإسلامية، ومن ثم فالطريق بات معبداً ومفروشاً بالورود فى استقبال خليفة المسلمين لتعود قلعة صلاح الدين مقر الحكم ومركز الخلافة الإسلامية.

لقد كانت الخلافة بالفعل تراود وتداعب وتلهب خيال وأحلام الزعماء والعلماء والرموز الدينية وكل من أدمته سقوط دولة الخلافة.

كان الشيخ جمال الدين الأفغانى والشيخ رشيد رضا يطالبان بدعم دولة الخلافة ومحاولة إنقاذها من الانزلاق نحو الهاوية حتى سقطت وتهاوت ولم تعد لها قائمة.

وفى آواخر عشرينيات القرن المنصرم ظهر الشيخ حسن البنا رافعاً لواء الدعوة لتوحيد الأمة، وإحياء عصر الخلافة الإسلامية فى القاهرة أو فى غيرها.

وروى أن الملك فؤاد حين ترامت لمسامعه دعوة الشيخ حسن البنا تملكته الغبطة واحتوته السعادة والفرحة ظناً منه أن حلم الخلافة عاد يطل برأسه مرة أخرى، وقد بات وشيكاً، وراح يساعد الشيخ حسن البنا على استحياء ريثما تبين له الرؤية حتى جاء من همس له فى أذنه ناصحاً غير أمين بقوله: أن الشيخ البنا سيسعى لتأسيس دولة الخلافة كى يتولاها بنفسه، وهو ادعاء لا يملك أحداً دليلاً على صحته، ومن ثم قد يكون هذا وارداً وقد لا يكون فربما، وهذا هو الغالب أن الشيخ البنا أراد إحياء الخلافة الإسلامية لوجه الله تعالى دون غيره بغض النظر عن أدواته ووسائله التى قد تتفق مع بعضها وتختلف مع البعض الآخر.

لكن ظل الشيخ حسن البنا يواصل دعوته وحركته التى انتشرت وتوسعت فى مشارق الأرض ومغاربها حتى أن البعض زعم أن الإمام حسن البنا - رحمه الله - كان أحد الذين أخبرنا عنهم النبى ﷺ الذين يأتون على رأس كل مائة عام لتجديد الدعوة .

ولأن الشيخ حسن البنا قد تمكن من إنجاح حركته الدعوية، فمن المألوف أن يتعرض الرجل للسهام سواء كانت تنطلق من كنانة الباطل أو كنانة الحق للتأكيد على أهمية حركته وبواعثها ونشاطها وانطلاقها.

وحين تولى الملك فاروق العرش خلفاً لوالده الملك فؤاد سعى الإمام حسن البنا لتوطيد علاقته بالقصر الملكى لتحرير قيود حركته وتوسيع هامشها الذى كان يضيق أحياناً ويتسع أحياناً أخرى فى عهد فؤاد، ومن جانبه رحب الملك فاروق بتوسيع الحركة الدعوية بعض الشىء على أن تكون تحت سمع وبصر البوليس السياسى.

لقد كان فاروق شأنه شأن والده يتطلع للخلافة ويحلم بعرشها، لكنه يعلم أن الإمام حسن البنا لن يهديهـا له أو لأسرته الفاسدة على طبق من ذهب، بل ينبـغى إحـقـاقـاً للحق أن تكون بين يـدى الإخون المـسلمـين الذين يقـاتلون ويناضلون ويجاهدون من أجل إرساء قـواعدها وتجديد عرشها وإحـياء مجدها الذى ولى واندثر.

لكن على أثر خط والده كان فـاروق يرتاب فى مسـتـقبل جماعـة الإخوان المسلمـين ولا ينتظر من ورائهـا خـيـراً لعرشـه أو ملكه، ومن ثم عـاد بفـعل الوشايات لخنق الحـركة ومحاولة وأدها، بـعد أن كانت الحركـة تعمل فى إطار شرعى من خـلال تأسيس جمـعية مشـهرة برقم قانونى، ومن خـلال صحف ومجـلات على رأسهـا جريدة الإخوان المـسلمين ومجلة الشـهاب، أضف إلى ذلك العديد من المؤتمرات والندوات والحـفلات الدينية سواء فى المناسـبات التى تتعلق بالاحتفالات الإسلامـية كالمولد النبوى أو الإسراء والمعراج أو النصف من شعبان أو ليله القدر أو عيد الهجـرة أو مناسبات عقد القرآن أو سرادقات العزاء حيث اتجهت الحركـة فى كل مكان رغم القيود والأغلال التى كبلتـها بها أنظمة فاروق خـوفاً من توحـشهـا ونموها وتعاظم دورها مما يؤدى إلى تهـديد النظام الملكى مستقبلاً.

يذكر أن الملك فاروق كان لا يخـشى من أحد قدر خشيته من الشـيوعيين؛ حيث ظـن أن نجاح ثوراتهم فى سـوريا والعراق وتغلغلهم داخل أركـان النظم العالميـة قد يؤدى فى غضـون سنوات إلى خلخلة وهشاشـة عرشه إذا لم تتنـبه الأجهـزة الأمنية لتـحركاتهم ،ويمكـن القول أن خوف الملك من الشـيوعـيين أضيف إليه خوفه من الإخوان المسلمين بعد ذلك خوفاً على مستقبله، مع مرور الوقت تنامت قـوة الإخـوان المسلمين وراحـت تكشر عن أنيـابهـا وتعلن عن

وجودها بثقة وثبات، وانتشر شبابها فى رحاب ومدرجات الجامعات وارتدى رجالها الياقات السوداء أو القمصان السوداء للتميز عن قمصان مصر الفتاة والوفد الذى كان يتمتع بشعبية جارفة.

لم يكن حسن البنا من الذين يتسرب إليهم اليأس أو الشعور بالإخفاق بسهولة بل ظل الرجل يسعى ويجاهد ويناضل من أجل إعلاء شأن حركته والارتقاء بمكانتها بين القوى السياسية.

كانت الدولة فى تلك الأثناء قد ارتضت بتأسيس جمعية الإخوان المسلمين واتساع هامش دعوتها على اعتبار أنها جمعية دعوية تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية وترسيخ قيم الإسلام ومبادئه وتقاليده وعاداته النبيلة الكريمة، بعيداً عن الخوض أو الاشتغال فى العمل السياسى، ولكن سرعان ما انقلبت الحركة على أوضاعها الأساسية، وعلى اللوائح والقوانين المعمول بها، وراحت تدس أنفها فى جميع الشئون السياسية، ومن ثم لفتت أنظار جميع القوى السياسية التى أدركت مغبة انشغال الإخوان وانخراطهم فى العمل السياسى ومدى المخاطر الناجمة عن هذا التزاوج الذى لا يستقيم مع وجود أحزاب يسارية ويمينية، منها ما هو علمانى ومنها ما هو حائر تائه لا يعرف له رأساً من قدم، لكنه ولمصالح متعددة راح يمارس السياسة إما من باب الوجاهة أو من باب الاستغلال ،وللإنصاف كانت أغلبها أحزاب هشة لا تعبر عن مشاعر الأمة، باستثناء حزب الوفد صاحب الشعبية الواسعة آنذاك.

وحين اندلعت شرارة حرب فلسطين أرسلت جماعة الإخوان المسلمين العديد من أفرادها للمشاركة فى معارك الفدائيين ضد اليهود، بل والإنجليز فى القناة شأنها فى ذلك شأن جميع الأحزاب والقوى السياسية التى لم تكن تدخر جهداً فى إرسال رجالها المتطوعين لحماية الأمة ونصرة الوطن.

ولأن مشاركة الإخوان فى حرب القناة وفلسطين كان يتطلب بالضرورة السعى لحمل السلاح فقد توافرت الذخيرة لدى الجماعة وانتشرت الأسلحة بين قادتها حتى أن الحلف على المسدس والمصحف كان أحد أهم خطوات الانضمام إلى الجماعة.

أريد أن أقول أن وفرة السلاح لدى أفراد الجماعة مع عقيدة راسخة وشعار يرمز لسيفين متقاطعين وآية تشير إلى أهمية الجهاد ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ صدق الله العظيم، وخطب حماسية وأناشيد تدق القلوب والعواطف بعنف، فقد اتجهت الحركة إلى مسار آخر بعيداً على الأقل عن مسار الجمعية الشرعية التى تعتمد على نشر الدعوة والإنفاق على الفقراء ، وراحت الجماعة على أثر ذلك تسعى لنشر أفكارها من خلال الاستناد على قوة أثارت مخاوف البعض، وقد تجلى ذلك فى تأسيس النظام الخاص السرى الذى كان يقوده عبد الرحمن السندى الذى راح يرتكب العديد من حوادث العنف لخصوم الجماعة أو أعداء الوطن أو حتى أعضاء الجماعة الذين انشقوا عنها، وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ سيد سابق صاحب الكتاب الجميل (فقه السنة) حيث كان الرجل عضو بالجماعة وحين أبدى اعتراضه على سلوك النظام السرى الخاص، ولم يجد حيئنذ أذانا مصغية قرر الخروج عن الجماعة والعمل فى مجال الدعوة بمفرده، مما اضطر النظام السرى الخاص أن يبعث إليه بقنبلة داخل علبة حلوى بمناسبة المولد النبوى للإجهاز عليه لولا عنايه الله حيث كان الشيخ خارج بيته، وحين أخبرته زوجته بأمر العلبة التى أرسلتها الجماعة صاح فى وجهها عبر جهاز التليفون ألا تقترب منها حيث أدرك بذكائه أنها تحتوى على عبوة ناسفة للتخلص منه خاصة أنها طريقة اتبعتها الجماعة مع خصومها وأعضائها المنشقين واشتهرت بها بين الجميع.

وحين قضى القاضى الخازندار بالحكم على عــدد من أعضاء الجماعة الذين ارتكبوا العديد من الحوادث الإرهابية قام الجهــاز السرى للجماعة بالتخلص منه وهو القرار الذى تم تنفيــذه بالفعل ليلقى القاضى الخازندار مـصرعه على أيدى رجال النظام الخاص.

وتعددت الحوادث التى ارتكبـها النظام الخاص حتى أن البـعض قد أكد فى مذكراته أن النظام قـد خرج عما هو مرسوم له وانحرف بعـيداً عن المسار الذى حدده له الإمام حسن البنا، وأن الرجل لم يعـد يملك القدرة على كبح جماح عبد الرحـمن السندى ورجال النظام الخاص، وربما أن محمود فـهمى النقراشى رئيس وزراء مصر ووزير داخليـته قد تنبه إلى خطر النظام الســرى واكتشف أن الإمام البنا لم يعد بمقـدوره قيادة الجماعة علـى النحو الذى تأسست من أجله، ومن ثم قرر حل الجمـاعة لخروجها عن القانـون الأهلى ولارتكابها العديد من الحوادث.

وفى ٨ ديـسمبـر ١٩٤٨ أصدر رئيس الوزراء محمود فهــمى النقراشى قراراً يقضى بحل الجماعــة وإغلاق مقراتها، وحظر أنشطتها على جـميع المستويات، ولأن الجماعة قد توحشت وطالت أظافرها وتضـخمت أنيابها، فقد قررت عدم الانصيــاع لقرار الحل بل والتخلص من رئـيس الوزراء النقراشى باشا عــقاباً له على إصداره مثل هذا القرار.

بالطبع كان الملك فاروق قد ارتاح لمثل هذا القرار حـيث ساءه كثيراً ما نقل إليه عبــر حاشيته من تعــاظم دور الإخوان وانتشارهم فى طول البلاد وعــرضها انتـشار النار فى الهـشيم، وهو مــا شجـعه على الموافـقة الضـمنية علـى قرار النقراشى الرامى لحل الجماعة.

وفى أعقاب صدور هذا القرار لقى النقراشى باشا مصرعة أمام مصعد وزارة الداخلية على يد الشاب محمود عـيسوى طالب الطب البيطرى، وكان الحادث

مروعاً ومفزعاً أدى إلى تصعيد حدة الغضب والسخط نحو الجماعة ومرشدها الذى تنبه بدوره إلى غروب شمسه التى أوشكت على الغروب بالفعل بعد هذا الحادث، وهو ما دعاه إلى إعلانه المتكرر من خلال الصحف بقوله معلقاً على قتل النقراشى : «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» وقد ردد هذه العبارة ظناً منه أنها ربما تشفع له لدى القصر الملكى الذى كان يتميز غيظاً ويعتصر ألماً على ما آلت إليه جماعة الإخوان المسلمين.

وفى ١٢ فبراير ١٩٤٩ كان مرشد جماعة الإخوان المسلمين على موعد مع الموت حيث كانت السرايا قد قررت الانتقام والأخذ بالثأر من المرشد وجماعته، ومن ثم أسند الملك فاروق رئاسة الحكومة إلى إبراهيم باشا عبد الهادى الذى اشتهر بقسوته ودمويته وكراهيته الشديدة لجماعة الإخوان، ومع وصوله إلى رئاسة الحكومة أصدر أوامره بالقاء القبض على أعضاء الجماعة دون شفقة أو هوادة، ثم قرر بالاتفاق مع الملك فاروق التخلص من الشيخ حسن البنا فى رسالة عاجلة وجلية للجماعة أن العنف سيرد عليه بعنف أشد وأقسى، وفى مساء هذا اليوم وأمام جمعية الشبان المسلمين بشارع رمسيس حيث أمطره مجهولون بوابل الرصاص فأردوه قتيلاً رغم الجهود التى بذلها أطباء القصر العينى فى إجراء الإسعافات الأولية، ولكن كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة كثمن لمغامرة الجماعة وانزلاقها فى دوامة العنف واغتيالها لمحمود فهمى النقراشى رئيس وزراء مصر ووزير داخليتها، والذى كان يتمتع بشعبية جارفة لدى قطاعات واسعة داخل الشعب المصرى.

ومنذ تلك الحادثة - اقصد حادثه مقتل النقراشى - والجماعة تتعرض للاضطهاد أحياناً والقبول والرضا فى بعض الأحيان من قبل النظام الحاكم على مختلف أنواعه.

وربما أخطأت الجماعة كثيراً فى جنوح جهازها الخاص لارتكاب العديد من الحوادث الإرهابية وربما شرعت فى الانزلاق نحو الجبهة السياسية قبل أن تكتمل حلقات دعوتها التى كان مخططاً لها فى الأساس، وربما دفعت الجماعة ثمناً غالياً لجهلها الشديد بالأوضاع السياسية، وكيفية التعامل معها، فضلاً عن فقرها الشديد فى الخطاب الإعلامى لدى صانع القرار السياسى فى مصر.

وفى اعترافاته الخطيرة يقول أحمد كمال الرجل الثانى فى النظام لجماعة الإخوان المسلمين فى حوار لجريدة الوطنى اليوم بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١ .

«كان هناك مشروع لتهريب محمود زينهم وحسن عبد الحافظ اللذين نفذا عملية اغتيال القاضى أحمد الخازندار وكانا محبوسين فى سجن مصر، لكن العملية فشلت، وهناك محاولة أخرى قام بها أعضاء النظام الخاص خارج السجن لاغتيال خليفة النقراشى إبراهيم باشا عبد الهادى رئيس الوزراء لكن العملية أصابت هدفاً خاطئاً هو حامد جودة باشا رئيس مجلس النواب حيث انتظره الإخوان وعندما مر موكبه فتحوا عليه النار، ولكنه لم يصب لأنه ارتمى فى أرضية السيارة.

ويضيف أحمد عادل كمال، أخطر أعضاء النظام الخاص قائلاً فى اعترافاته: منذ عام ١٩٤٠ والعمليات والتدريبات تتم دون أن يعلم أحد- أى عن النظام الخاص- ولكن مع حادثة السيارة الجيب والمضبوطات، وما كتب وقتها فى الصحف بدأ اسم النظام الخاص يظهر، فصدر أمر عسكرى بعدم نشر أى شيء عن هذه القضية، وكان النظام الخاص فى هذا الوقت أكبر قوة مسلحة داخل الجماعة رغم أن الجوالة كانت فى البداية تسمى الجناح العسكرى للجماعة الذى يقوم على تربيه الطلبة تربية خشنة وعمل معسكرات فى الصحراء.

ويضيف الرجل الثـانى فى النظام الخاص للجمـاعة أحمد عادل كـمال فى مجمل اعترافاته الخطيرة :كما كانت تقـوم باستعراض كبير فى المناسبات العامة لاستعراض قوة الأخـوان وكان يشرف عليها سعد الوليلى مـسئول الجوالة وكان معه أيضاً حسين كمال الدين وعبد الغنى عابدين .

* * * *

فكرة اغتيال الملك فاروق

ما سبق يمكن قبوله على نحو أو آخر أما الفقرة القادمة فهى تستحق الدراسة والتأمل خاصة وأنها تكشف النقاب عن واحدة من أهم وأخطر عمليات الإخوان المسلمين منذ نشأتهم حيث يعترف أحمد عادل كمال بعزم الجماعة اغتيال الملك فاروق وهو ما يشير إلى أن الجماعة لم تكن تنتهج العنف نحو الأجانب فقط ،لكنها كانت تمارسه نحو رموز السلطة فى مصر، وربما كان ذلك ضمن الأسباب التى دعت الشيخ سيد سابق الفقيه والعلامة للخروج عن الجماعة بعد أن اكتشف ميلهم وجنوحهم لممارسة العنف، وهو ما لا يتواءم مع معتقداته وآرائه وأفكاره ومنهجيته على أية حال هيا معاً نتأمل ما ورد على لسان الرجل الثانى فى النظام الخاص فيما يتعلق بمحاولة الجماعة اغتيال الملك فاروق.

يقول الرجل : «لقد بدأ النظام الخاص يفكر فى اغتيال الملك فاروق باعتباره عائقاً أمام الجماعة وضد تقدمها وعاملاً خطيراً فى تعقبها، وبالطبع هذه المحاولة لم تتم لظروف كثيرة».

هذه الاعترافات تجسد بصدق وواقعية شكل العلاقة وجوهرها بين الملك فاروق وجماعة الإخوان المسلمين دون أن نعلق بأكثر مما سبق وإن علقنا .

* * * *

« من نصر الملك فاروقا فقد نصر الحق ونصر الأمة، ومن تولى فعليه لعنة الحق ولعنة الأمة!!!»

الأديب العملاق

عباس محمود العقاد

رجال الملك
أحمد حسنين

ستظل شخصية أحمد حسنين مثار جدل وخلاف حول حقيقة دوره فى بناء وإعداد وتجهيز الملك فاروق منذ نعـومة أظفاره، وسيظل اسم هذا الرجل محور العـديد من المناقشـات والقضـايا والمسـائل والأزمات التى دارت رحـاها داخل أسوار القصور الملكية.

ولعل الحديث عن الملكة الأم نازلى يستدعى بالضرورة الحديث العفوى عن أحمد حسنين الذى قـيل إن علاقة غرامية عنيفة ربطت بينهـما عقب وفاة الملك فؤاد، وإن هذه العـلاقة توجت بورقة زواج عرفى زعم البـعض أنها من ابتكار وصنع فاروق حفاظاً عـلى ماء وجهه بعد أن تسربت أنباء العـلاقة الساخنة بين والدته وأحمد حسنين حتى فاحت رائحتها وزكمت الأنوف من عفونتها.

وبالطبع إذا ما ورد ذكر أو مجرد قول عابر عن حادث ٤فبراير ١٩٤٢ أطل أحمد حسنين بشـحمه ولحمه بوصفه البطل والمنـقذ والمخلّص والمتسبب فى هذا الحـادث حيـث أكد البـعض أنه كـان وراء إصـرار الملك على رفض الشـروط البريطانية.

على أية حال كان أحـمد حسنين وسيظل شخـصية مثيرة للتـأمل وتستحق الدراسة والبحث والتحرى لدوره البـارز والخطير فى إدارة شؤون القصر الملكى منذ عهد فؤاد حتى عهد فاروق الأول والأخير.

لقد شهد حى بولاق أحد أشهر الأحياء الشعبية بالقاهرة عام ١٨٨٩م مولد الطفل أحمد مـحمد حسنين البولاقى (نسبـة إلى حى بولاق)، وقد كان والده

من علماء الأزهر الشـريف، وهو حفيـد أحمد حسنـين باشا شهبندر أو أمـير التجار فى مصر القديمة، وقد أتم الحفيد حفظ أجزاء كثيرة من القرآن الكريم فى طفولتـه، فضلاً عن اهتمـامه المبكر بحفظ العشـرات من قصائد الشعـر العربى والإسلامى.

ولعل بساطة أحمـد حسنين وبشاشة وجـهه وتواضعه رغم مكانته المتـميزة والمرموقة والرفـيعة هى التى أدت إلى تزايد شعبيـته ومحبة الجمـيع له، خاصة الخصوم والذين يخـالفونه الرأى والرؤية، ومن ثم اشتهر أحـمد حسنين رئيس الديوان الملكى بحرصـه الشديد على التردد على أهالى حى بولاق الذى شـهد مولده ونشأته وترعرعه دون تكبر أو صلف.

[وفى كتابه (الأميرة فتحية ورياض غالى) حب حتى الاغتيال] يقول الأستاذ محمود فوزى فى صفحة ١٩:

لقد تعلم أحمد حسنين فى أكسفورد وحين سئل:

- لما اختار إنجلترا بالذات لكى يتعلم فيها؟

أطلق عبارته المشهورة:

لكى أتعلم كيف أحاربها حين أعود إلى وطنى!

ولقد أعجب اللورد ملز بهذه الفصاحة الوطنية التي جاءت على لسان شاب مصرى يحب بلاده وكـتب توصية إلى عميـد الكلية يقول له فيـها: [أقدم لك عدواً صـغيـراً من أعداء بريطـانيا العظمى أرجـو أن يتحـول على أيديكم إلى صديق كبير].

والتحق أحمد حسـنين بالجامعة البريطانية العريقة، ثم لمع نجـمه فى سمائها حتى نجح فى الحصـول على شهادة التخرج عـام ١٩١٤، ثم أعقب ذلك توليه

عدة وظائف حيث التحق فى عام ١٩٢٠ بالعمل مساعد مفتش بوزارة الداخلية وأثناء عمله بها تم انتدابه مفاوضاً فى المباحثات مع إيطاليا فيما يتعلق بتسوية النزاع حول ترسيم الحدود الغربية، وذلك فى مطلع عام ١٩٢٤.

فى نفس العام بعد نجاحه الملموس فى مفاوضات الحدود تولى وظيفة أمين القصر الملكى فى عهد فؤاد، وبعد نجاحه فى إتمام المهام الموكولة إليه شغل منصب رئيس الديوان الملكى ثم أسند إليه نفس المنصب فى عهد الملك فاروق.

واشتهر أحمد حسنين بغرامه وولعه بأدب الرحلات والكشوف الجغرافية، وقد أشرف الملك فؤاد وأغدق على رحلاته الجغرافية بالمال والمؤن تقديراً لعشقه لهذه الهواية حتى أنه تمكن بدعم ومؤازرة من فؤاد أن يجوب صحراء مصر الغربية بدءاً من ساحل البحر الأبيض وحتى دارفور (جنوب السودان) وقد نجح فى كشف النقاب عن منطقة العوينات التى أصبحت الآن مصدراً من مصادر القمح وغيره من الزراعات، وقد كان له دور بارز ومعروف فى اكتشاف أغلب مناطق الصحراء الغربية المترامية بين مصر وليبيا وقد كرمته إنجلترا وأمريكا وفرنسا فى احتفالات مهيبة تسلم من خلالها العديد من شهادات التقدير والميداليات الذهبية، كما كرمته الجمعية الجغرافية البريطانية فى حفل كبير منحته من خلاله لقب (رحالة عظيم).

واشتهر أحمد حسنين باشا أيضاً بعشقه لهواية الطيران حتى أنه قام بشراء طائرة خاصة وقادها بنفسه من لندن عائداً بها إلى القاهرة فى طريق عودته سقطت لعطل مفاجئ أصاب محركها، وكتبت له الحياة مرة أخرى ولم ييأس كعادته، ومن ثم قرر معاودة التجربة والمخاطرة مرة ثانية واشترى طائرة ثانية، وفى أثناء عودته بها سقطت أيضاً وراح فى تحدى بالغ وغريب يشترى الطائرة الثالثة وقد سقطت به هى الأخرى فى إيطاليا، وفى هذه المرة تعرض لإصابات

بالغة وخطيرة كادت أن تهلكه وتقضى عليه لولا عناية الله حيث انتقلت أجهزة الطوارئ الإيطالية لإسعافه ونقله إلى أقرب مستشفى لإنقاذه وقد أثار دهشة الأطباء حين انتصب واقفاً بعد ساعات من الحادث.

وفى تجربته الرابعة المثيرة يعلق الأستاذ محمود فوزى قائلاً فى كتابه الذى أشرنا إليه : «رغم ما حدث لم يقلع أحمد حسنين عن إدمانه المستميت وعشقه الأبدى للطيران، فاشترى طائرة رابعة وصعد الخبير الإنجليزى لتجربتها، ولكنها احترقت به فى الجو وعاد إلى الإسكندرية بالسفينة».

وقد عُرف أحمد حسنين باشا أيضاً بمهاراته وتفوقه فى لعبة (الشيش)، ومن ثم كان رياضياً ذائع الصيت حتى تربع على رئاسة النادى الأهلى المصرى، ورئاسة نادى السلاح الملكى، ورئاسة الفريق المصرى فى الألعاب الأولمبية التى أقيمت فى بلجيكا عام ١٩٢٠، أضف إلى ذلك علاقاته الثرية مع رموز المجتمع المصرى سواء فى مجالات الفن وحملة لوائه ومشاعله التى أنارت الدنيا بعد ظلمها وظلمتها.

فالعقاد صاحب المدفع الثقيل الذى دك حصونا وقلاعا وجسورا ومتاريس يتحدث عن لقاء جمعه بالملك فاروق قائلاً: [إننى لم أسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجلاء طلعة الملك عن كثب والإصغاء إلى جلالته على انفراد فى جو لا مثيل له بين أجواء اللقاء والحديث لأنه جو الملك والديمقراطية ممثلين فى شخصه الكريم أجمل تمثيل مجتمعين فى سماعه وكلماته وإرشاداته أحسن اجتماع، لقد سمعت فى هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف وكلام وطنى غيور وكلام محدث ظريف وطاف بخاطرى ذكر الإيمان وذكر الوطن[1].

(١) عصر ورجال للأستاذ فتحى رضوان ٢٣٨.

وهكذا دبج العقاد سلسلة مقالاته المثيرة للدهشة عن الملك فاروق الذى أخفى عليه ما لم يفلح فيه كريم ثابت ضحية أقلامنا وكبش الفداء لأصحاب القلم الذين حملوه مسؤولية تضخيم ذات فاروق.. كيف تسنى لهؤلاء الهجوم على اللبنانى القح وتلطيخ سمعته التى أظن أنها لم تكن فى حاجة إلى ذلك، وغض البصر عما نشره العقاد وغيره من رموز الفكر والسياسة والأدب المصريين.

لقد أصبح فاروق كما يقول العقاد مرشدا ومتحدثا ظريفا ولبقا وكريما، بل إن فاروقا كما قال العقاد فيلسوف ووطنى غيور، وإنه أى العقاد كان سعيدا لهذا اللقاء الذى جمعه بالملك لأن اللقاء قد تم فى جو من الديمقراطية وما أروعها حين تجتمع مع الملك فى آنٍ واحد!! (طبعاً.. علامات التعجب والدهشة والاستغراب من عندى!! آمال من عند الأستاذ أنيس منصور مثلاً).

وعندما أعلن القصر الملكى نية الملك فاروق فى الزواج من الآنسة ناريمان صادق بعد طلاق زوجته الأولى فريدة ذو الفقار راح الأستاذ العقاد يعلق على تلك الزيجة قائلاً فى صدر صفحات مجلة الهلال عدد مايو ١٩٥١(!!):

«تشاء العناية لصاحب عرش مصر أن يرعى سنّة الديمقراطية ويحدد سنّة الإسلام باختيار ملكة شعبية من كريمات شعبه فلا حاجز من حواجز النسب بين الراعى والرعية ،ولا محل لهذه الحواجز فى المجتمع كله بعد ارتفاعها بين بيت الملك وسائر البيوت المصرية، وإنها لسنّة تحمدها الأمم فى كل أونة أو الرياضة أو الدين أو العلوم أو الآداب».

كان أحمد حسنين باشا متزوجاً من السيدة الفاضلة لطيفة سيف الله يسرى باشا ،وهى ابنة الملكة شويكار زوجة الملك فؤاد الأولى. وشقيقة وحيد باشا يسرى الذى كان على خلاف شهير مع فاروق فيما بعد.

والواقع أن أحمد حسنين كما أشرنا شخصية جذابة مثيرة للإعجاب والاحترام خاصة وأن الرجل قد تميز بالعفة وطهارة اليد وحسن الخلق والتواضع.

ولعل السمات والصفات الحميدة والكريمة والبطولية والشجاعة التى اشتهر بها الرجل قد جذبت إليه رموزا من سيدات المجتمع الأمر الذى أثار غيرة زوجته وشكوكها مما اضطرت لطلب الطلاق إنهاءً للخلافات التى تنشب بينهما كل يوم بسبب الوشايات التى حملها بعض خصوم أحمد حسنين، خاصة فيما تردد عن علاقة غرامية تربطه بالمطربة أسمهان، ثم ما نشر فيما بعد حول علاقته العنيفة مع الملكة نازلى أرملة الملك فؤاد ووالدة الملك فاروق، والتى قيل إنها أحبته إلى حد الجنون حتى أخبرته بعزمها على التضحية بالتاج والجاه والنفوذ والهرب معه إلى حيث يريد تفادياً لمعارضة فاروق واحتجاج الأمة وسخط الأسرة العلوية.

وقيل إن فاروقا قد فاجأ والدته مع أحمد حسنين فى مشهد غرامى أثار حفيظته حتى زعم الرواة أنه اضطر أمام هول ما رأى أن يصفع أحمد حسنين باشا صفعة قوية على وجهه، ثم بدأ مخطط التخلص منه وذلك بقتله والقضاء عليه تحت عجلات لورى شرطة بريطانية على كوبرى قصر النيل، وذلك عام ١٩٤٦ عن عمر يناهز ٥٧ عاماً.

* * * *

ولقد كان أحمد حسنين هو الذى تولى رعاية وعناية الصبى فاروق بإيعاز من والده فؤاد الذى كان مفتوناً بشخصية أحمد حسنين المثيرة للإعجاب، وقد ظل أحمد حسنين ملازماً لفاروق كظله حتى عام ١٩٤٦، وكان هو المحرك الأساسى والموتور الوحيد لفؤاد ومن بعده فاروق والعقل المدبر للقصر الملكى

والمستشار السياسى والاجتماعى للملك، وصديق الأسرة والأب الروحى لجميع أفرادها، ونصير الفقراء، ولكن كل هذه المزايا تحطمت على صخرة الكراهية التى حملها فاروق له فى صدره إيماناً منه بأن الرجل الذى منحه ثقته ووهبه عقله قد خدعه وخانه وغدر به وانتهك عرضه واستباح كرامته، ومن ثم لم يعد هناك مبرر لبقائه على قيد الحياة حيث كان رمزاً للإهانة والفضيحة التى ذاع صيتها فى أنحاء البلاد وطاردت فاروقا حتى الممات.

* * * *

كـريم ثـابت

رغم أن جذور عـائلته تغـوص فى أعمـاق التربة اللبنانيـة، ورغم موهبـته الصحفيـة التى كانت لا ترقى بحال من الأحوال إلى مسـتوى البعض مما كانوا يحاولون الاقـتراب من أسوار القـصر لكسب رضـا الملك والفوز بعطفه، فـقد أضحى بشكل مـفاجئ ومريب المسـتشار الصحفى الأوحـد للملك فاروق رغم أنف الجميع.

كان فاروق يعـرف كريم ثابت من خلال مقـالات المديح والإطراء والتزلف والنفاق التى كان يصوغها كـريم للملك أملاً فى الوصول إلى قلبه والتقرب منه والانحناء أمامـه والاستحواذ على مشـاعره ومزاحمـة حاشيته لعل نجـمه يلمع وقلمه يبدع قبل أن يجف أو يقـصف بوشاية من هذا أو بضغط من ذاك أو قبل أن ينزوى فى دائرة النسيان فيصبح نكرة لا يبالى بها أحد ولا يسمع عنها ذكراً.

لقد التقى فاروق مع كـريم ثابت للمرة الأولى فى بهو فندق كراكت بمدينة أسوان عـام ١٩٤٢ وتم التـعارف المبـاشر بينهـما وراح كـريم يضع الخطة تلو الأخرى لملاحقة الملك ومحاصرته بذكـاء وبمهارة دون أن يبدى له تلهفه وتشوقه لرغبته فى بناء جـسور المودة والصداقة معه. الأمـر الذى دفع الملك لاستدعائه كلما رآه فى مكان عام فى مدينة أسوان للتحدث معه وسماع رأيه ظناً من الملك أن اللقاء جاء على سـبيل المصادفة، ولم يكن بترتيب وإعداد وتجـهيز من كريم ثابت.

* * * *

صحيح أن الـبعض قد صب جام غضـبه على شخص كريم ثابـت بوصفه رمزاً للنفاق والتـدليس والتزلف وتضخيم وتأليه ذات الملك وتقـديسه من خلال مقالاته الشهيرة حول شخصية فاروق العبقرية التى نشرها كريم بعناوين مختلفة

كانت تنضح بأبشـع صور المداهنة فى صدر صـفحات جـريدة المقطم التى كان يعمل بهـا آنذاك، وقد خلع على الملك أوصـافا من عيـنة. الديمقراطى الأول، المؤمن الأول، الوطنى الأول، الرياضى الأول، الإنسـان الأول، العالم الأول، المحسن الأول، الفارس الأول، السباح الأول، الطيار الأول، القبطان الأول.

وغيـر ذلك من الأوصاف والألقاب التـى صاغهـا كريم ثابت، والواقع أن كريما كان اسماً على مسمى حـيث أغدق على الملك بصفات وسمات لو صدق فى واحدة منها لتغيّر وجه الحياة فى مـصر أثناء عهد فاروق ولكنى وبصراحة لا أستطيع أن أشير بأصابع الاتهام كمـا أشار البعض صوب كريم ثابت فى تلميع صورة الملك وتجـميع مـزايا ما أنزل الله بهـا من سلطان على جلالتـه، بل كان الملك معروفاً بين الجـميع أنه جبان وبخيل ولم يستطع استكمـال تعليمه، وكان يضيق بالنقـد ونافد الصبر، وكان رياضـياً بارعاً على موائد القـمار فقط، ولم يكن يصلى سوى فى المناسـبات الدينية حتى أن بعض أصدقـائه أكدوا أنه كان يتوجه من مائـدة القمار داخل نادى السيارات إلى مسـجد الرفاعى لأداء صلاة العيد بعد استـدعاء البدلة الرسمية لارتدائها لأداء الصلاة أمام الجـماهير بوصفه الملك الصالح والملك المؤمن.

الشاهد أننى كمـا أشرت لا أميل إلى توجيه أصـابع الاتهام إلى كريم ثابت وحده خـاصة فيـما يتعلق بأرائه ومـقالاته ومدحـه ونفاقه الرخـيص حيث من المتعذر على رجل لبنانى الأصل ومن أبرز وأشهر العائلات المسيحية فى لبنان أن يرفع راية المصارحة والمكاشفة والشفافيـة لملك بلاد لا يعتز بالانتماء إليها حيث نوه أكثر من مرة فى مـذكراته بأصالته اللبنانية العريقـة، وهو رأى ينبغى تقديره واحـترامـه بينمـا عكس ذلك يعـد فى مـخيلتى ضـروباً من ضـروب الأوهام والمستحيلات.

والمعنى من وراء هذا الطرح أننى لا أريد أن أتحامل على كريم ثابت المهاجر الغريب إنما اللوم كل اللوم على رموزنا الثقافية والأدبية والتنويرية التى أسست مدارس لا تزال تلاميذها ينهلون من منابعها وآبارها حتى الآن.

ثم من هذا الرجل الذى يدعى كريم ثابت، وما هى مشروعاته الثقافية والحضارية والأدبية حتى نقف جميعاً أمامه ونكيل له الذم والشتائم ثم نغض الطرف عن أساطين الكلمة وقلاع العلم والأدب فى مصر لمجرد أننا نحمل لهم إعجاباً وإحتراماً لما قدموه. صحيح أنه لا ينبغى أن نهيل التراب على كل أعمالهم المتميزة وإبداعاتهم الرفيعة أو ندين تاريخهم ونشوه تراثهم، لكننا يجب أن نقف أمام بعض سلبياتهم وأخطائهم لنتساءل كيف ولماذا ولمصلحة من؟.

وحتى لا أطيل فى تلك المقدمة فإننى بصراحة أقصد فحول الشعر والأدب والصحافة فى زمن فاروق الذين نفخوا ذاته من روح أقلامهم ومدادها العفن حتى تكور الرجل وترهلت ذاته ظناً منه أنه طراز فريد يندر وجوده، وعلى سبيل المثال لا الحصر إذا تأملنا بعض ما ورد فى كتابات الأستاذ العظيم عباس محمود العقاد حول فاروق لتأكد لدى كل منا أن كريم ثابت ذلك الشخص المتواضع برىء براءة الذئب، ربما يدفعك ذلك للدهشة حين تتأمل عبارة الأستاذ العقاد النارية التى ألقى بها فى مجلس النواب وتعرض بسببها للسجن تسعة أشهر بتهمة العيب فى الذات الملكية، وقد كان المقصود بتلك الذات الملك فؤاد الذى قصده العقاد، بعبارته الشهيرة «ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد لأن يسحق أكبر رأس فى البلاد لصيانة الدستور وحمايته» أكرر قد تتملك المرء الدهشة من قائل تلك العبارة الجريئة أنه هو نفسه الذى صاغ قصائد المديح والإطراء لشخص فاروق، ثم سرعان ما دك حصونه الهاوية بنيران مدفعيته بعد رحيله عن البلاد، وبعد اندلاع ثورة الضباط الأحرار.

ولكن ما صاغه العقاد فى شخص الملك فـاروق يستحق وقفة جادة ورصينة خاصة أن العقـاد قلعة من قلاع الكلمة العربية المعـاصرة ورمز من رموز الأدب وعامود من أعمـدة السياسة ومدرسة أفرخت أجيـالاً من النوابغ لا تنتهى حتى الآن، ومن ثم يحار المرء حين تقع عـيناه على مثل هذه الكتابات التى صـاغها وخطها ورسمـها قلم الأستاذ العقـاد ومنها مثلاً «من نصر الملك (فـاروق) فقد نصر الحق ونصـر الأمة ومن تولى فعلـيه لعنة الحق ولعنة الأمة»!! و(عـلامات التعجب من عندى طبعاً»[1].

وهى عبـارة أذهلت خصـوم العقـاد قبل عـشاق قلمـه وتلاميـذه وأنصاره ومحبيه ،ومن الأسف أن مدح العقاد لا يتوقف على تلك العبارة البليغة والمريبة التى كان ينبغـى على العقاد أن يتفوه بهـا خاصة إذا كان المقـصود بها ملك من ملوك الدنيا وزينتها ومباهجها وطواغيتـها، وكأن العقاد كان على أعتاب عبقرية جديدة يصـوغ حروفها من شـخصية فـاروق تضاف إلى عبقـرياته الخالدة التى رسـمـها بريشـة فنان مـبـدع عن النبى الكريم - صلـوات الله وسلامـه عليـه وصحابته- ولكنها أحمد ما تكون عندمـا تثار حرب الطبقات كما تثار اليوم بين أرجاء العـالم على ألسنة طلاب الفتنة ودعاة الوقـيعة فلا تنهض لهـؤلاء الدعاة حـجة حـيث يتصل الـنسب من العرش إلى بيـوت رعـاياه، ومن هذا العنوان السـاطع تسرى القدوة الحكيمة إلى صفحـات الكتاب كله فلا تدع فيه بمشيئة الله حاجزاً بين طبقة وطبقة ولا بين عامل وعامل فيما يستحقون. .

قد يندهش القارئ من علامات التعجب والاسـتغراب التى وضعتها بجانب عام ١٩٥١، والحـقيقة أننى لـم أضـعها اعتـباطاً أو إفراطاً شأن أصـحاب القلم الذين يضعونها فى غير موضعها فى أغلب الأحيان.

(١) أوراق العمر سنوات التكوين للدكتور لويس عوض ص٤٨٦ مكتبة مدبولى.

لكننى عندما أشير بعلامة التعجب إلى عام ١٩٥١، فهو يعنى عندى نفى حجة مداحين الملك الذين تراجعوا بعد ثورة الضباط والعسكر متذرعين بأنهم كانوا مأخوذين ومبهورين بشخصية الملك فى مقتبل سنوات حكمه حيث كان نقياً تقياً طاهراً عفيفاً كريماً ودوداً كما زعموا وادعوا، ومن ثم فإن عام ١٩٥١ وإصرار الاستاذ العقاد وغيره من الشوامخ على مدح الملك فهو يبرهن على أن افتتان هؤلاء بفاروق وشخصيته وسلوكياته لم يكن مقتصراً على سنوات حكم فاروق الأول، بل إن شئت الدقة امتد إلى نهاية حكمه.

دعك من مزاعم تلاميذ الأستاذ العقاد وإدعائهم أنه كان مضطراً إلى أن يقول ما قاله لأنه أصبح مرتبطاً بالحزب السعدى الذى كان يعتمد كل الاعتماد على الملك فاروق والقصر الملكى، وقد تعرض العقاد لكثير من اللوم بسبب مدحه للملك فاروق وهو لوم فى موضعه خاصة وأن العقاد صاحب تاريخ وطنى عظيم وكان الأمل من ألا يسقط فى بعض ما كتبه، والذى يصفه البعض بأنه ليس سوى نوع من أدب النفاق لا أكثر ولا أقل[1].

والغريب أن قلم العقاد لم يكتفِ بمدح الملك فاروق نثراً، بل أصر على أن يطريه ويطريه شعراً حيث أصدر ديوانه الشهير «بعد الأعاصير» عام ١٩٤٧ أى بعد مرور أكثر من عشر سنوات من حكم فاوق، وقد كتب يقول عن فاروق وضمير القصيدة عائد إلى مصر:

وما اتخذت غير فاروقها ... عمادا يحاط وركنا يؤم

ولا عرفت مثله فى العلا ... صديقا يشاركها فى القسم

فدته البلاد وفدى البلاد ... بعالى التراث وغالى القيم

* * * *

(١) العقاد يمدح الملك فاروق مقال منشور للأستاذ الناقد الأدبى رجاء النقاش ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٦.

هل يتحـمل كريم ثابت الصحفى اللبنـانى تكبير وتضخـيم وتلميع وتزويق وتجميل وتحسين وترميم صورة لوحـة فاروق، وقد كان صاحب قلم متواضع لا يجذب إليـه أحدا ولم يتـتلمذ على يديه كـائناً من كان كـما لم يكن فى قـامة العقاد وإن وقف على ربوة أعلى جبـال الدنيا، ولـم يكن فى مكانته وإن رافق ملوكها وأباطرتها.

أما أغرب مـا فى هذه المسألة أن الأستـاذ العقاد قد استـاء من فاروق الذى حـجب عنه لقب الباكـوية والباشـوية التى أنعم بهـما على أناس كـثيـرين لا يستحقون أياً منهما ،خاصـة الذين شنوا هجوماً عنيفاً على حزب الوفد إرضاء للملك، ولأن العقاد كان رأس مهاجمى حـزب الوفد فقد انتظر طويلاً الحصول على هذه الرتبة ، بيـد أنه أدرك أن الملك لن يمنحه إياها حيث لم ينسَ جـلالته إساءة الأستاذ العقاد لوالده الملك فؤاد الأمر الذى أثار غضبه وحنقه وحفيظته.

ومما يزيد من الدهشة فى أمر الأستاذ العقاد هو هجومه العنيف والحاد على الملك فاروق بعد رحيله عن مصر حـيث كتب مقالاً مطولاً تحت عنوان (الجيش والقائد)، والذى أعاد العقاد نشره ضمن سلسلة مقالات فى كتابه «دراسات فى المذاهب الأدبية والاجتماعـية» صفحة ٢٤٢، وقد ورد فيه [لا نعـتقد أن فاروقاً كان يعقل أن يضع لنفسه سياسة يحمى بها عرشه ويوطد دعائم ملكه، ولكننى أرجح أنه تلقى من أبيه الملك فؤاد وصيه مكتـوبة أو محفوظة تلخص له قواعد السياسة التى اعتمد عليها لحـماية العرش وتوطيد دعائم الملك، ومنها الاحتفاظ بولاء الجيش وولاء الأزهر، وقد كان أبوه يحاول الاحتفاظ بولائهما ما وسعه، ولم يكن وسعه بالقليل]. ويضيف الاستاذ العقـاد فى مقاله المثير: [وإن كان ما فهمه فاروق من الاحتفاظ بولاء الجيش وولاء الأزهر أن يفرض على كل منهما أعواناً وأذناباً يخـدمونه ويخدمون مـصالحهم فى وقت واحد. ومـا زال الجهل

بفاروق حـتى أصبح أذنابـه وأعدائه حمى لـه من الجيش، وهم أعـجز من أن يحمـوا أنفسـهم لو لم يعتمـدوا على الملك، وقد وصل إلى هـذا الموقف قبل حرب ١٩٤٨ فلما تكشفت تلك الحرب عـن فضائح السلاح لم يبق فى الجيش المصرى ضابط ولا جندى يضمـر الولاء للملك المجرم الذى بلغت به الوضاعة -والعياذ بالله - أن يتاجر بأرواح جنوده وهم فى ساحة القتال](١).

ثم يتطرق الأستاذ العقاد إلى تشخـيص فاروق النفسى حيث يقول فى نفس المقال: «أكثر الذين يقرءون الدراسات النفسية من غير الأطباء - ونحن منهم - يطبـقون ما قـرءوه على أخبـاره وأطواره فيـجدون أنهـا تنطبق تارة على جنون القسوة «سـاذرم» وتنطبق تارات على جنون السرقة «كليتـومانيا» وتنطبق تارات على جنون الشـهوة «ساتيـر سيـز» ولا تعوزهم الأدلة على أى نوعـية من هذه الأنواع فى شخصية فاروق».

ثم يستطرد قائلاً أقصد محللاً وشـارحاً ومفسراً :«إن المرض الأصيل الذى غلب على طبيعة فـاروق فيما نعلم هو «التوقف عن النمو» وتتـفرع عليه حالة تسمى بـحالة التشـبث، وقد كـانت هذه الحالة ظاهرة الأعـراض على فاروق، وتوقف النمو هذا هـو مرض متعـدد المقاييس، ومن أشـد آفات هذا المرض أن يكبر الرجل ولا يزال شعـوره نحو أبيه - خاصة- هو شـعور الطفل نحو الأب الذى يعوله ولا يقـوى على فراقه ومما لا شك فيـه أن فاروقا كان مصـاباً بهذه الآفة على أشدها، وكانت غرابته كلها تدور عليـها فقلما حدث حادث سياسى إلا ذكر فيه أباه، وقلما تكلم عن مشروع إلا أشـار فيه إلى رغبات أبيه، وقلما عرضت مناسبـة إلا ذهب فيها لزيارة ضريحه وبكى عنده أو تبـاكى بعد الوفاة بسنين، وهذه الآفـة أى آفة توقف النمو من شـأنها دائمـاً أن تشعر صـاحبـها

(١) يقصد ما أثير وقتئذ عن صفقة الأسلحة الفاسدة الشهيرة.

بقصوره وتحرك فى نفسه «عقدة النقص» التى تدفعه إلى إظهار القوة وإظهار القسوة والشك فى كل أحد، وآفة توقف النمو تقترن بدوافع كدوافع الطفولة التى تحب أن تضم كل شىء إلى حوزتها علانية أو خلسة دون أن تشعر بغرابة عملها، وفى هذا تفسير لقسوة فاروق كما أنه يفسر لنا ولعه بالاستيلاء على كل ما يراه» وفى نهاية تحليله النفسى لشخصية فاروق يقول الأستاذ العقاد:

«من كان ملكاً يصنع ما يروقه ويأبى أن يحاسب نفسه ويتعالى أن يحاسبه غيره أو يستمع إلى ثناء الذين يتملقونه وينفر من نصيحة المخلصين فقد أطبق عليه البلاء وامتنعت عليه سبل النجاة».

بل إن الأستاذ العقاد راح يشيد ويحتفى بالثورة الوليدة بعد مرور حوالى شهر ونصف فقط من اندلاعها حيث نشر قصيدة شعرية فى جريدة الأخبار بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٥٢، وقد أعاد أستاذنا الناقد الكبير رجاء النقاش نشر بعض أبياتها فى جريدة الأهرام بتاريخ ١١ مارس ٢٠٠٦:

يا مصر يا بنت الخلود	يا معقل المجد التليد
أين الذين جذوك	جارية الخيانة والكنود[1]
من كل مسخ هازل	فى زى جبار عنيد

ثم يقول أيضاً فى ختام أبيات القصيدة مخاطباً ثوار يوليو:

يا صحبة التوفيق وفقتم	إلى النهج السديد
حييتم النيل المبارك	واحتفيتم بالصعيد
فى كل عام تحتفون	بمولد اليوم الجديد
لا راغم[2] فيه يساد	وكل من فيه يسود

(١) الكفر.

(٢) المظلوم.

لم يقتصر الأمـر على أستاذنا العقاد فقط، بل هناك كوكبـة صاغت قصائد المدح لفاروق وبعد ذلك الذبح لكريم ثابت وكأنه هو المسؤول الأوحد عن إفساد وتضليل فاروق.

ورغم أن كريم ثابت كان قزماً بقلمه بين عمالقة الكلمة والقلم فقد بدا بعد رحيل فاروق وكـأنه عملاق يأمر فيطاع وكـأنه هو صاحب القلم الأوحد الذى أوهم فاروقا وأفسده بينما الحقيـقة تلاحق وتطارد رموزنا الذين تعمـدوا إخفاء قصائدهم الهزلية فـيما بعد خوفاً من مساءلة التاريخ أو محـاكمة الثوار، لكنها الحقيقة مـهما حاول البعض إخفاءها فلن تظل فى زوايا النسـيان بل سرعان ما ستطل بوجهها لتكشف ما خفى وتستر عليه البعض.

على سبـيل المثال أيضاً راح الدكتـور طه حسين أحد أبرز وأشهـر وأضخم فحول الأدب العربى يعطى من طرف لسانه حلاوة للملك أملاً وطمعاً، خاصة وأن المناصب كان يستـحوذ عليها من ربطتـهم علاقة طيبة بـالسرايا ونالوا رضا رجالها ،وقـد ظن القصر الملكى أن طه حسين من خصـومه وأعدائه، ومن ثم أبى الموافقـة على ترشيحـه وزيراً فى حكومة مصطفى باشـا النحاس التى تولى تشكيلها عام ١٩٥٠، وقد أصر النحاس من جانبه على ترشيحه وفى أثناء زيارة الملك فاروق لافـتتـاح معهـد علوم الصحـراء فى تلك الأثناء انتهـز طه حسين الفرصة وأصـر على إلقاء خطاب يحتفى بقدوم الملك، وقـد ألقى بعبارة أثارت ضده عـاصفة من الغضـب والاحتجاج والتـذمر حيث جـاء فيها كـما أوردها الدكتور حسين مؤنس فى كتابه «باشوات وسوبر باشوات» صفحة ٤٨ :

«وأنت يا مولاى المثل الأعلى فى الأخـلاق»!! وبالطبع علامات التـعجب من عندى حـيث لم يكن منتظراً أن يقول أديب تربى وتعلم فـى صحن الأزهر وأضحى فارساً من فرسان الأدب أن يلهـث وراء منصب وزارى بعبارة فاضحة

كتلك التى ألـقاها أمام الملك طمـعاً فى كسـب مودته ورضاه، وهو مـا حدث بالفعل حـتى أصدر القصر مـرسومه بالموافقـة على تعيينه وزيراً للمـعارف عام ١٩٥١!!

بل إن الزعيم الشعبى المحبوب فى أثناء عـهد فاروق ومن قبله فؤاد قد دبج هو الآخر بقلمه مـقالات تشيد بعبقـرية فاروق رغم العداء الظاهر والعلنى بين فاروق والوفـد وهذا نص مقال خطه النحـاس باشا لتهنئـة فاروق بمناسبة عـيد جلوسه على العرش وزواجـه فى نفس اليوم من ناريمان صادق لنتأمل مـعاً ماذا قال عـدو القصر اللدود فى مايو ١٩٥١ أى قـبل نهاية حكم فاروق بنحـو عام وبعد أن مضى على تربعه على العرش حوالى خمسة عشر عاماً بالتمام والكمال تجلت خلالها شخصية فاروق.

على أية حال دعونا نتأمل كلمات التـهنئة التى بعث بها النحاس إلى الملك عبر مجلة الهلال فى عدد مايو (٩٥). نص المقال:

«فكرة موفقة تلك التى هدت دار الهلال إلى إصدار عدد خاص من المصور فى أسعد منـاسبة وأجمل عيـد وأية مناسبة تستـحق التسجيل والذكـر من عيد جلوس الفاروق -أعـز الله به الوطن - على عرش آبائه الذين كـان لهم قصب السبق فى إنشـاء مصر الحديثة وجـعلها بلداً فى مصاف البـلاد التى أخذت من الحـضارة والمدنيـة بنصـيب.. بل أى عـيد يجب علـى أبناء وادى النيل وأبناء العروبة اللذين يعرفون للفاروق فضله عليهم أجـمعين وأن ينقشوه فى صفحات قلوبهم من جلوس مليكهم المحبوب وراعيهم العزيز الفاروق الذى يطلع عليهم هذا العام عيدين مزدوجين وبشارتين سعيدتين.

أجل طلع على أبناء وادى النيل عيد جلوس مليكهم المفدى ومعه عيد زفافه المبارك فكانت الفـرحة فرحـتين والغبطة غـبطتين بما أفاء الله على عاهل مـصر

المحبوب من حسن التوفيق وسداد الاتجاه والرغبة فى العمل الصالح التى لازمته منذ نشأته.

ومن حق الصحافة التى نعمت بفضل الفاروق السابغ وترعرعت فى عهده الزاهر، ونال أبناؤها - على اختلافهم - من تقدير جلالته وبره خير عميم.

من حق الصحافة أن يكون اغتباطها بأعياد الفاروق شاملاً ومساهمتها فى الإشادة بمآثر الفاروق فى عيد جلوسه السعيد وعيد زفافه الميمون تنم عن عرفان بالجميل وترجمة صادقة عن شعور أبناء وادى النيل.

وإذا كان لى من كلمة أوجهها إلى الشعب المصرى الكريم فى هذه المناسبة السعيدة فهى أن يتخذ من الاحتفال بها فرصة ينتهزها لينال رضا الفاروق وألا تلهيه أفراحه ومسراته عن أن يعرف واجبه ويؤديه على أكمل الوجوه فإن فاروقا ليسعده دائماً أن يرى أبناء شعبه الأوفياء، أعرف الناس لواجبهم وأحرصهم على أدائه فى إقبال وإخلاص، فليكن لنا بالفاروق أسوة حسنة، ولنجعل من أفراحنا طريقاً إلى الاستمساك بالفضائل والتحلى بالأخلاق الكريمة، والتفانى فى حب وطننا والمحافظة على حقوقه، وتطهير القلوب والنفوس من كل أثره وتوجيهها الوجهة الصالحة إلى خير الوطن والمواطنين.

جعل الله أيام الفاروق كلها أعياداً ومواسم، وحقق لجلالته ما يبتغيه من حياة ناعمة هانئة، وكتب لشعبه الوفى ولأبناء العروبة والشعوب الشقيقة فى عهده المشرق.. حياة العزة والكرامة والحرية والاستقلال ومكن البلاد المغلوبة على أمرها من أن تحطم أغلالها، وتنعم بحياة الحرية والاستقرار».

انتهى نص مقال التهنئة التى بعث به مصطفى النحاس باشا زعيم الأمة، وهو نص لا يختلف كثيراً عما كان يكتبه ويدبجه ويصوغه كريم ثابت، ولكن حين يتغنى كريم ويصدح بأنشودة فاروقية فلا لوم عليه حيث لا ينتظر منه سوى

أداء هذا الدور، أما أن تـأتى تلك الكلمات الناعـمة الطرية الرقـيقـة من زعيم الأمة الذى كـثيـراً ما لوح حـزبه (الوفد) بعـدائه للقصـر والملك ،ثم تتـسرب الكلمات من بين أنامله كقطعة مـوسيقية ساحرة، وبعدها نشـير بأصابع الاتهام والتأنيب لكريم ثابت فهذا فى تقديرى ما لا يستقيم مع العقل أو المنطق والحيدة والعدالة.

على أية حال تأمل أيضاً ماذا كتب الدكـتور حسين هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين وصـاحب المؤلفات الإسلامية والأدبية العظيـمة حيث يقول بالنص :[من حق الشعب أن يغتبط وأن يرجـو ويضرع إلى الله أن يسعد مليكه وتسعـد الأمة بسـعادته. ويتمنى المصـريون جمـيعاً أن يشـمل الله وطنهم بعين رعايته، وأن يمن على جـلالة الملك بولى عهد يسعـد به وادى النيل ويكون قرة عين لأبويه ولأهل الوادى جميعاً».

ومن جانبه راح شيخ الأزهر الإمـام الأكبر فضيلة الشيخ عـبد المجيد سليم يهنئ الملك بقوله فى نفس عدد مجلة الهلال وهذا جزء من نص التهنئة:

«أهنئ فى شـخص جلالة الملك المسلم الذى يؤمن بأن الدين ركـن أساسى لحيـاة رغدة سـواء للفرد أو الجـماعة والدين فـى نظر جلالته لا يـهدى الناس فحسب إلى الطريق المستقيم فى السلوك فى هذه الحياة بل المصدر الوحيد أيضاً لاطمئنان النفس واطمئنان النفس هو المتعة والحياة».

بينما راح الأنبـا بوساب بطريرك الكرازة المرقسـية يقول فى نفس الصفـحة سوف نستعين أيضاً بفقرة موجزة: «إن القبط وهم من أخلص أبناء مصر لعرش الفاروق وللأسرة العلويـة لتهتز أعطافهم غـبطة، وتمتلئ قلوبهم استبشـاراً بعيد الجلوس السعيد وبالزفـاف الملكى الموفق، ويسألون المولى جل جلاله أن يجعله قراناً مقروناً باليمن مبشراً بأسـعد الثمرات عائداً على الأسرة الملكية وعلى الأمة المصرية بأغزر النعم وأوفر البركات».

أما الأستاذ فكرى أباظة كتب أيضاً يقول فى تهنئته للملك:

يسجل «يوم ٦ مايو» فى سجله السعيد تاريخين مثيرين هما: عيد الجلوس والزواج الملكى .عيد الجلوس يثير ذكريات خمسة عشر كلها أحداث وحوادث خارجية وداخلية مصرية وعربية ودولية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية أثبت فيها جلالة الملك أنه (المصرى الأول) الذى صمد للأحداث الجسيمة واجتاز الأزمات العديدة فى هذا الزمن الطويل ببراعة ووطنية وشجاعة وصبر وإيمان بالله وطيد».

وفى خطابه إلى الملك فاروق رداً على ممارسات حكومة النقراشي باشا العنيفة مع جماعة الإخوان المسلمين اختتم الأستاذ حسن البنا المرشد العام للجماعة قائلاً:

[يا صاحب الجلالة.. إن الإخوان المسلمين باسم شعب وادى النيل كله يلوذون بعرشكم، وهو خير ملاذ ،ويعوذون بعطفكم، وهو أفضل معاذ ملتمسين أن تتفضلوا جلالتكم بتوجيه الحكومة إلى نهج الصواب أو بإعفائها من أعباء الحكم ليقوم بها من هو أقدر على حملها، ولجلالتكم الرأى الأعلى نسأل الله أن يتم عليكم نعمة التأييد والتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. توقيع بخط اليد.. المخلص حسن البنا - المرشد العام للإخوان المسلمين][١].

ومن جانبه كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل الصحفى الكبير مقالاً مطولاً فى مجلة روزاليوسف فى عددها رقم ١٥٠ المنشور عام ١٩٤٤، وقد كان فى مقتبل العمر لكنه كتب بالطبع متأثراً برأى أساتذته ومبصراً بالطريق الناعم المرصوف للوصول إلى أهدافه بأقصى سرعة دون العبور على منحنيات أو المرور على مطبات من شأنها تعطيل مسيرته.. إنه هيكل، ولأنه هيكل عدو الملكية

(١) جريدة الفجر المصرية العدد رقم ٤٠ بتاريخ الإثنين ٦/ ٣/ ٢٠٠٦.

والرأسمالية والرجعية فلنتأمل معاً بعيون الحياد لنقرأ ماذا كتب مخاطباً مولاه الملك فاروق بمناسبة عيد جلوسه على العرش، وقد نشر المقال تحت عنوان:

[فى يوم عيدك يا مولاى]

«إننى أحب قيادة السفينة أثناء العاصفة.. ثمان سنوات وأنت تعمل لهذا الشعب وتخلص له، وهو يعمل معك ويخلص لك وستظلان معاً إلى الأبد»

[أى أن الملك فاروق كما يتمنى هيكل سيخلد على عرشه ولن يبارحه أبداً!!!].

ثم يقول فى فقرة أخرى عن إعجابه وانبهاره الشديد بجلالة الفاروق:

«هذه مصر كلها تحتفل بعيد ملكك مصر من أقصاها أفراداً وجماعات أحزاباً وهيئات، ولم تجد مصر ما تحيى به هذا العيد سوى الهتاف باسمك والدعاء لك فى نادى سعد زغلول طلب الحاضرون إلى طاهر باشا أن يقول لهم شيئاً فقال: إن أحسن ما أقوله ليعبر عن كل ما أحس به هو أن أهتف من القلب:

«يعيش جلالة الملك.. وردد الجميع الهتاف».

وفى احتفال الأحرار قام الأعضاء وراء هيكل باشا يهتفون باسمك ويدعون الله أن يسدد خطاك، وفى احتفال الكتلة كان الهتاف لجلالتك يشق عنان السماء بين كل دقيقة وأخرى.. لقد علمت مصر كيف تحبك من يوم أن تفتحت عينك على نور الدنيا، فلم تكن وأنت أمير طفل تترك فرصة لتظهر فيها عطفك على بنيها واعتزازك بها إلا أظهرتها، وكنت دائماً فى كل مكان تشعر بأنك المصرى الديمقراطى الأول، فكنت فى كل مكان خير رمز لمصر وأحسن عنوان لها، ولقد أخذ التفكير فى مصر كل وقتك وأخذت تعمل.. فى عيد ميلادك تركت قصرك وعاصمة ملكك وذهبت إلى الصعيد لتزور جزءاً من

شعـبك حلت به نكبة المرض، وقلت: إن أحـسن احتـفال بالعـيد هو أن ترى هؤلاء البؤساء ويروك.

ويمضى هيكل فى سـرد صور إعجـابه الشديد بجـلالته مسـتطرداً فى نفس المقال:

«ومنذ أشهر قـابلت الكولونيل بون رئيس جمعيـة الصليب الأحمر فكانت آخر كلماتك له «لا تدع أحدا يسىء إلى مـصر، وهكذا أخذت عليك مصر كل تفكيرك لأنك تحبها ومصر يا مـولاى تحبك.. ولقد قال لى ذات مرة أحد كبار الأجانب وهو المستر إيرل رئيس الإجيبشان جازيت - وكان فى صحبة جلالتك إلى بور سعـيد - قال إنه دهش لما رأى عشـرات الألوف من الفلاحين ينتظرون الساعات الطويلة تحت وهج الشـمس ينتظرون مرور الملك فى قطاره، وربما لم يروه وحـتى لو أتيحت لهم هذه الفـرصة فلن يدوم ذلك لأكـثر من جـزء من الثانية ثم قال إنه يتساءل عن قوة العاطفة التى تدفعهم إلى ذلك (ونحن أيضاً يا أستـاذ هيكل نستـحلفك بالله أن تقول لنا مـا سر هذه العاطفـة) وقلت له: إنه الحب. فقال: يا له من حب قوى».

ويضيف الأسـتاذ هيكل فى معـرض صوره ولوحاته التى تعـرض لنا ما لا نعرفه عن الملك فاروق حيث يقول: [ولم يكن المستر إيرل هو أول أجنبى دهش لروعة مظاهر الحب بينك وبين شعبك، وإنما كثـيرون شاركوه هذه الدهشة ولم يترك أحدهم فرصة للإعراب عن ذلك إلا أبداها.. وقـد قال لى المستر ليجول رئيس تحرير البورصى:

«إن مصر محقة أن تحب ملكها كل هذا الحب فهو جنتلمان حقيقى.. وقال مراسل مجلة لايف إنه شاهد ملوكاً ورؤساء كثـيرين تستقبلهم شعوبهم فلم ير أروع ولا عظم من استقـبال شعب مصر لملكها.. وأذكـر أننى سألت السيناتور

«ميد» أحد الشيوخ الأمريكان الذين زاروا مصر منذ عدة أشهر وكان قد تشرف بمقابلة جلالتكم ظهر اليوم نفسه - عن رأيه فيكم فقال: صدقنى يا بنى لقد رأيت ملوكاً كثيرين قبل ملككم، وقابلت عظماء كثيرين قبل أن أقابله، ولكنى لم أجد من أحدهم هذا الحب لبلاده الذى يبدو واضحاً خلال حديثه عنها كما هو الحال مع فاروق.

يستطرد هكيل قائلاً قبل: أن يختم مقاله الوثيقة: ولن أنسى أن أحد الضباط الأمريكان رآك يا مولاى فى إحدى الحفلات فلم يملك نفسه[1] وهتف «فليحفظ الله الملك» وبعدها قال لى هذا الضابط إنه لم يكن يتصور أنه سيأتى عليه يوم يهتف لأحد الملوك، وهو الذى ولد جمهورياً متعصباً وقال لى:

إننى لم أهتف حتى لروزفلت نفسه.. ولكن ملككم هذا رجل عظيم (معقول يا هيكل) ثم يختتم مقاله الغريب الذى يفوق فى أكاذيبه وخزعبلاته كل ما كتبه كريم ثابت قائلاً: يا مولاى.. هذه ثمان سنوات وأنت وهذا الشعب معاً تتقاسمان السراء والضراء وتسيران فى طريق الحياة بأزهارها وأشواكها، وستبقيان معاً إلى الأبد (يبدو أن هيكل قد تأثر بنشيد وهتاف ليحفظ الله الملك) لأن هناك رباطاً من الحب يوثق بينكما رباط من الحب الخالد].

انتهى مقال الأستاذ هيكل وهو بالطبع يتعارض مع ما كتبه فيما بعد خاصة فيما يتعلق بعهد الملك فاروق حيث صب جام غضبه ودك بمدفعيته عرش فاروق، لكن بعد رحيله بالطبع وعلى أية حال فمن شب على شىء شاب عليه، وهكذا كان هيكل يختلق ويبتكر ويخترع حكايات لا أساس لها من الصحة، ومن ثم فلا غرابة فيما يقول، وأما أهل الفن فحدث ولا حرج فقد تجاوز دورهم ما لعبه كريم ثابت وأمثاله حيث أنشدت أم كلثوم عدة قصائد من

(١) يقصد أن الرجل اتجنن بلوثة الفاروق!!

نظم شاعر الشباب والحب أحمد رامى وغنتها أمام الملك، وذلك فى حفلة الخميس ٢٩/ ٧ / ١٩٣٧ بسرايا عابدين وكانت بمناسبة تولى فاروق العرش رسمياً وهى من تلحين الموسيقار رياض السنباطى وقد أنشدت تقول:

جل من هناك بالملك السعيد	يا مليك النيل فى العصر الجديد
نعمة أسبغها الله على	عهدك الزاهى وواديك الرغيد

وقد داومت أم كلثوم على الغناء داخل سرايا عابدين فى مناسبات عديدة ومختلفة مثل عيد ميلاد فاروق، أو عيد ميلاد شقيقاته، أو والدته، أو بمناسبة عيد الجلوس الملكى، أو زواجه، وغير ذلك ومنها [الأنشودة الشهيرة التى غنتها عام ١٩٣٨ [جمعى يا مصر زهر الأمانى، وفى عام ١٩٣٩ مبروك على سموّك وسموّه ،وفى عام ١٩٤١ أنشدت عيد الدهر وفى عام ١٩٤٣ غنت يا مليكى، وفى عام ١٩٤٦ أنشدت مولد الفاروق.

وقد حدث أن كانت أم كلثوم تغنى أمام الجماهير فى ليلة الأحد ٢٤ سبتمبر ١٩٤٤ فى حديقة النادى الأهلى بالجزيرة، واستهلت أم كلثوم الحفلة بأغنية رق الحبيب، وأثناء اندماجها لاحظت أن أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى قد انصرف بعد أن همس أحدهم فى أذنه، ثم سرعان ما أعلن فكرى أباظة على الحاضرين أن جلالة الملك فاروق الأول حفظه الله سيشرف الحفل بعد دقائق، وحين أطل فاروق بطلعته البهية راحت أم كلثوم تغنى فى نشوة وطرب:

يا نيلنا ميتك سكر	وزرعك فى الغيطان نور
يعيش فاروق ويتهنى	وتحيى له ليالى العيد
والليلة عيد على الدنيا سعيد	عز وتمجيد لك يا مليكى[1]

(١) كتاب (حكام مصر) دار الهلال ٢٠٠٥.

وأمام الكرم الكلثومى لفاروق راح بدوره ينعم عليها بنيشان الكمال، وهو ما دفع الأستاذ الفنان الشهير محمد عبد الوهاب للتحرك السريع والفورى فى هذا الاتجاه ،ولتشتعل المنافسة بينه وبين أم كلثوم فى كسب رضا الملك وعطفه، ومن ثم ألقى محمد عبد الوهاب أغنيته الشهيرة التى كتبها صالح جودت باسم (أنشودة الشباب) وقد تضمنت بعض الأبيات الرائعة منها:

الليلة عيد الشباب	الليلة عيدك
دعانى داعى شبابك	قمت لبيتك
ونادى سحر جمالك	قمت حبيتك
من كتر غيرتى عليك	فى القلب خبيتك
وقلت لك يا فاروق	القلب دا بيتك

ومع الأسف فمثلما أخفق العقاد رغم مدائحه فى الحصول على لقب فشل محمد عبد الوهاب هو أيضاً وخرج من سباق النفاق صفر اليدين، بل إن أنور وجدى نفسه كلف الأستاذ الشاعر أحمد رامى بتأليف نشيد يحيى فيه جلالة الملك، وقد تولى مهمة تلحين النشيد الصاغ عبد الحميد عبد الرحمن، وقد غنى النشيد رجال القوات المسلحة فى سلاح الفرسان والمشاة والطيران والمدفعية[1] وقد تضمن نشيد عاش الملك الأبيات التالية:

فى ظل فاروق رفعنا العلما	رمز الولاء للمليك والوطن
أرواحنا فدى له والحمى	عزت به أيامنا على الزمن
يا من روينا روحنا من منهلك	تحيا لنا عاش الملك عاش الملك
فاروق يا حامى اللواء	تحيا على المدى معززاً مؤيداً
تحيا لنا عاش الملك عاش الملك	عاش الملك.....

(١) نفس المصدر السابق ص٣٤٢.

هذه بعض من مقالات وقصائد مدح ونفاق كانت تبثها رموز المجتمع آنذاك فى آذان فاروق فى أكبر عملية تضليل وخداع ونفاق وتدليس وتذلف لشاب حديث العهد، وكان ينبغى على تلك الشخصيات أن تتحلى معه بالصدق والثقة والأمانة والإخلاص لصالح هذه الأمة ولمصلحة هذا الشعب من خلال إرشاد ونصح هذا الشاب الذى عقدت الأمة آمالها عليه فتهاوت بمعاول هؤلاء الذين نافقوه وضللوه. ثم راح كل منهم يلقى باللائمة والمسؤولية على كاهل الصحفى كريم ثابت فى أكبر مؤامرة جماعية ضد فرد لم يكن بالفعل مسؤولاً مسؤولية مباشرة وكاملة، بل كان أحد هؤلاء وإن كنت أكاد أراه فى ذيل القائمة نظراً لقصر قامته إذا ما توسط هؤلاء العمالقة حتى وإن كان قد ظل ملازماً لفاروق كظله حيث كان من الممكن أن يتنبه فاروق ويستيقظ وينهض من غفوته وسكرته ونشوته ونزوته إذا صرخ هؤلاء فى وجهه وامتنعوا عن مداهنته وصارحوه وكاشفوه لو أن ذلك قد حدث لتلاشى كريم ثابت واختفى دوره ولم يعد ذا قيمة ، أما إن هؤلاء تنافسوا وتسابقوا وتناحروا فى تدبيج القصائد والمقالات لكسب رضا الملك فلا لوم إذن على غريب الديار أن يفعل به ما يشاء ويطربه كيفما شاء.

إن رموز الفن والأدب والسياسة والدين ساهموا جميعاً فى إفساد وتدليل وتضليل وتضخيم وتعظيم فاروقا، وهم يتحملون تلك المسؤولية ورحم الله هذا العربجى الذى كاشف فاروق بالحقيقة دون أن يدرى أنه ملك البلاد حيث كان فاروق يتهادى متخفياً على طرقات كورنيش الإسكندرية وأثناء ذلك قرر التنزه فى عربة حنطور وبالفعل استوقف أحد العربجية وطلب منه التنزه بمحاذاة الكورنيش وأثناء سير العربة الحنطور، وبينما كان فاروق متخفياً راح يسأل العربجى:

الملك: قل لى يا أسطى.

العربجى: أيوه.. يا بيه.

الملك: قل لى رأيك إيه فى الملك فؤاد الله يرحمه؟

العربجى: الله يرحمه.. كان ابن كلب ملعون!!

فاروق: (وقد علت الدهشة وجهه وشعر بالضيق وراح يتساءل) بقوله..

مفهوم.. مفهوم.. لكن ما رأيك في ابنه الملك فاروق؟

العربجى: أبداً.. ألعن منه.

وهنا وكما يقول أمين فهيم سكرتير فاروق الشخصى، وأمين خزانة أسراره إن هذه الواقعة التى جرت عام ١٩٤٦ قد نبهت الملك فاروقا إلى حقيقة الأمورّ وقد اعترف هو بذلك وأكد لأمين فهيم أنه أدرك أن وجوده في مصر لم يعد مرغوباً فيه وكان الأحرى بفاروق أن يتأمل عفوية العربجى وصدقيته التى سمعها بنفسه ويقرر مصيره، إما أن يرحل عن هفواته ونزواته وشهواته ورغباته ويلتفت لمصلحة الأمة، وإما أن يحمل عصاه ويرحل طواعية ودون ضغط أو إكراه.. رحم الله هذا العربجى الذى قال ما عجزت عنه أقلام العظماء أن يبلغوه لفاروق وسامح الله كريم ثابت الذى زين وجوه الباطل للملك مع غيره.

الغريب أن كريم ثابت أصدر مذكراته وقد بدا من خلالها للقارئ قديساً صالحاً لا يميل إلى لهو فاروق ولا يشاركه إسفافه وعبثه ومجونه، وقد واجه كريم ثابت اتهامات عدة حول حصوله على مصروفات سرية من القصر الملكى، وقد أكد البعض أيضاً أنه كان يملك ١٥٠ سهماً قبل تعيينه مستشاراً للملك، وأن هذه الأسهم قد زاد عددها إلى نحو ٤٢٥ سهماً فى أعقاب توليه

المنصب الجديد، وانطلقت أسهمه تتواصل فى بحور الزيادة حتى بلغت عام ١٩٥١ حوالى ٢٤٩٠ سهماً بقيمة إجمالية ١٧١٣٠ جنيهاً.

قام بتحويل أمواله خارج البلاد وقدرت عام ١٩٤٢ بحوالى ٢٢٤١٦ جنيهاً وقد أودع فى البنوك الداخلية ١٥٣٥٤ جنيهاً وقيل إن راتبه الشهرى من منصب المستشار وراتبه من جريدة المقطم بوصفه أحد ملاكها يتراوح بين ٢٠٠٠، ٢٥٠٠ جنيهاً شهرياً.

وأما زوجته السيدة هيلانة سركيس فقد كانت مولعة باقتناء الذهب والمجوهرات التى تتصف بالندرة، وهو ما كان يثير حفيظة وغيرة الملكة ناريمان صادق زوجة فاروق حتى إن فاروقا نفسه قد بدأ يشعر بالضيق من كريم وزوجته بسبب الصداع الذى كانت تسببه له ناريمان عقب كل لقاء يجمعها مع زوجة كريم ،ولم تكن ثروة هذه السيدة تقتصر على الحلى والأحجار الكريمة فقط، بل إنها كانت تملك باسمها نحو ثلاث عمارات وقصرا بالإسكندرية.

وإلى جانب العديد من الأسهم التى قاربت من المائة ألف جنيه!!

والحقيقة أن كريم كان مصاحباً للملك فى كل أسفاره ورحلاته ونزهاته وسهراته ،وكان يكتب له خطبه وكلماته ويلتقى معه بالملوك والرؤساء العرب والأجانب ويستمع إلى نصيحته ويحترمها.

* * * *

إليــاس أنـدراوس

كان يشغل منصب المستشار الاقـتصادى للملك فاروق، وأبرز رجال فاروق الذين ساهموا فى إفـساده وغوايته وتخريبه لاقتصاد الوطن وتبديده لثروات الأمة دون وازع أو ضمير.

فى مقتبل حياته شغـل منصب السكرتير الخاص لمستر بين بويد مدير الإدارة الأوربية بوزارة الداخلية المصرية، وفى أعقـاب تقاعد الرجل وانتقاله إلى رئاسة مجلس إدارة شركة «صباغى البيضا» ألحق إلياس أندراوس للعمل معه لإخلاصه وتفانيه فى المهام التى أوكلت إليه فى أثناء عمله معه فى الإدارة الأوربية.

ولأن إلياس أندراوس كان يتمتع بالذكاء والعـبقرية استطاع أن يشق طريقه ويرتقى سلم الدرجات العليا داخل الشركة بخطوات رشيقة وبديعة حتى أضحى أحد العناصر الهامة والمؤثرة والأساسية فى مجلس إدارة الشركة.

وكما حدث لأغلب الأجـانب المقيمين فى القاهرة وضواحيـها، فقد أطلق مسـتر بين سـاقه للريـح هرباً من القوات الألمانيـة التى أوشكت على احـتلال الإسكندرية، وهو ما دفعه لتـسليم إدارة الشركة لإلياس أندراوس، وذلك أثناء اندلاع معركة العلمين عام ١٩٤٢، ومع انتهـاء الحرب الضروس عاد مستر بين مـرة أخرى لاسـتلام الشـركة من إليـاس أندراوس الذى أبلى بلاءً حـسناً أثناء هروب مجلس الإدارة الإنجليـزى مما دفع مستر بين لتكريمه وتثـمين دوره البارز من خلال إسناد عضوية العديد من الشركات التابعة لمستر بين.

من خلال هذا المشوار الدرامى تمكن إلـياس أندراوس من ادخار ثروة طائلة أصبح بواسطتـها من أغنى رجال مصر، ولأنه كـان مدمناً شهيـراً لموائد القمار التقى عن طريقها بالملك الشاب القادم فاروق الأول وهو ما دعا إلياس أندراوس

لانتهاز تلك الفرصة التى هيّأتها له موائد القمار للتودد للملك والاقتراب منه حتى تمكن من الاستحواذ على مشاعره وعواطفه حتى أضحى نديمه وصديقه ورفيقه وظله إلى أن أصدر الملك فاروق من فرط إعجابه الشديد به قرارا بتعيينه مستشاراً اقتصادياً له.

كان أندراوس قوة دافعة لفاروق فى الانكباب على موائد القمار الخضراء، خاصة وأنه كان يخسر له عن عمد مع رهط من الشلة الفاسدة إمعاناً فى دفع فاروقا للتمسك بمزاولة تلك اللعبة كل ليلة حتى يتسنى لإلياس أندراوس الانفراد بالملك فى نهاية السهرة لتحقيق أغراضه ومآربه من خلال وساطته بين الشركات والمؤسسات التجارية والملك والحصول على عمولة وسمسرة التوسط بينهما حتى أصبح إلياس أندراوس مركز قوة داخل القصر الملكى تتودد إليه المؤسسات العملاقة أملاً فى اكتساب رضا الملك لتمرير صفقات غير مشروعة بمباركة ملكية بعيداً عن القوانين التي سنتها الدولة لمراقبة ومتابعة كافة الأنشطة.

ولعل هذا هو الذى أدى بقبول الملك رشوة قدرت آنذاك بنحو مليون جنيه مصرى تلقاها من رجل الصناعة أحمد باشا عبده مقابل موافقة فاروقا الملك على إقالة حكومة نجيب الهلالى باشا وهى الفضيحة التى فجرتها الصحافة وهزت عرش الملك وكادت تطيح به، وقد كانت يد إلياس أندراوس مخضبة بدمائها فى إشارة واضحة المعالم حول زواج الفساد الاقتصادى بالسياسة مما أدى باندفاع العرش إلى طريق الهاوية على عجل ودون روية.

وهكذا تحول الرجل بالليل وعلى مائدة القمار من أشهر لاعب مقامر على مائدة فاروق إلى أبرز خبير اقتصادى فى تاريخ القصور الملكية المصرية، وصار هو الرجل الأوحد فهامة السرايا وعقلها المدبر وصاحب خططها المستقبلية بينما الحقيقة أنه كان يغترف من كنوزها قبل نشوب حريق ثورة العسكر، وقبل أن

يسدل الستار على حقبة الملك الشاب الذى تأكـد للجميع أنه يتقدم بسرعة هائلة إلى الضياع.

وإذا كانت الملكة ناريمان قـد نشبت نار الغيـرة فى جسدها من زوجـة كريم ثابت، فما مـن شك أن نار الكراهية والاشمئـزاز قد التهمت قلبـها من إلياس أندراوس حيث أدركت أن للرجـل مخالب ومشـالب ينهش بها فى جـسد ثروة الوطن بينما فـاروق غارق فى ملذاته وموائده وشـهواته وسهـراته لا يكترث بما يمارسه إلـياس ومن هم على شـاكلته ،حتى أن هـناك أنباء تسربـت من خلال الصحف حول مشادة كـلامية حامية الوطيس جرت وقائعـها بين الملك وزوجته ناريمان أمام إليـاس أندراوس أدت إلى تهديد الملك ناريمان بتطليقـها إذا أصرت على مخاطبة إلياس أندراوس بما لا يتواءم مع منصبـه كمستشار للملك وصديق لزوجها وأخلص رجال حاشيته مما يبرهن على قوة نفوذه وشخصيته المبهرة التى أدت إلى استـعداد الملك للتصدى لمـمارسات زوجتـه حرصاً منه على صداقـته وحـفاظاً علـى كرامـته أمـام جـميـع رجال القـصـر الملكى، وهكذا ظل هذا الكاثوليكى الرومـى بالقرب من الملك فـاروق حـتى نهايـة عهـده وزوال ملكه وانقشاع نفوذه.

* * * *

مهندس العلاقات المحرمة
بـولـى

بولى أشهر وأبرز رجـال حاشية فاروق رغم جنسيتـه الإيطالية، وقد انضم إلى العـمل داخل القصـر الملكى فى فبـراير عام ١٩٢٢ أثناء حكم الملـك فؤاد بوصفه كهربائى القصور الملكية.

وفى أعقـاب وفاة الملك فؤاد الذى كان يهـوى الاستعانة بالعـمال والفنيين الإيطاليين فى قصوره وسراياته أصدر أحـمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى إعفاءه من مـهام عمله وطرده خارج القصـر والعودة إلى بلاده أو الارتحال إلى مدينة الإسكندرية التى كان يعمل بها ضمن الكثير من أبناء الجالية الإيطالية.

ومن خلال عـلاقاته المتـشابكة داخل القصـر راح بولى يتوسل لأصـحاب الحظوة والنفوذ فى محـاولات مستميـتة لبقائه داخل القـصر الملكى، وقد تمكن بعلاقـاته أن يبقى مرة أخرى وذلك من خـلال حصوله على موافـقة من الملك الشاب الذى أبى أن يتخلص من رجال والده امتثالاً لذكرى الملك الأب وتقديراً لاختياراته.

ولأن الملك فاروق كـان يقدر سياسة والده، ويشـعر نحوها بالامتـنان فقد اقترب رويداً رويداً من رجال القصـر الملكى من الإيطاليين على وجه الخصوص كما كان يفـعل والده من قبل وأمام هذه السياسة الفاروقـية الوديعة نحوه تسلل بولى إلى قلب فـاروق فى هدوء حتى أحـبه فاروق وأبـدى إعجابه الشـديد به حتى قربه الملك من حاشـيته، وأصبح شديد الثراء والنفوذ ومتـشعب العلاقات مع كافة الشخـصيات والرموز داخل القوى السيـاسية والاجتماعـية فى مصر، ولعل قوة نفوذه وانتهازيته واستـثماره للعلاقة التى ربطته بالملك فاروق هى التى

أيضاً زجت به كأحد أبرز المتهمين فى قضية الأسلحة الفاسدة التى حاقت بالقصر الملكى، وعلى رأسه فاروق الأول.

لقد اشتهر بولى بين الجميع بالقواد الذى يسهر على توفير عشيقات فاروق ومن يرغب فى التحدث إليها أى أنه كان مهندس العلاقات المحرمة لفاروق التى اعتقد أنها كانت لا تتجاوز حدود الكلام نظراً لقدرات فاروق وعجزه عن الوصول لمآربه.

* * * *

محمد حسن الشماشرجي

كان هذا الخادم المطيع يعمل في بواكير حياته مجرد ساعٍ في إحدى محلات محمد فرغلي باشا ملك الأقطان الشهير.

من اللافت للانتباه أن محمد حسن ذاك الخادم النوبي قد نافس كريم ثابت وإلياس إندراوس بل وأمين فهيم سكرتير الملك وكاتم أسراره في السيطرة على قلب وعقل الملك حتى استطاع وبدهائه ومكره وذكائه أن يحظى برضا الملك الشاب الذي أعجب به، وأشاد بأدائه وتفرده وقدرته على توفير مناخ يسوده الهدوء والراحة التي كان يلتمسها الملك ويتوق إليها ولم يكن محمد حسن سوى عبقري في تدبير وإعداد وتجهيز هذا الجو الذي يلائم مزاجه ويتوافق مع هوى الملك.

لم يكن غريباً إذن أن يرتقي الخادم النوبي أو الشماشرجي محمد حسن إلى أن ينعم عليه الملك الشاب بنوط الرضا الذهبي في منتصف عام ١٩٤٦، ثم تمكن من استلاب قلب الملك حتى منحه نيشان النيل، ولقد بلغ نفوذ محمد حسن الشماشرجي أن تولى التوقيع على الأوراق والمذكرات والبريد بدلاً من الملك في أبلغ صورة على تفشي الإهمال والاستخفاف والفساد والعبث داخل القصر الملكي بدعم ومباركة وموافقة من الملك فاروق الذي كان يمقت الاطلاع على الأوراق والمذكرات التي تتطلب تأشيرته الخاصة.

مضى محمد حسن في ممارسة دوره ونفوذه حتى أمسى البوابة الملكية للعبور إلى قلب الملك لمن أغدق عليه وأنعم بالمال والماس معاً.

كان وزراء الحكومات المصرية يتوددون إلى محمد حسن الشماشرجي، كما لو كان أمين عام القصور الملكية، والحقيقة أن نفوذ الرجل تجاوز نفوذ أمناء

القصـر حيث كان كـثيراً مـا يختلى بالملك فى غرفـته الخاصـة بوصفه خـادمه الشخصى الذى يتـيح له منصبه دخول غـرفة الملك ومجالستـه وإيقاظه وإعداد وتجـهيـز ملابســه وحمـامه كل صــبـاح، ومن ثم رأى الملك عارياً من نفـوذه وشمـوخه وكبـريائه فأصبح وهو الخـادم الخاص به يشتـهر بين الجمـيع بنفوذه وشموخه وكبريائه!!!

* * * *

سقوط فاروق

فى منتصف ليله الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ انطلق تنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر لإعادة الحياة إلى مصر، وإسدال الستار على الفساد الذى ساد البلاد، والظلم الذى تفشى، والمحسوبية التى استفحل خطرها فاختفى العدل، وعم الظلم، وبات الجميع ينشدون ساعة الخلاص التى دقت على أيدى الضباط الأحرار الذين عانوا وناضلوا واستبسلوا بغية إنهاء حقبة سوداء ألقت بظلالها الكئيبة على كافة نواحى الحياة.

كان فاروق لحظة اندلاع شرارة الثورة يقضى أوقاته وسهراته فى الإسكندرية حيث كانت درجة الحرارة فى أعلى معدلاتها المناخية، وكأنها تشير إلى غليان فى أعماق النفس المصرية.

وحين بلغ فاروق نبأ حركة الضباط الأحرار أحس بالخوف يتسلل إلى قلبه والرعب يكاد يفك مفاصله ويدغدغ أعصابه ليتجلى الطفل الذى ظهر فى ذروة حادث ٤ فبراير مما دعا السفير البريطانى أن يطلق عليه «العيل» فى إهانة ومهانة لم تكن مصر تستحقها بأية حال من الأحوال.

مضت الأمور على عجل حيث ذاع الضباط الأحرار البيان رقم واحد فى السادسة صباحاً بصوت الضابط محمد أنور السادات، وقد ورد فى البيان مطالب الحركة الانقلابية وضرورة الاستجابه لها تجنباً لإراقة الدماء والزج بالبلاد إلى أتون فوضى لا يستطيع أحد أن يعرف متى تنتهى.

وعلى الفور التف الشعب حول الحركة وساندها ودعمها بخروجه وتأييده لها أملاً فى حياة آمنة مستقرة بعيداً عما كان يجرى فى ظل ملك فاسد

وحكومـات لا تملك القدرة على قـياس نبض الشـعب المسكين وإدراك حاجـته واحتياجاته.

وفى تمام الساعة السادسة من مسـاء يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان الملك فاروق على موعد تاريخى لمغادرة مصـر على متن الباخرة المحروسة أو إن شئت الدقة المشـؤمة، فهى التى حـملت جده الخديو إسـماعيل إلى منفـاه فى إيطاليا أيضاً وها هو فاروق حفيد إسماعيل يواجه مصير جده مطروداً.

فى صبـاح نفس اليوم استدعى فـاروق قوات حرسه الخـاص وقادة بوليس القصور الملكيـة بغية الدفاع عنه إذا دعت الضرورة لذلك، تنفـيذاً لأوامر الملك اتخذ الحرس مواقعه الدفاعية لحمايه الملك والحفاظ على سلامته وسلامة أسرته.

فى تمام الساعة العاشرة صباحـاً توجه على ماهر باشا إلى قصر رأس التين حاملاً الإنذار التاريخى الذى وجهته حـركة الضباط الأحرار للتنازل عن العرش ومغـادرة البلاد إلى حـيث يريد على أن تتـحرك الباخـرة التى ستـقله فى تمام الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه.

كان الإنذار شديد اللهجة حاد العبارات، لا يحتمل التأويل كما لا يتضمن فى متنه حلول وسط ينفذ منهـا فاروق أو يتعلل أمامها، أو يماطل حـيالها وقد ورد كما يلى:

«من الفريق أركان حـرب محمد نجيب إلـى جلالة الملك فاروق الأول وإنه نظراً لما لاقتـه البلاد فى العهـد الأخير من فـوضى شاملة عمت جـميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو عرضه (استبدل على ماهر كرامته بدلاً من عرضه) ولقد ساءت سمـعه مصر بيـن شعوب العالم نتـيجة لتمـاديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخـونة والمرتشون يجدون فى ظلمكم الحـماية والأمان والثـراء الفاحش

والإسراف الماجن على حساب الشعب الجاهل (وتدخل على ماهر مرة أخرى واستبدل كلمة الجاهل بالجائع) اختتم الانذار بتلك العبارة وأحمل لجلالتكم وقد تغيرت على يد على ماهر إلى (والجيش يحمل لجلالتكم).

تسلم فاروق الإنذار العنيف، وبعد أن فرغ منه جال ببصره من حوله وهو يزم بشفتيه تارة ويضغط على أسنانه تارة أخرى، كأنه يتمنى أن ما يدور من حوله لا يعد سوى كابوس مزعج سرعان ما سينتهى ويستيقظ من سباته وغفوته ليسترد عرشه الذى يندفع بخطى سريعه نحو الاندثار.

وعاد ببصره إلى على ماهر الذى كان يرقب تلك اللحظات الدقيقة فى حياة مصر وملكها، وكأن فاروق يريد أن يستمع إلى آخر مشورة لعلى ماهر يلتمس طوقاً للنجاة والخروج سالماً من هذا المأزق.

وفهم على ماهر ما يريده الملك الذبيح، فتطوع قائلاً دون أن ينتظر سؤاله بقوله: إن من مصلحة جلالتك التنازل عن العرش، حيث أننى لا أستطيع أن أضمن لك حياتك. أما إذا أطلق حرسك رصاصة واحدة على جنود الجيش لا استطيع أن أتحمل مسؤولية سلامتك الشخصية . . هذا فضلاً عن أنك ستضيع العرش من ابنك إذا اتخذت جلالتك موقف المقاومة لرغبات الجيش، وعلى الفور أبدى الملك موافقته على رأى على ماهر باشا ودون أن يتريث أو يدبر أمره حيث قال فى أسى: إننى موافق على النزول على رغبة الجيش.

وظنى أن فاروق وافق على هذا النحو السريع ظناً منه أن النزول عن العرش ومغادرة البلاد إلى أى مكان أهون من أن يلقى حتفه على يد الجيش شأنه فى ذلك شأن الطواغيت الذين لفظوا أنفاسهم الأخيرة على يد الثوار.

خرج على ماهر تاركاً الملك غارقاً فى خيالاته وتصوراته وغموض مستقبله ومصيره المجهول لإعداد وثيقة التنازل عن العرش لتجنب البلاد ويلات صدام لا يحمد عقباه وضماناً لسلامة الملك وأسرته وحفاظاً على عرشه وثروته.

وبعد لحظات كان فاروق قد تجاذب خلالها أطراف الحديث مع رجاله وخلصائه عاد على ماهر باشا حاملاً فى يده وثيقة التنازل عن عرش المملكة واتجه إلى البهو الملكى، وبعد مرور نحو خمس عشرة دقيقة أذن لعلى ماهر بالدخول إلى جلالة الملك المعزول، وكان المشهد مؤثراً ومؤلماً ومؤسفاً وكئيباً، حيث خيم الحزن على القصر برمته، وقد وجد على ماهر باشا الملك يقف أمام منضدة مستديرة فى منتصف البهو، وقد استند عليها فاروق بيديه بعد أن أحنى جسده المترهل إلى الإمام مرتديا الزى الصيفى لأمير البحار، وقد تقدم سليمان حافظ من المنضدة وفى حركة عفوية ومعتادة أحنى رأسه تحية للملك وقد أبدى اعتذاراً رقيقاً على ارتدائه ملابس صيفية حتى بادره الملك بقوله: لا.. لا.. ياأخى.. مش وقته مش وقته، وبعدها أخرج سليمان حافظ وثيقة التنازل من مظروف كان بحوزته فناولها لفاروق وهو على انحناء وراح يقرأ سطورها بصوت عال مسموع، وبعد أن فرغ من قراءتها أخرج قلمه وذيلها بتوقيعه وإمضائه التاريخى، ثم بعدها أبدى رغبته فى اصطحاب بعض رجاله وعلى رأسهم بولى، وأن يتم توزيع ممتلكاته على أولاده بالتساوى، وقد انصرف سليمان حافظ بعد أن أخبره أنه سينقل لهم مطالبه ورغباته، واستوى فاروق على مقعد فى أحد أركان البهو بعد أن أخرج منديله ليجفف عرقه الغزير وفرائصه ترتعد وظنونه تتصارع وتتنازع فيما بينها.

وفجأة انتفض فاروق من مقعده حين ترامى لسمعه أزيز الطائرات، حيث هب ثائراً وقال لمن حوله من رجاله : إيه ده، هما الجماعة دول عاوزين أية حال تانى؟!! خلوا بالكم أحسن حد يعمل حاجة كده ولا كده، وعلى أيه حال نجيب ما يعملها سن لأنه راجل كويس.. لكن الجماعة اللى معاه...

بعد ذلك اتجه فاروق إلى قاعة الطعام لـتناول طعام الغذاء، وسرعان ما عاد مرة أخرى إلى مقـعده فى البهو فى انتظار اللواء عبـد الله النجومى لاصطحابه إلى مرفأ الباخرة المحروسة لمغـادرة البلاد، وأقبل اللواء النجومى ليرافق جلالته إلى الشاطىء وتهـادت خطوات الملك وبدت ثقيلة على أنـغام دقات ترومـبيطة وحيدة كـانت تصدر دقات تشبـه النغمات الجنائزية، ومن خلفـه الملكة ناريمان والأميـرات فريال وفوزية وفـادية، وخلفهم المربية البـريطانية تحمل ابنه الأمـير أحمد فؤاد .

وفى الساعـة السادسة إلا ربع ظل فاروق واقـفاً منتظراً قدوم اللواء مـحمد نجيب لتـوديعه، وهو يتلفت من حوله وكـأنه يودع القصر الوداع الأخيـر حيث بات رجوعه ضرباً من ضروب الخيال.

وحين صاح قائد الحرس صيحـته الزاعقة: «سلام الملك . . . سلام سلاح» انهمرت شلالات الدمع والـبكاء، وعلا النحيب بين الجميع فى مشـهد تهتز له المشاعر، وتقشعر منه الأبدان، ثم تظاهر فاروق بالثبات والشجاعة وراح يصافح السفير الأمـريكى وعلى ماهر، ثم تقدم ناحية اللنش الذى سـينقله إلى الباخرة المحروسة وقد صاح قائلاً:

أوعى حد يكون زيادة.

وانطلق اللنش يشق أمواج البحر، وقد رفع قبـعته، وحيا المودعين والدموع تنهمر من العيون.

وبعد دقائق وصل لنش آخر يحمل على متنه اللـواد محمد نجيب، وجمال سالم، وحسين الشـافعى، وإسماعيل فريد لتـوديع الملك، غير أن الملك رفض استقبالهم بعد أن لمح جمـال سالم يحمل عصا فى يده، وهو ما لا يتناسب مع حضـرة الملوك، مما حدا بالـسيد جـمال سـالم أن يمطره بوابل من سـبابه لولا

تدخل اللواء محمد نجيب الذى استقبله الملك على متن المحروسة، وقد نصحه بضرورة الحرص والحفاظ على البلاد، وتوخى الحذر من الضباط الذين شاركهم فى الثورة على عرشه وأسرته.

وانطلقت بعدها المحروسة صوب ميناء نابولى ليسدل الستار على حقبة تاريخية دقيقة ليخبو نجم الأسرة العلوية، ويحترق فى سماء ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

* * * *

العشاء الأخير وموت فاروق

عاش فاروق فى المنفى غارقاً فى ملذاته وأهوائه، مستقراً كعادته التى لازمته على موائد القمار الخضراء، يتلذذ بخسائره الفادحة ونفقاته الباهظة دون أن تهتز فى جسده شعرة على ملكه الذى ذهب، وعرشه الذى هوى، ولم يكن فى حاجة لأم تصب فى أذنيه جام غضبها، كما صنعت أم عبد الله آخر ملوك الأندلس حين اندثر ملكه، وأطاح مسيحيو أوربا بعرشه، وهو ما جعلها تصرخ فى وجهه على مرأى ومسمع من حاشيته التى سلبته عقله: «أبك ياعبد الله بكاء النساء على ملك لا يضيع من أيدى الرجال».

نعم لم يكن فاروق فى حاجة إلى ذلك فقد كان يعلم منذ حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ أن عرشه أضحى فى مهب الريح، وأنه قاب قوسين وربما أدنى من السقوط على أيدى أعدائه وخصومه، وما دام ذلك كذلك فما الجدوى من اعتزال حياة اللهو والعبث والخلاعة والمجون

عاش فاروق فى منفاه بروما بين الساقطات والغانيات والراقصات كصيد ثمين يسهل اصطياده ودفعه إلى الإنفاق على حياتهن من ثروته التى لا تنضب مهما أنفق منها، حيث قيل أنه كان فى أثناء وجوده فى المنفى يمتلك أكثر من ٢٠ مليون دولار، فضلاً عن ٢١٧ حقيبة وصندوق اكتظت بالمجوهرات والآثار والتحف النادرة الثمينة التى بددها وفقدها فى غربته.

كان فاروق منهمكاً فى علاقات غرامية ذاعت تفاصيلها فى صدر صفحات الجرائد الإيطالية فى حكايات لا تنتهى عن آخر ملوك مصر وحكام أسرة محمد على الكبير ،وقد كانت الغانية الشهيرة إيرما كابيتش أشهر من ارتبط بهن فاروق فى سنوات منفاه الإجبارى، وقد ترددت أنباء أنها كانت تعمل لحساب جهات استخباراتية وانها تقف وراء اغتياله نظراً لاختفائها المفاجىء ليلة اغتياله .

العشاء الاخير

كان فـاروق فى تلك الليلة المشؤمة يبـدو لناظريه مسـرور النفس، منشرح الصدر، يضحك من أعماق قلبه كمن لا يـحمل هموماً أو يشكو شجوناً شأنه شأن أى إنسان تتوافر لديه سبل السعادة وأدواتها وقد التفت النساء من حوله.

فى تلك الليلة التى جمـعته مع نساء جـميلات غابت عشـيقته أو مـحظيته إيرما بعد خـلاف عنيف دب بينهما فى الليلة الماضية وقد كـان ذلك من وجهة نظرها أثناء التحقيقـات سبباً كافياً لعدم حضورها ليلة اغـتياله!! وكعادة فاروق كانت مائـدته تمتلىء وتفيض بأشهى وأفخـر وألذ وأغلى وأبهى أنواع المأكولات التى كان فاروق يلتهمها بسرعته الفائقة التى كانت تثير دهشة المحيطين به .

وفى أثناء تناوله للـطعام فى تلك اللـيلة الأخيـرة رجع فـاروق فجـأة إلى الوراء، وفى التو أسرع نحـوه جرسونات المطعم الذين حملوه بصعـوبه لبدانته المفرطة وضـخامة جـسده المتـرهل، وقد استـوى على أريكة طويلة استـوعبت جسده القوى المتلىء باللحم والشحـم، ثم سرعان ما تخلصوا من رابطة عنقه ثم الحزام وبعده الحذاء فى ثوان معدودة.

كان أحد الزبائن جالساً بالقرب من هذا المشـهد المثير، وقد هرع إلى فاروق وأجرى له عـملية تنـفس صناعى بعد أن لاحظ أن وجـه فاروق قـد تحول من اللون الأحمر إلى الأزرق وسبـحان مغير الأحوال، وحـين تعذر على الحضور إنقـاذه من الأزمة الـطارئة التى ألمت به اسـتدعت إدارة المطعـم الاسعـاف التى حضـرت على عجل لتحمله وهو ينبـض بصعوبة متـمسكاً بالحياة التى وهبـها جاهه وعرشه وعمـره ،وسرعان ما لفظ أنفاسه الأخيـرة داخل سيارة الاسعاف ليفـارق الدنيا بأسرها بعـد حياة حـافلة بالأحداث التـاريخية والمواقف الهـزلية والتصرفات العبثية التى قضت عليه وعجلت بوفاته.

ومن خلال التحـقيقات التى أجراها البولـيس الإيطالى أكدت تقارير الطب الشرعى أن فـاروق مات إثر تعـرضه لذبحة صـدرية أردته صريعـاً فى الحال، ونفت تلك التقـارير وفاة فاروق مسـموماً، ومن ثم رفـضت السلطات تشريح جثته حيث أن علامات التسمم لم تظهر على وجهه كإحمرار العينين أو الشفتين أو غيـر ذلك من العـلامات الدالة على وجـود تسمم وراء الوفـاة، لقـد أشار الأطباء الإيطاليون إلى أن فـاروق الذى اشتهر بشراهتـه فى تناول الطعام، ومن ثم ترهل جسده وفاض بالشحوم والدهون قد أصيب بذبحة صدرية نتيجة تخمة جراء زيادة غـير مألـوفة فى الطعام الذى تناوله تـلك الليلة الشهيـرة ليسـتسلم صاغراً للملك الموت فى ١٨ مارس١٩٦٥ عن عمر يناهز ٤٥ عاماً و٢٠ يوماً.

فى ٢٠ مارس أقامت السطات الإيـطالية مراسم جنازة رسميـة لملك مصر السابق من خلال وضع جثمانه على إحدى العـربات الرسمية، وكان ابنه أحمد فؤاد يمشى خلف العربة والدموع تنهمر من عـينيه وهو يتأبط ذراع عمته الأميرة فوزية زوجـة شاه إيران محمـد رضا بهلوى، التى كانت تبكى بحـرارة فأثارت شفقة الحـضور ، بينما بدت زوجته ناريمان أكثـر صلابة وتماسكاً، ربما بسبب الأيام العصيبة واللحظات الكئيبة التى عاشتها معه.

وفى ٢٠ مـارس ١٩٦٥ وبناء على وصيـة الملك الراحل فاروق تقـرر نقل جثمانـه من دار حفظ الموتى بروما إلى أحدى الكنائس الصغيـرة لإجراء مراسم تشيـيع جنازته طبقاً للشـريعة الإسلامـية حيث كـانت روما تخلو آنذاك من أية مساجـد إسلامية علـى عكس ما هو حاصل الآن، ثم تنقل إلى مصـر لتوارى الثرى بجوار مدافن عائلة محمد على.

فى تلك الأثناء كانت وساطات واتصالات وتوسلات وتوصيات تجرى على عجل من روما إلـى القاهرة للتدخل لدى الرئيس جمـال عبد الناصر للمـوافقة

على نقل جثمانه من روما إلى القاهـرة لدفنه بجوار أبائه وأجداده، وبعد مساعٍ حثيثه وجهود مضنية وافق الرئيس جمال عبد الناصر على دفن الملك الراحل فى مـقابر الأسـرة العلوية بالقلعة، عـلى أن تتم فى إطار شديد من السـرية وفقـاً للشرط الذى طرحه جمال عبد الناصر.

وفى سـرية بالغة، وعلـى متن طائرة كومـيت تابعـة لشركـة الطيـران العربيـة (أصبحت الآن شركـة مصر للطيران) عاد جثمـان فاروق إلى مطار القاهرة ،ثم نقل سـراً على ظهر سـيارة حكومـية سـوداء بعد منتـصف الليل ومن خلفـها انطلقت عدة سيـارات حملت شقيقتـه الأميرة فوزية والأميرة فـائقة وعدد قليل طبقاً لتوجيـهات رئاسة الجمهورية ضم أقرب أقاربه من الأسـرة العلوية لتشييع جثمانه إلى مثواه الأخير.

صحيح أن هناك اتهامات عـديدة ثارت حال وفاة فاروق رددها البعض دون سند أو دليل على صـحة مزاعـمها، بيـد أن البوليس الإيطالى قـد حسم تلك الشائعات حين قـيد الوفاة نتيجة ذبحـة صدرية داهمت الملك السابق، ومن ثم برئت ساحة الرئيس جـمال عبد الناصر الذى لاحـقته الاتهامات من خـصومه وأعدائه بعـد أن أشار بعـضهم إلى ضلوع الضابط إبراهيـم بغدادى فى اغتـيال فاروق من خـلال دس السم له أثناء عمله جرسـوناً فى نفس المطعم الذى كان يتردد عليه فاروق كل ليلة.

وللإنصاف يبقى السؤال: إذا كان فاروق قد مات إثر تعرضه لذبحة صدرية طبقاً لتقارير الطب الشرعى الإيطالـى وتحريات البوليس الإيطالى فما الذى دعا إبراهيم بغـدادى أحد الضـباط الأحـرار إلى التـواجد فى هذا المطعم والعـمل بداخله جرسوناً مدفوعاً من صلاح نصر مدير المخابرات العامة آنذاك؟

على أية حال إذا كان إبـراهيم بغدادى قد نفى ضلوعه وتورطه فى اغـتيال فاروق فـسيبقى السـؤال الذى يلح على خاطرى بقـوة وبعنف: إذا كان إبراهيم بغدادى بريئاً من دماء فاروق فمـا هى إسهاماته التى عززت مكانته لدى الرئيس جمال عبد الناصر حتى يصدر قراراً بتعيينه محافظاً للمنوفية بعد عودته من روما عقب وفـاة فاروق، بل ورفـضه قبـول منصب سفـيراً لمصـر فى إحدى الدول الأجنبية علـماً بأنه كان يشغل منصب مـستشاراً للسفـارة المصرية فى واشنطن، ومستشاراً لوفد مصرفى الأمم المتحدة، قبل عمله جرسوناً فى المطعم الذى شهد ليالى فاروق وعشاءه الأخير؟

إذن هل مات فاروق مسموماً حقاً أم مدحوراً مهموماً بالذبحة؟

سيظل هذا السؤال الذى سبقنى إليه الكثير فى الظهور على المسرح السياسى ما لم تنكشف الحقائق التى تمت حراستـها بجيش من الأكاذيب وربما بحراسات من الصدق والموضوعيـة ؟ لكن متى ستعلن الحقيـقة؟ ومن الذى سيكشف هذا السر الدفين؟ رحم الله فاروق ،وغفر له ما تقدم من ذنبه فى حق أمته.

* * * *

ثروة الملك فاروق

تضاربت الأقـاويل والحقائق حول قـيمة ثروة الملك فـاروق، وإن كان هذا التضارب قد شهدته الصحـافة المصرية أثناء عهد والده الملك فؤاد، الذى ثارت من حوله الشائعات افإحداها رفعته إلى أغنى أغنياء العالم، وأخرى جعلت منه خامس أثرياء الأرضى دون أن يقف المواطن المصرى المسكين الـذى كان يتضور جوعا ويتلحف البرد عوزاً على حقيقة ثروة تلك الأسرة.

وفى أثناء مغادرة فاروق مصر مطروداً منها على أيدى عسكر يوليو ١٩٥٢م ترددت أقاويل أن الباخرة المحروسة التى سافر على متنها إلى نابولى حملت فى رحلتهـا أكثر من مائتى حـقيبة حملت العـديد من المجوهرات والعقـود الماسية والمقتنيـات والمصوغات النادرة، وإن كان رجـال الثورة أنفسهم قـد عجزوا عن معرفة ما فى داخل تلك الحقائب.

كانت ثروة فؤاد حـسب الميراث الشرعى تؤول بالطبع إلى فاروق وشقـيقاته فوزية وفـايزة وفائقة وفتـحية (فوقـية) وهى شقيـقة من الأميرة شـويكار، وقد استولى فاروق - طبقا لشريعـته هو - على أغلب ثروة أبيه مؤكدا للجنة الحصر أن والده قد اخـتصـه بكل التحف والقطع الأثرية المـوجودة بالقصـور بواسطة مرسومين ملكيين كانا قد صـدرا على يدالملك فؤاد قبل وفاته بتاريخ ٢٨ إبرايل ١٩٣٦ م، ومن ثم استـولى فاروق على كافـة المقتنيات النادرة الثـمينة دون أن يعارضه كأئنا من كـان، سواء من أفراد أسرته أو رجال حاشيـته أو من أعضاء البرلمان أو الحكومة، وكيف لهؤلاء أن يعارضـوه وقد كانوا يتلهفون على عطفه ويتطلعون التماساً لرضاه.

* * * *

تهريب أموال فاروق

صحـيح أن أحداً لا يسـتطيع حتـى الآن معرفـة أو تحديد الرقم الـذى قام فاروق بتهريبه خارج البلاد، بعد أن أشاروا عليه بأهمية تهريب ثروته وتكديسها فى البنوك الأوربيـة خاصة السـويسرية، وإن كان البـعض قد أكـد أن المبالغ لا تزيد على مليونى جنيـه، وإن كان (بوللى) قد أكد أن فاروق فى مـساء رحيله إلى إيطاليا حمل معه ما لا يقل عن مـائتى ألف جنيه كانت موجودة فى خزينة قصره برأس التين.

ولكن بعض المصادر الأجنبـية قدرت الأموال التى هربهـا فاروق بنحو ٢٥ مليـون دولار، أى بنـحـو ١٠ مـلايين جنيـه مـصـرى أنذاك. وأن التـحف والمجوهرات والمقتنيات النادرة بلغت نحو أربعين مليون جنيه مصرى.

* * * *

أثاثات قصور فاروق

كانت قصور فاروق واستراحاته تحتوى على أثاثات رائعة ونادرة لا مثيل لها فى العالم، وقد قدرها الخبراء والمثمنون فى أثناء مغادرته بما يلى:

١ - أثاث قصر الطاهرة، ويقدر بأكثر من ٢٠ ألف جنيه.

٢ - أثاث قصر البستان، ويقدر بأكثر من ١٠ آلاف جنيه.

٣ - المتحف الحربى بقصر عابدين.

٤ - ركن فاروق.

٥ - المتحف الزراعى.

٦ - مخزن الفضية.

٧ - تحف قصر عابدين.

٨ - حفائر قصر عابدين.

٩ - منزل بقصر الدوبارة.

١٠ - بركة صيد بدهشور.

١١ - بركة مجاورة لوادى الرشراش.

١٢ - بركة البرانى بالفيوم.

١٣ - بركة القرن الذهبى، على شاطئ فاروق وتضم استراحة فاخرة.

١٤ - بركة صيد بالتل الكبير.

١٥ - استراحة وادى الرشراش.

١٦ - استراحة الغردقة.

١٧ - استراحة رأس الحكمة.

١٨ - استراحة البحر.

١٩ - استراحة المعمورة

٢٠ - حمام سباحة.

الأطيان الزراعية

فى عدد المصور ٥ ديسمبر ١٩٥٢م تم نشر تركة الملك فاروق حيث تبين أن الملك كان يملك العديد من الأراضى، والتى قيل أنها بلغت نحو مائتى ألف فدان، وقد رصدت المصور منها ما يلى:

- ٦٣١٥ فدانا تفتيش أمير الصعيد.
- ٦٣١٤ فدانا تفتيش مريوط.

١٤٥ فدانا فى وقف الفاروقية، بنصيب $\frac{٢}{٧}$ من مقدار الوقف البالغ مقداره نحو ١٠٠٩ أفدنة أراضى فضاء للبناء وأخرى زراعية، فى نواحى الفيوم وكفر فاروق، وبرقاش، وأبو شوشة، ومنشاة رضوان، وأبو شوشة.

- ٤٩٨٠ فدانا تفتيش رأس الحكمة.
- ٢٥٣٧ فدانا تفتيش الزعفران.
- ١١٦ فدانا تفتيش الفاروقية.
- ٤٦٧ فدانا تفتيش المعمورة.
- ٢٢ فدانا تفتيش أبو رواش.

* * * *

إيرادات الملك فاروق

كان الملـك فاروق يحصل عـلى إيرادات مختـلفة المصادر والأنـواع، حتى استـعصى على الخبـراء حصر روافـدها وامداداتها ومـنها على سبـيل المثال لا الحصر:

١ - ٧٤٦٤ جنيها من وقف الخديوى إسماعيل فى ناحية إتاى البارود.

٢ - ٨٩٤٦ جنيها من وقف الأمير محمود حمدى بالحلوات.

٣ - ٨٣٤٨ جنيها بحق ٣ قراريط بوقف جميلة الخيرى.

٤ - ٢٣٥٦٢١ جنيها قيمة ١٠٪ من إيراد الأوقاف الملكية.

٥ - ٢٨٩٢٣٢ جنيها قيمة الريع السنوى للملك فاروق من الأوقاف.

٦ - ١٧٠٥٠ جنيها بحق قـيراطين من «فاضل» لوقف الخديوى إسـماعيل بناحية اتياى البارود.

٧ - ٣٢١٢ جنيها من وقف والدة جميلة الأهلى.

٨ - ٦٤٦ جنيها من وقف الأمير جمال.

٩ - ٤٥٣٥ جنيها من وقف والدة الأمير محمود حمدى بكفر الحمام.

١٠ - ١٤٧٧ جنيها من وقف بحق الريع فى وقف إسماعيل بحلوان.

١١ - ٣٨١ جنيها من وقف القصر.

١٢ - ٦٤٧ جنيها من وقف الخديو اسماعيل بحلوان.

وبحسبة بسـيطة لكل هذه الإيرادات، تبين أن دخل فاروق السنوى من هذا الرافد لا يقل عن نصف مليـون و٣٦٥ ألف جنيه، فضـلاً عن دخل آخر يبلغ نحو ثلاثمائة ألف جنيه كان يحصل عليها عنوة بحجة أنه وطبقا للدستور ناظراً

على نحو ١٤ وقـفاً آخر تعذر رصـدهم، وذلك طبقاً لما هو مرصـود فى عدد مجلة المصـور المنشور فى ٥ ديسمبـر ١٩٥٢م وطبقا للدراسة المنشـورة للمؤرخ النزيه الأستاذ جمال بدوى، والذى حقق دراسـتـه التى اعتمدنا عليها من خلال نشرها فى مجلة المصور العدد ٤٢٨٨، الصادر يوم ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦.

* * * *

حيوانات وطيور الملك

وتمضى بنا مجلة المصـور فى رصد وحصـد ثروة الملك فاروق، ناهيك عن أن هذه المجلة نفـسها كـانت تكيل المدح وتصوغ أبدع قـصائد الحب والعـرفان والولاء للملك.

كان للملك فاروق ضمن ممتلكاته نحو : ٢٨١ غزالاً، و١٧٦ جواداً، ١٠ كبـاش أروس، ٤٧ جامـوسة، ٣٥٠٢ زوج من الأرانب والطـيور، ٢ ببـغاء، و١٦ حمـاراً، و ٤٢ كلبـاً، ١٤ عصفـوراً، ٥٤٤ سلحـفاة، ٨ نعـامات، ١٦ فرساً.

* * * *

أسهم الملك

كان فـاروق يملك من الأسهم مـا يفوق الثلاثة مـلايين جنيهـا و٣٩٨ ألفا و١٤٥ جنيها لا غير.

* * * *

سياراته

كـان الملك فـاروق يهوى اقـتناء السـيـارات الفارهة والحـديثـة ذات اللون الأحمـر، وعلى رأسـها السـيارات الكاديلاك، والمرسـيدس ورينو، وأسـتنى، ويوبكى، وجيب ليمـوزين، وفورد ،وشيفورليه، وفـيات، وكورد، ولنكولن، وتوربين للسباق، بالإضافة إلى نحو عشرين قطعة قدرت بنحو ٥٨ ألف جنيه، زمن فاروق.

* * * *

الفهرس

الموضوعات | الصفحات



الملك فاروق

آخر ملوك مصر

١٩٣٦ - ١٩٥٢



مكتبة النافذة